

ولد المؤلف في حدثون - البترون عام ١٩٣٩. متأهل من جويس توما من اميون وله ثلاثة اولاد: جوزيان - وليد - ادغار يحمل الاجازة في اللغة العربية وآدابها، وديبلوم دراسات عليا في الحضارة العربية والاسلامية. أمضى عشرين عاماً محللاً في جريدة «العمل» (١٩٦٥ - ١٩٨٥) كتب في «المستقبل» و«الاسبوع العربي» ونشرت له دراسات في «الانباء» و«القبس» (الكويت) و«الوحدة» (المغرب). عمل لفترة مسؤولاً في المركز العربي للدراسات الدولية (باريس) ومذيعاً للاخبار في «مونت كارلو». مدير التحرير لجريدة «بيبليا» اللاهوتية، ومدير «مركز بيبلوس للدراسات والابحاث». له عدة مؤلفات في الفكر السياسي.

لبنان في استراتيجيّة كيسنجر

مقاربة سياسيّة وجيو - استراتيجيّة

نبيل خليفه

لبنان في استراتيجيّة كيسنجر

مقاربة سياسيّة وجيو - استراتيجيّة

نبيل خليفه

"إنّ لبنان أصبح عبئاً على الغرب لكثرة ما أعطت حريّته من أفكار كانت تُستعمل ضدّنا... لهذا قرّرت إلغاء هذه الحريّة..."

هنري كيسنجر

مركز بيبلوس للدراسات والابحاث
(مبدأ ـ CBER)

(تأسس بموجب علم وخبر رقم ٢٠١/أد لعام ١٩٩٠)

● **غايته:** نشر المقالات والكتب واعداد الدراسات المتعلقة بالاوضاع اللبنانية وعلاقتها بالمحيط العربي

«الاراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن اتجاهات يتبنّاها مركز بيبلوس للدراسات والابحاث»

منشورات

مركز بيبلوس للدراسات والابحاث
ص.ب: ٣٨ جبيل (بيبلوس) لبنان.
تلفون: ٩٤٥٠٠١(٠٩) ـ Tel: (09) 945001

الطبعة الأولى
جبيل (بيبلوس): ١٩٩١

الاهداء

الى رموز الوعي الوطني اللبناني

موريس الجميِّل
ابراهيم عبد العال
ألبير نقاش

أول وأعظم القادة ـ الشهداء

في الصراع

ما بين «آمال اللبنانيين الخضر»
«وخطوط الآخرين الحمر»!

على جبهة لبنان:
الوطن ... والمصير.
... وفاءً.

نبيل

تمهيد

اختلف المحلّلون في تحديد طبيعة الحرب اللبنانية. ففي حين أصر البعض على اعتبارها «حرباً أهلية» رأى غيرهم انها «حرب الآخرين على أرض لبنان». اما الرأي الثالث فيرى في هذه الحرب مزيجاً من الاثنين حيث تتشابك الصراعات الداخلية (الانتر ـ لبنانية) مع الصراعات الاقليمية والدولية ليخرج من هذا المزيج وضع معقّد لعله الأكثر تعقيداً في الأزمات الدولية. ولئن كان هناك اختلاف حول جوهر هذه الحرب، فهناك اجماع على ان للولايات المتحدة الاميركية دوراً أساسياً (بل الدور الأساس) في التأثير على الأزمة: إيجاباً ام سلباً.

الوجه «الايجابي» للسياسة الاميركية حيال لبنان يتمثل، اجمالاً، في المواقف النظرية التي عبّر (ويعبّر) عنها المسؤولون الاميركيون على جميع المستويات، وفي مختلف الظروف والتي تجد ترجمتها الفضلى في خطاب داس وولكر نائب مساعد وزير الخارجية الاميركية امام فريق العمل الاميركي الخاص بلبنان (٢٧ ـ ٩ ـ ١٩٨٨) حيث اختصر موقف بلاده «المعلن» بالقول: «ان الولايات المتحدة تدعّم وحدة لبنان وسيادته واستقلاله السياسي وسلامة أراضيه. ونحن أيضاً ملتزمون بانسحاب كل القوات الأجنبية من

لبنان. وستبقى هذه الأهداف امامنا واضحة على جدول اعمالنا الوطني».

اما الوجه السلبي للسياسة الاميركية (حيال لبنان) فتعكسه، بالدرجة الأولى، مواقف الإدارات الاميركية طوال سنوات الحرب، وتصريحات وتصرفات كبار المسؤولين الاميركيين، وعلى رأسهم السيد هنري كيسنجر، والهادِفة الى تبرير امكانية الاستغناء عن لبنان (الدولة والكيان الحاضرين) وذلك في سياق ترتيب جديد لاوضاع الشرق الأوسط، يأخذ بعين الاعتبار، وبشكل أساسي، مصالح الدولتين الجارتين للبنان: اسرائيل وسوريا.

ومنذ بداية الحرب اللبنانية (١٩٧٥)، وحتى قبل ذلك، كثر الحديث وقوي اليقين لدى فئات غير قليلة من اللبنانيين (من أقصى اليسار الى أقصى اليمين) من ان الحرب في لبنان هي ثمرة «مخطط اميركي» بالدرجة الأولى وضعه هنري كيسنجر في أوائل السبعينات لينفذ على مراحل، وهدفه تمزيق لبنان وتفتيته واقتسامه، واعطاؤه «جوائز ترضية» لكل من اسرائيل وسوريا، وجعله مكاناً لتوطين قسم لا بأس به من الفلسطينيين في سياق المسعى الاميركي لحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي!

وفي أواخر الثمانينات، تجدد الحديث، في لبنان، بقوة عن «مؤامرة كيسنجر» في نطاق شرح وتفسير الموقف الاميركي المناهض «لحرب التحرير» من جهة (الحرب التي أعلنها العماد ميشال عون اذار/ مارس ١٩٨٩)، ولتبرير الموقف الاميركي المؤيد والداعم لاتفاق الطائف ومفاعيله على الوضع اللبناني من جهة ثانية (تشرين أول/ أوكتوبر ١٩٨٩).

ومع الأهمية القصوى لموضوع كيسنجر ودوره في الحرب اللبنانية، (عبر السياسة الاميركية وتجلياتها الاقليمية والدولية) فإنه لم تقم في حد علمنا، دراسة تشرح بشكل موضوعي وعلمي، خلفيات ومبررات وابعاد ما سمي «بمخطط كيسنجر» حول لبنان والمنطقة، وهي دراسة يصعب من دونها (بل يستحيل) فهم الكثير من مسار الحرب اللبنانية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً... كما يصعب ويستحيل، من دونها، فهم السياسة الاميركية حيال لبنان على امتداد السنوات العشرين الماضية... وربما على امتداد السنوات العشرين القادمة!!

هذه الدراسة تحاول أن تلقي الأضواء على ما عرف «بمخطط كيسنجر» انطلاقاً من ثلاث زوايا:

الأولى: مقاربة سياسية تستعرض نظرة بعض اللبنانيين (من سياسيين واعلاميين واكاديميين) الى ما اسموه «مؤامرة كيسنجر وأهدافها في لبنان».

الثانية: نظرة جيوبوليتيكية تعرض لفكر كيسنجر السياسي ـ الستراتيجي وانطلاقاً منه تحدد موقع لبنان ووظيفته في استراتيجيته الكونية ـ الشرق أوسطية.

الثالثة: تلمّس مدى ارتباط السياسة الأميركية حيال لبنان بالرؤية الكيسنجرّية على ضوء التساؤل: هل كان أمام لبنان، (ولا يزال أمامه) فرصة للخروج من «قدرية» الفكر الكيسنجري»؟!

المحتويات

الملاحق

القسم الأول

لبنان ومخطّط كيسنجر: مقاربة سياسيّة

مقدّمات أولية:

١ - تتناول هذه الدراسة جانباً محدداً من السياسة الاميركية حيال لبنان منذ أوائل السبعينات وهو الجانب الذي صاغه هنري كيسنجر، والذي في نظر الكثيرين، من اللبنانيين على الأقل، لم يتغيّر خلال العقدين الماضيين. على ان نظرة كيسنجر الى لبنان هي جزء من نظرته الى قضايا الشرق الأوسط، وبالتالي هي جزء من فكره السياسي الستراتيجي العام.

٢ - لقد تناول الكثيرون (بأسلوب الاتهام المبسّط) نظرة كيسنجر (أو خطته... أو مخطّطه... أو مؤامرته... أو مشروعه لتفتيت لبنان). وهذه الدراسة لا تدّعي استعراض كل ما قيل في هذا الباب. ولكن ما تعرضه مما قيل (ويقال) هو معبّر، وان لم يكن كافياً، إن على مستوى الحالة اللبنانية، ام على مستوى التنوع في القراءة السياسية.

٣ - ان مقاربة الطرح الكيسنجري ترتبط وتتأثر (كما سنرى) بموقف وموقع الأشخاص الذين قاموا (ويقومون) بهذه المقاربة، إن على مستوى علاقاتهم بالوضع الداخلي اللبناني، أم على مستوى علاقاتهم الاقليمية والدولية.

٤ ـ ان الهدف الحقيقي لهذه الدراسة يتخطى كل الاعتبارات الذاتية والفئوية ليعانق اثنتين: الحقيقة التاريخية والمصلحة الوطنية اللبنانية العليا.

فليس من المعقول والمقبول ان يبقى اللبنانيون مشغولين بتفاصيل مأساتهم من دون اكتشاف أصل هذه المأساة. كما أنه من غير المعقول والمقبول ان يتعرض شعب بكامله لمثل ما تعرّض (ويتعرّض) له الشعب اللبناني في محنته المستمرة، والتي قيل - وردد القول اكثر من مرة، وعلى لسان اكثر من مسؤول، انها نتيجة «مؤامرة كيسنجرية» (صحيحة كانت ام وهمية) دون ان يتحرك الذهن اللبناني ليضع هذه «المؤامرة» على محك البحث. فيكتشف اللبنانيون، والمعنيون بالقضية اللبنانية، حقيقة دور كيسنجر الماضي والمستمر، في المأساة اللبنانية، من خلال السياسة الاميركية حيال لبنان.

٥ ـ وأخيراً، فإن هذه الدراسة مجال مفتوح للنقاش والحوار وليست موقفاً مغلقاً على الطروحات السياسية الجامدة والأفكار المسبقة. إنها دعوة لجلاء الحقائق التاريخية في الوضعية اللبنانية الحالية وليست وليدة النظرية الواحدية الى التاريخ.

... بهذه الصفة، تدخل هذه الدراسة باب الاجتهاد المؤيد بالمراجع والوثائق والتحليل والجميعة (Synthèse)،

وفي كل اجتهاد لا مكان لكلمة فصل، بل لكلمة وصل تربط ما بين الفكر والواقع... ما بين النظرية والحدث!!

الفصل الأول

مقاربة سياسيين مسيحيين

لم «يحظَ» رجل سياسة دولي بما «حظي» به كيسنجر من اهتمام واتهام وتقريع شارك فيها العديد من رجال السياسة اللبنانيين ابتداء من زيارته اليتيمة الى لبنان (١٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٣). وحتى الآن! فخلال رحلاته المكوكية في الشرق الأوسط، اجتمع كيسنجر الى الرئيس فرنجيه والمسؤولين اللبنانيين في ثكنة أبلح قرب مطار «رياق» بعد ان تعذر استقباله في بيروت لأسباب أمنية. يومها كان يُخشى ان توجه الى طائرته، قبل هبوطها، صواريخ من المخيمات الفلسطينية المنتشرة حول مطار بيروت الدولي. لذا آثر أركان الدولة استقباله في مطار بعيد عن العاصمة. وكان لهذا الأمر مغزى كبير بالنسبة لوزير الخارجية الاميركي.

في اجتماع «أبلح»، سلّم الرئيس فرنجيه السيد كيسنجر نصاً مترجماً للكتاب المفتوح الذي كان قد وجّهه الى وزير الخارجية الاميركي رئيس حزب الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل على صفحات جريدة «العمل» بمناسبة زيارته للبنان (١٦ - ١٢ - ١٩٧٣) باعتبار هذا الكتاب المفتوح «يمثل أيضاً وجهة نظر الحكومة

اللبنانية ورؤيتها لحل القضية الفلسطينية».

هنري كيسنجر شرح ظروف زيارته للبنان وانطباعه بعد لقاء الرئيس فرنجيه باسلوبه الساخر المعروف وذلك في رده على كتاب العميد ريمون اده. فقد جاء في رد كيسنجر على العميد قوله: «أحب ان أذكرك بزيارتي للبنان. يومها طلبت شخصياً من سفارتنا في بيروت ان تتصل بأجهزة الأمن عندكم وتلح عليها بوجوب تغيير مكان الاجتماع برئيس جمهوريتكم لأسباب تتعلق بسلامتي. وذكر المسؤولون عن الأمن في السفارة الاميركية ببيروت، ان معلوماتهم تشير الى وجود صواريخ ارض - جو سوفياتية الصنع قد توجه الى طائرتي قبل هبوطها في مطار بيروت. وكنت بهذا العمل احاول أن امتحن مقدار السيادة اللبنانية وقدرة السلطة على فرض ارادتها. وبدلاً من ان ترفض الدولة اللبنانية هذا الاحراج، فقد انتقل رئيس البلاد الى مكان خفي سري ليجتمع بي. عندئذ أدركت حقيقة ان لا وجود للدولة اللبنانية وان السيادة معدومة. وصدّقني ان اللقاء القصير كان مضيعة لوقتي الثمين... لقد اكتشفت خلال الساعات القلائل التي أمضيتها في ثكنة عسكرية عندكم، أنني في وطن هارب يختبئ من واقعه المتردي»(*).

السياسيون اللبنانيون تعاطوا مع «ظاهرة» كيسنجر التي هي ظاهرة الثلث الأخير من القرن العشرين من منطلقات مختلفة: بعضهم بالحدس، وبعضهم بالتجربة، وبعضهم بالمعرفة، وبعضهم بالطوباوية... أما الجامع المشترك بينهم فهو الاكتواء بنار الحرب

(*) راجع النص والتعليق عليه في الملحق رقم III

اللبنانية. من هؤلاء الساسة (أو الشخصيات الدينية التي قامت بدور سياسي خلال الحرب) نعرض مقاطع محددة ومعبّرة عن نظرتهم السياسية الى كيسنجر ودوره في الحرب اللبنانية.

الشيخ بيار الجميل

كان الشيخ بيار الجميل، رئيس حزب الكتائب، أول سياسي لبناني يوجّه رسالة سياسية شاملة الى وزير الخارجية الاميركي الجديد[١] هنري كيسنجر بعد بروز دوره في حرب اوكتوبر ١٩٧٣ وقبل ان يعرف «خيره من شرّه» على القضية اللبنانية والقضايا العربية. فعلى صفحتين من صحيفة «العمل»[٢]، عرض الجميل لمهمة السلام التي كان يقوم بها كيسنجر في المنطقة، ومنها لبنان. وأشار الجميل في كتابه الى أنه انطلاقاً من «تجربته اللبنانية» فإن رؤيته لطبيعة الصراع العربي - الاسرائيلي ولامكانية حله تندرجان في أربعة مبادئ أساسية:

- ☐ انه لا سلام حيث لا عدل.
- ☐ ان عاملي الدين والقوة، على أهميتهما، هما غير قادرين على تثبيت حق اسرائيل في الوجود كدولة في فلسطين.
- ☐ ان فلسطين هي أرض لكل أبنائها: المسلمين واليهود والمسيحيين.

---

(١) تم تعيين هنري كيسنجر وزيراً للخارجية الاميركية بتاريخ ٢٢ - ٨ - ١٩٧٣ بعد ان كان مستشاراً للرئيس نيكسون لشؤون الأمن القومي منذ العام ١٩٦٨.

(٢) نشر الكتاب المفتوح بتاريخ ١٦ - ١٢ - ١٩٧٣ اي صباح زيارة كيسنجر للبنان، واعيد نشره في العمل بتاريخ ١٣ - ١١ - ١٩٧٤ عشية زيارة الرئيس فرنجيه للأمم المتحدة لالقاء خطاب حول القضية الفلسطينية بتكليف من مؤتمر القمة العربي السابع.

- ☐ ان الحل العملي لقضية فلسطين هو في اختيار الصيغة اللبنانية: صيغة التعايش بين الأديان، صيغة الدولة العلمانية.

لقد كان الشيخ بيار الجميل يرتاح لهذا الأسلوب في مخاطبة المسؤولين الكبار الذي يزورون لبنان[٣]. كما كانت لديه (دائماً) نظرة تقدير معينة الى «العالم الحر» والى زعامة الولايات المتحدة لهذا العالم، والى دور لبنان فيه، باعتباره جزءاً منه. «فشعب لبنان، يقول الشيخ بيار، مؤتمن على وديعة الحرية والديمقراطية والحضارة في هذه المنطقة... والولايات المتحدة تأخذ على عاتقها دور العمل المخلص والفعال من أجل الديمقراطية والحياة الانسانية الحرة[٤]». فهو «ينتظر من الولايات المتحدة ان تلعب دوراً أقوى وأفعل لدعم الحرية والديمقراطية في لبنان. ولكن العالم الحر راح يتفرج على مأساتنا من دون أن يقوم بعمل في مستوى حرصه على الحرية والديمقراطية»[٥].

انطلاقاً من قناعاته تلك، شاء الشيخ بيار الجميل أن «يشرح» لكيسنجر تجربته اللبنانية تسهيلاً لمهمته في حل الصراع العربي - الاسرائيلي مؤكداً على الثوابت التالية:

- ☐ «حيث لا يكون عدل لا يكون سلام بالمعنى الصحيح. إنها الحقيقة البسيطة الواضحة التي تشكل علامة فارقة في تراث الشعب الاميركي ورسالته وحضوره في العالم. فمن المؤكد ان

---

(٣) من هذا القبيل كتابه المفتوح الى وزير خارجية الاتحاد السوفياتي شبيلوف بمناسبة مروره في لبنان ٢٦ - ٩ - ١٩٦٩.

(٤) بيار الجميل، مواقف وآراء. دار العمل بيروت ١٩٨٢. ص ٢٤٢.

(٥) المصدر السابق ص ٢٤٦.

السلام الذي يريده شعبكم العظيم هو هذا السلام. فقوام الخلق الاميركي هو محبة العدل واحترام الفرد واحترام الغير»[٦].

- ☐ ان هناك فارقاً مهماً بين بناء لبنان وبناء اسرائيل. «فلبنان بنى مصيره ووجوده على طبيعته الانسانية وطبيعة المنطقة، فيما كان بناء اسرائيل على القاعدة العنصرية والدينية. ولهذا السبب كان لبنان من العالم العربي وفي صميمه وبقيت اسرائيل عضواً غريباً فيه... وستبقى كذلك»[٧].

- ☐ ان الحل العملي الوحيد، الذي ينصح به الشيخ بيار كيسنجر للمشكلة الفلسطينية ومتفرعاتها «هو في اقامة وطن مشترك في فلسطين بين اليهود والمسلمين والمسيحيين. وطن لا يميز بين الناس بسبب انتماءاتهم الدينية. أي بناء فلسطين جديدة تشبه لبنان. **لأن تجربة لبنان نجحت... وتجربة اسرائيل فاشلة**[٨]».

... ويبدو ان كيسنجر كان ينوي اثبات العكس تماماً!!

---

(٦) كتاب مفتوح الى كيسنجر. العمل ١٦ - ١٢ - ١٩٧٣.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

الرئيس سليمان فرنجيه

الرئيس فرنجيه هو من القادة اللبنانيين المسيحيين الذين كانت لهم في الأساس، نظرة ايجابية معيّنة الى السياسة الاميركية حيال لبنان. ولكن ممارسته لسلطات رئاسة الجمهورية (١٩٧٠ - ١٩٧٦) والظروف الاقليمية التي أحاطت بمدة رئاسته (بروز الصراع اللبناني - الفلسطيني) وتجاربه مع الادارات الاميركية، كل ذلك جعله يبدّل نظرته تماماً الى السياسة الاميركية. ومن التجارب المرّة التي أثرت على نظرته للاميركيين ثلاث:

الأولى: زيارة كيسنجر الى لبنان واجتماعه به (١٦ - ١٢ - ١٩٧٣) حيث فوجيء بوزير خارجية الولايات المتحدة يعرض عليه امكانية «ترحيل المسيحيين من لبنان»!

الثانية: قيام مبعوث كيسنجر الى لبنان خلال حرب السنتين، السفير دين براون بتجديد العرض «بضرورة ترحيل المسيحيين» من لبنان، كحل للحرب اللبنانية.

... وهكذا أصبح لدى الرئيس فرنجيه قناعة ثابتة بأن كل المصائب والويلات والنكبات التي تعرّض لها المسيحيون (ويتعرضون وسوف يتعرضون لها) خلال هذه الحرب، إنما هي نتيجة مخطط كيسنجر وهي تهدف بشكل أو بآخر، الى تحقيق مثل هذا الترحيل.

الثالثة: المعاملة غير اللائقة، بل والمهينة التي تعرّض لها

الوفد الرسمي اللبناني الى الأمم المتحدة برئاسة الرئيس فرنجيه وعضوية كبار الشخصيات اللبنانية (من رؤساء جمهورية سابقين ورؤساء مجالس نيابية ووزارية حاليين وسابقين). فقد كلف مؤتمر القمة العربي السابع (الرباط اوكتوبر ١٩٧٤) الرئيس اللبناني «عرض القضية الفلسطينية امام الجمعية العامة للأمم المتحدة وذلك بمناسبة ادراجها في جدول أعمال الجمعية كبند مستقل»[٩]. ولدى وصول الوفد اللبناني الى مطار نيويورك (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٤) افلتت ادارة الجمارك الاميركية كلاباً بوليسية متخصّصة بمكافحة المخدرات «لاشتمام» امتعة الوفد. وإزاء هذه الإهانة للكرامة اللبنانية، ألقى خطابه المعروف امام الجمعية العام باسم اللبنانيين والعرب ولكنه اعتكف داخل مقره ورفض استقبال أي مسؤول اميركي، وكل اعتذار اميركي.

وهكذا، فقد ولّدت المواقف الاميركية من اللبنانيين عامة، ومن المسيحيين خاصة، قبل الحرب وطوالها، ولدّت مرارة في أعماق الرئيس فرنجيه الى الحد الذي دفعه لأن يكون السياسي المسيحي الوحيد في لبنان الذي تجرأ ودعا صراحة وعلانية «الى قطع العلاقات مع أميركا»[١٠]. مما كلفّه ثمن «الفيتو» الاميركي عليه لرئاسة الجمهورية، مرة ثانية، عام ١٩٨٨.

في مقاربته لدور كيسنجر في لبنان والمنطقة، يركز الرئيس فرنجيه على ٤ نقاط:

(٩) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٤، ص ١١٤ - ١١٥.

(١٠) السفير ٣ - ٧ - ١٩٨٥.

□ - التأكيد على وجود مخطط كينسجري (اميركي) خاص بلبنان والمنطقة. «فبعد مقابلة كيسنجر بات الرئيس فرنجيه مقتنعاً ان كيسنجر وضع خطة لتفجير الحوادث في لبنان»[١١]. وأنه «منذ العام ١٩٧٤ بدأ مخطط كيسنجر يعمل في المنطقة»[١٢].

□ - انه يملك براهين دامغة على ذلك. «فإن سيئ الذكر هنري كيسنجر عرض علي شخصياً الهجرة»[١٣] ويقصد هجرة المسيحيين من لبنان. «والبرهان (الآخر) على ما أقول هو الموفد الاميركي دين براون الذي قدم الى لبنان فعرض خدمات بلاده في تقديم وسائل النقل اللازمة التي تمكّن مسيحيي لبنان من الهجرة. وقد أبلغ هذا العرض لي شخصياً. فقد عرض علي قائلاً: بامكاننا خلال ٤٨ ساعة تأمين جميع وسائل النقل اللازمة لكم. لقد جاء بهذا القصد ثلاث مرات متتالية في أقل من شهر ليسألنا كم نستطيع المقاومة؟ والى متى نستطيع الصمود؟... وإن جميع وسائل النقل جاهزة لنقلكم؟...»[١٤].

□ - ان الهدف الكبير للمخطط الاميركي، بحسب الرئيس فرنجيه هو «ايجاد أرض عربية للشعب الفلسطيني خارج فلسطين، أي في لبنان وعلى حسابه لأننا ضعفاء»[١٥]. لذلك «فالمخطط

(١١) الجمهور الجديد ٤ - ٤ - ٩٧٨

(١٢) الأنوار ٢٧ - ٨ - ٩٧٩.

(١٣) التضامن ١٥ - ٢ - ٩٨٦.

(١٤) الأنوار ٢٧ - ٨ - ٩٧٩.

(١٥) الأنوار ٣٠ - ١١ - ٩٧٩.

الاميركي يرمي الى تهجير جميع اللبنانيين المسيحيين من لبنان واحلال الفلسطينيين مكانهم»(١٦). «فعندما يهجر اللبناني تغدو الأرض من دون سكان فيقال للفلسطيني: لقد خسرت أرضك في فلسطين فتفضل الى لبنان وطناً لك وترتاح اسرائيل من القضية الفلسطينية»(١٧).

□ ـ يرى الرئيس فرنجيه ان مخطط كيسنجر هو قائم ومستمر اي: «توطين الفلسطينيين في الأراضي اللبنانية» ولكنه يرى ان هذا المخطط قد مر بثلاث مراحل (ثلاث تجارب):

ـ «التجربة الأولى ترحيل المسيحيين وتقديم أرضهم للفلسطينيين فشلت . . . لحسن الحظ».

ـ التجربة الثانية محاولة خلق دولة مسيحية على بقعة ضيقة من لبنان وتقديم الباقي هدية للشعب الفلسطيني» . . . «والذي يعمل لذلك هما اسرائيل واميركا معاً بهدف خلق الجفاء بين المسيحيين ومحيطهم العربي الاسلامي وافساح المجال للاسرائيليين للإفادة».

ـ والتجربة الثالثة أخذ قسم من الجنوب وتوطين الفلسطينيين فيه»(١٨).

(١٦) الأنوار ٢٧ ـ ٨ ـ ٩٧٩.

(١٧) التضامن ١٥ ـ ٢ ـ ٩٧٩.

(١٨) الأنوار ٣٠ ـ ١١، و٢٧ ـ ٨ ـ ١٩٧٩ ومجلة العواصف عدد ٢٣، ٨ ـ ٦ ـ ١٩٩٠ حيث يقول «لقد صرحت سنة ١٩٧٦ اكثر من مرة للصحف، ان اميركا قررت تهجير اللبنانيين لتمكن الفلسطينيين ان يكون لهم أرض وبيت على حساب اللبنانيين فما سمع أحد . . . وهذه المؤامرة التي أعلنت عنها، رسمها السيئ الذكر كيسنجر سنة ١٩٧٤، وما زالت هذه الخطة قائمة وتنفذ فصولها حتى الآن كما تشاء أميركا بواسطة اسرائيل».

ولعل أفضل ما يختصر موقف الرئيس فرنجيه من مخطط كيسنجر هو الكلام الذي نقله عنه الصحفي فؤاد دعبول تعليقاً على الاشتباكات الدامية في المنطقة الشرقية بين قوات الجيش اللبناني (العماد ميشال عون) والقوات اللبنانية (الدكتور سمير جعجع) خلال شهر شباط ١٩٩٠ حيث ورد قوله:

«ان مخطط كيسنجر مستمر. اننا نعيش آخر فصول المؤامرة، وهي تفريغ هذا الوطن من أبنائه. ان تدمير لبنان وتهجير أبنائه هو هدّية المتآمرين على لبنان لغير اللبنانيين. ومن كيسنجر الى براون، هناك من يكمّل الخطة بدقة متناهية. كيسنجر ذهب من الخارجية والادارة الاميركيتين. لكن المخطط بقي. وتنفيذه مستمر»(١٩).

وحول ما يريده الرئيس فرنجيه من اميركا يقول: «نحن لا نريد من أميركا إلا أن تكفّ شرها عنا وتوقف المؤامرة المكشوفة التي أراد كيسنجر ان يدفع لبنان ثمنها بسبب موقفي في هيئة الأمم ودفاعي عن حقوق الشعب الفلسطيني. وها نحن ندفع الثمن مرتين . . . مرة من الذين هاجمناهم ومرة من الذين دافعنا عنهم. لا هذا رحمنا ولا ذاك انصفنا»(١٩).

(١٩) الأنوار ١٠ ـ ٣ ـ ١٩٩٠.

(١٩) الحوادث عدد ١٠٣٥، ١٧ ـ ٩ ـ ١٩٧٦.

العميد ريمون اده.

قصة ريمون اده، عميد حزب الكتلة الوطنية، مع مخطط كيسنجر هي قصة طويلة ولعلها الأكثر إثارة واهتماماً بين السياسيين اللبنانيين. فهو أول وأكثر من تكلم عن مؤامرة كيسنجر... ولا يزال. وهو أول من نبّه الى مخاطر هذه المؤامرة ونتائجها المدمّرة على لبنان والمنطقة... وهو أكثر الذين اقتنعوا بوجودها وتابعوها في خطوطها العريضة والدقيقة وسعوا لمواجهتها بالوعي المطلوب في لبنان واوربا واميركا. وباختصار فالعميد اده هو «اختصاصي» في موضوع مؤامرة كيسنجر: في تاريخها، ووجودها، وأهدافها، والأدلة عليها، وتجلياتها، وأطرافها، ومدى استمرارها... وطرق مواجهتها!

□ - يشدّد العميد اده، في تصريحاته، على أنه أول من تنبّه ونبّه الى وجود مؤامرة كيسنجرية على لبنان والمنطقة. وميزته في ذلك، ليست كونه السبّاق في الاطلاع على المؤامرة فقط، بل في مسارعته الى كشفها والتحذير منها. وهو بهذا يلوم الرئيس فرنجيه من طرف خفي عندما صرّح الرئيس فرنجيه «بأن كيسنجر أبلغه عام ١٩٧٤ ان الحل هو باعطاء الجنوب للفلسطينيين، قائلاً: «لقد تأخر تصريح سليمان فرنجيه هذا من ١٩٧٤ حتى ٤ أيار ١٩٧٨ حيث قاله في مقابلة مع مجلة الجمهور. وليته فعل هذا بعد مقابلته مع كيسنجر»[٢٠].

(٢٠) السفير ٢٤ - ٩ - ١٩٧٩.

□ - كيف ومتى، وعلى يد من اطلّع العميد اده على مخطط كيسنجر؟

جواب العميد عن ذلك واضح: فهو لم يتخيل ولم يستنبط مثل هذا (المخطط - المؤامرة) بل أطّلع عليها من مصادر أميركية:

● أول المصادر «صحافي أميركي معروف» (لم يذكر العميد اسمه في تصريحاته) «وقد اطّلعت عليها (يقصد المؤامرة) في هذا الأوتيل (برنس دي غال في باريس) وأنا في طريق عودتي من الإتحاد السوفياتي (آب/أغسطس ١٩٧٤). والذي أطلعني عليها صحافي أميركي معروف، مثل غيره من الصحافيين الأميركيين الكبار، اطلع على أمور كثيرة مهمة، ربما أكثر من بعض أعضاء مجلس الشيوخ[٢١]». وفي تصريح له بعد إحدى عشرة سنة يكرر (العميد القول) «وقد نبهني إلى هذا المخطط الكيسنجري صحافي أميركي صار الآن في ذمة الله[٢٢]». ويقول أيضاً: «في آب ١٩٧٤ التقيت شخصية أميركية في باريس قالت لي: إن ما يجري في قبرص هو تنفيذ لسياسة كيسنجر وسوف يجري قريباً في لبنان[٢٣]» ولهذا يقول العميد: «إن قبرصة لبنان وبلقنة المنطقة تعبيران لا أنفك أرددهما منذ العام ١٩٧٤[٢٤]».

(٢١) الديار ١ - ٧ كانون الأول ١٩٧٥. نشر في ريمون إده: كلمات ومواقف ١٩٥٣ - ١٩٧٨ ص ٢٧ - ٢٨.

(٢٢) الأفكار عدد ٢٣٦، ٢٩/١٢/١٩٨٦.

(٢٣) الوطن العربي عدد ٤١٠، ٢١/١٢/١٩٨٤.

(٢٤) الأفكار - مصدر سبق ذكره.

- المصدر الثاني هو أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي وعضو لجنة الشؤون الخارجية برفقة زميل له (ولم يذكر العميد إده إسميهما) «التقيت به في بريطانيا قال لي: أميركا تعتبر أن الشرق الأوسط يضم بلداناً يمكن الاستغناء عنها. وسألته: من هي الدول التي لا يمكن الإستغناء عنها أولاً حسب المنظار الأميركي؟ أجاب: إسرائيل وسوريا والعراق. وعندما سألته عن الدول التي يمكن الإستغناء عنها أجاب: لبنان[٢٥]» وقد أطلع الشيخان الأميركيان العميد، في اللقاء ذاته، على خريطة للشرق الأوسط لا أثر للبنان فيها.!
- المصدر الثالث «اتصالات العميد بالدوائر الأميركية في واشنطن ونيويورك وهي تدفعه إلى الإعتقاد، ويا للأسف، بإمكان تقسيم لبنان الأمر الذي لن يغضب إسرائيل[٢٦]». وقد تمّت هذه الإتصالات من خلال زيارات العميد للولايات المتحدة. «المعروف، يقول العميد، أنني زرت أميركا مرتين قبل أن أتّخذ موقفي. الأولى في كانون الأول (ديسمبر) من العام ١٩٧٥ والثانية في كانون الثاني (يناير) من العام ١٩٧٦ وقابلت جوزف سيسكو الذي كان مساعداً لوزير الخارجية لشؤون الشرقين الأدنى والأوسط وغيره. وناقشت معهم الوضع من موقع مسؤوليتي كرئيس حزب وكنائب[٢٧]».

(٢٥) الوطن العربي. عدد ١٤٨، ١٤/١٢/١٩٧٩.

(٢٦) أنطوان خويري ـ حوادث لبنان ١٩٧٥ الجزء الأول ـ دار الأبجدية ١٩٧٦. من تصريح للعميد خلال وجوده في نيويورك ٢٦/١٢/١٩٧٥. ص ٥٨١.

(٢٧) الديار مصدر سبق ذكره. نشرت في: ريمون إده ـ كلمات ومواقف. ص ٢٧.

- ما هي أهداف مؤامرة كيسنجر في نظر العميد إده؟

يمكن اختصار أهداف مؤامرة كيسنجر على لبنان، بالعودة إلى تصريحات العميد إده، على الشكل التالي:

- تقسيم لبنان وتقاسمه بين سوريا وإسرائيل. «إن خطتك، يقول العميد في كتابه لكيسنجر[٢٨]، لا تقضي بإعطاء كل لبنان لسوريا بل جزء منه فحسب: البقاع وطرابلس وسهل عكار التي أعادتها فرنسا إلى لبنان بناء على طلب اللبنانيين عام ١٩٢٠. ويكون ضم هذه الأراضي إلى سوريا تعويضاً للجولان الذي لن تتنازل عنه إسرائيل على رغم كل الجهود التي يمكن أن تبذلها». ويضيف العميد إده: «وتدّعي ألسنة السوء أنك قررت تقسيم لبنان إلى ثلاثة أجزاء: الأول شمال طريق الشام ـ شتوره يخصص للمسيحيين. الثاني ويقع جنوب الطريق المذكور حتى نهر الليطاني يعطى للبنانيين المسلمين والفلسطينيين. والثالث ويقع بين الليطاني والحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية، تحتله إسرائيل من أجل مسألة مياه.» «لأن مشكلة لبنان مع إسرائيل أولها مياه وآخرها مياه.»
- توطين الفلسطينيين في القسم الإسلامي من لبنان. «نعم أنا اتهمت كيسنجر (يقول العميد) بأنه هو الذي تبنى مشروع موشي دايان الذي يرى أن حل القضية الفلسطينية يبدأ

(٢٨) كتاب مفتوح وجهه العميد إده إلى كيسنجر في ١٢/٦/١٩٧٦. أي بعد أسبوع من دخول الجيش السوري إلى لبنان، ونشر الكتاب في معظم الصحف اللبنانية آنذاك، وأعيد نشره في «الدستور» لندن. عدد ٣٣٧ تاريخ ٢٧/٨/١٩٨٤ مع جواب كيسنجر عليه (كتاب العميد وجواب كيسنجر في الملاحق).

بتوطين الفلسطينيين في الدول العربية التي يتواجدون فيها[٢٩]». «إن لبنان يتعرّض لخطر القبرصة كأنه الحل الوحيد الممكن فيصبح جزء منه ذا غالبية إسلامية على أن يقيم فيه ٤٠٠ ألف فلسطيني وتظل بيروت العاصمة المشتركة[٣٠]»

- تدمير المقاومة الفلسطينية المتواجدة عسكرياً وسياسياً وإعلامياً في لبنان. «فكيسنجر (يقول العميد) هو واضع المؤامرة الأميركية - السورية - الإسرائيلية ليجعل من لبنان مقبرة المقاومة الفلسطينية.. ويقسم لبنان عدة أقسام وتضع سوريا يدها على سهل البقاع وطرابلس وسهل عكار تعويضاً لها عن الجولان[٣١].

وفي الحالتين (حالتي التوطين والتدمير) يرى العميد: «أن القضية اللبنانية ما أثيرت في الأساس ضمن المؤامرة الكيسنجرية، التي ما زالت قائمة، إلا بنيَّة ربط هذه القضية (اللبنانية) بالقضية الفلسطينية وإيجاد حل للثانية على حساب الأولى[٣٢].» وفي هذا يقول العميد «أنا لا أقول إن كيسنجر خان بلاده. ولكنه كي يحافظ على إسرائيل وكي تبقى (إسرائيل) قضى على لبنان. لأي سبب؟ بسبب الأربعمائة ألف فلسطيني المطلوب توطينهم في لبنان[٣٣].

(٢٩) المستقبل. عدد ١٧٨، ١٩٨٠/٧/٢٦.

(٣٠) من حديث إده في نيويورك ١٩٧٥/١٢/٢٦، نقله أنطوان خويري؛ حوادث لبنان. الجزء الأول. مصدر سبق ذكره. ص ٥٨١.

(٣١) من حديث إده ٩٧٦/٦/٢٢ ذكره أنطوان خويري - حوادث لبنان، الجزء الثاني ١٩٧٦. ص ٥١٣.

(٣٢) من حديث للعميد ١٩٧٩/١٠/٢٣ ذكره أنطوان خويري - حوادث لبنان. ١٩٧٩، الجزء الثاني ص ٤٨٣.

(٣٣) ريمون إده، كلمات ومواقف. مصدر سبق ذكره ص ٢٧.

- المحافظة على اليهود وإسرائيل وتقوية الدولة العبرية وبالتالي تقوية الوجود الأميركي في الشرق الأوسط. «فكيسنجر أراد كيهودي أن يحافظ على اليهود في المنطقة - مع أن اليهود في إسرائيل اعتبروه خائناً - وكوزير لخارجية أميركا أراد أيضاً أن يخدم بلاده عن طريق تقوية إسرائيل التي تمثل الخط الدفاعي الأميركي الأول في المنطقة البترولية[٣٤]».
- بلقنة المنطقة وخلق دويلات طائفية إلى جانب إسرائيل بحيث يستتبع تقسيم لبنان، تقسيم سوريا والعراق. وفي هذا يقول العميد: «ما زلت أؤكد أننا أمام مخطط أميركي يهدف إلى تقسيم لبنان. وهو تقسيم سيؤدي في حال حدوثه، في المدى القريب أو البعيد، إلى انفجار الوضع في سوريا. والهدف من هذا خلق عدة دول ذات طابع طائفي إلى جانب إسرائيل، تكون بمثابة دول عازلة (Zone-Tampon) تساهم في تثبيت الدولة اليهودية. المخطط هو بلقنة المنطقة[٣٥]». ولدى العميد «صورة فوتوغرافية لوثيقة سلمها لشخصية روحية كبيرة تكشف المؤامرة وتتحدث عن تقسيم لبنان وسوريا والعراق وذلك من أجل ضمان سيطرة إسرائيل على هذه المنطقة.» وفي هذا السياق يقول إده «أنه عام ١٩٧٥ أبلغ بطريرك الموارنة وبعض القيادات المسيحية[٣٦] أن هناك مؤامرة سورية - أميركية -

(٣٤) المصدر السابق:

(٣٥) من مقابلة مع العميد أجراها أريك رولو - صحيفة لوموند (Le Monde) ١٩٧٥/١٢/١٦ ونشرت في: ريمون إده. القبعات الزرق في لبنان. تصريحات ومواقف. منشورات جمعية فرنسا - لبنان الجديد - ١ (بدون تاريخ) ص ١٢.

(٣٦) يشير إده إلى الاجتماع الذي عقد في بكركي بناء لطلبه بحضور البطريرك خريش والرئيس شمعون والشيخ بيار الجميل بتاريخ ١٩٧٥/١٠/٧.

إسرائيلية ترمي إلى تقسيم لبنان حيث تأخذ إسرائيل حصة منه وتسترجع دمشق المناطق التي سلخت في بداية الانتداب[٣٧]».

● ضرب النموذج اللبناني بوجهيه:

- الليبرالي المزعج للدول العربية (للأنظمة العربية).
- التعايشي (المسيحي - الإسلامي) المزعج لإسرائيل.

وفي هذا يعتبر العميد «أن الديمقراطية الليبرالية التي كان هذا البلد رمزاً لها، كانت تزعج العديد من الدول العربية. كما وأن النموذج اللبناني = أرض الإخاء بين الطوائف والتعايش بين الديانات المختلفة، كان يزعج إسرائيل... من أجل هذا كان من الضروري التضحية بلبنان[٣٨]».

باختصار يوجز العميد إده المخطط الكيسنجري (الأميركي) بما يخصّ لبنان ضمن المعادلة التالية: «لقد سبق لهنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركية السابق أن صرّح: إذا كنتم تريدون الحل أعطوا لبنان لسوريا. وفي آخر زيارة قمت بها إلى أميركا، كرر مسؤول أميركي على مسمعي هذا الكلام. وفي آب ١٩٧٤ التقيت شخصية أميركية في باريس قالت لي أن ما يجري في قبرص هو تنفيذ لسياسة كيسنجر وسوف يجري قريباً في لبنان وذلك من أجل السماح لإسرائيل باحتلال الجنوب وسوريا بالاستيلاء على البقاع وعكار وطرابلس. على أن يقسم الجزء الباقي من لبنان قسمين يفصل بينهما طريق بيروت - ضهر البيدر: قسم يمتد شمال الليطاني

(٣٧) أنطوان خويري. حوادث لبنان. الجزء الثالث. تصريح إده بتاريخ ١٠/١٠/١٩٧٦. ص ٦٢٧.

(٣٨) من مقابلة أجراها مع العميد الصحفي جان جيراس - لوموند ١٤/١/١٩٧٧. نشرت في: «القبعات الزرق في لبنان». مصدر سبق ذكره. ص ١٩.

يستوطن فيه الفلسطينيون. وقسم شمالي يمتد حتى زغرتا ويعطى للموارنة. وتصبح بيروت بذلك عاصمة فدرالية أو كونفدرالية أو مدينة حرة[٣٩].» وعلى ضوء هذه المعطيات وضع العميد إده خريطته «المشهورة»[٤٠] حول تقسيم لبنان (وفق المخطط الأميركي) وكتب عليها بخط يده بالفرنسية يقول: «أنا طبعاً ضد تقسيم لبنان»[٤١] ووقعها. ولقد كرّر العميد رأيه هذا (في الحوادث عدد ١٧٨١ تاريخ ٢١/١٢/١٩٩٠ والمتضمن «مخاوفه حول مستقبل لبنان. وهو ما كان صرّح به منذ العام ١٩٧٦ لمجلة «الموندي مورننغ» وتحدث فيه عن المشروع التقسيمي الذي كان يحضّر للبنان. وهذا نص التصريح:

أولاً: إن إسرائيل تسعى لتأمين حدود شمالية آمنة لها عبر خلق مجموعة دويلات طائفية من أجل تبرير الطبيعة الفئوية للدولة الصهيونية مما يعني تقسيم لبنان أولاً وسواه ثانياً.

ثانياً: إن تقسيم لبنان وُضع لتحقيق هدف إسرائيل بحل مشكلة الأربعمائة ألف فلسطيني الموجودين في لبنان (عبر توطينهم نهائياً في لبنان) واحتلال الجنوب اللبناني وصولاً إلى نهر الليطاني.

ثالثاً: تحقيق حلم المسيحيين، وخصوصاً الموارنة، بإنشاء دويلة مسيحية في لبنان، حدود هذه الدويلة هي زغرتا - بشري - الأرز شمالاً، قمم جبال لبنان شرقاً وطريق بيروت شتوره جنوباً والبحر المتوسط غرباً.

(٣٩) الوطن العربي عدد ٤١٠، ٢١-٢٧ كانون الأول ١٩٨٤.

(٤٠) صورتها في الملاحق.

(٤١) «Je suis bien entendu contre la partition du LIBAN» Raymond Eddé

وفي مقابل لبنان المسيحي يقوم لبنان المسلم بدويلة حدودها الشمالية طريق بيروت شتوره وقمم جبل لبنان شرقاً ونهر الليطاني جنوباً والمتوسط غرباً. أما بيروت فهي العاصمة. ومن الممكن أن تكون عاصمة فدرالية في حال قيام فدرالية بين لبنان المسيحي والمسلم أو ستكون مدينة حرّة.

ومن الطبيعي أن يكون قد طرأ على هذا المشروع تغيّرات (منذ العام ١٩٧٦) منها ضم جنوب لبنان حتى الليطاني وضم البقاع الجنوبي حتى بحيرة القرعون نهائياً من قبل إسرائيل.»

وواضح أن لدى العميد خريطة ثانية تتعلّق بالمنطقة أطلعه عليها اثنان من أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي في لندن وقد شطب لبنان عنها.

□ـ ما لم يقله إده... قاله بويز:

عضو حزب الكتلة الوطنية، المحامي (والنائب السابق) نهاد بويز كشف إسمي الشيخين الأميركيين اللذين اجتمع بهما العميد في لندن. قال إنه في طريقه إلى أميركا زار العميد في فرنسا «فأخبرني أنه التقى الشيخين جونسون وماكلوي (عضوا لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ) في لندن وناقش معهما الأزمة اللبنانية. وفوجىء بهما يقولان له: «إسمع يا مستر إده. هناك في الدنيا نوعان من الأوطان. واحد يمكن الاستغناء عنه وآخر لا يمكن الإستغناء عنه. ويؤسفنا أن نقول لك أن بلدك لبنان من النوع الذي يمكن الإستغناء عنه. ثم عرضا عليه خارطة جديدة

للمنطقة العربية لا تظهر عليها الدولة اللبنانية[٤٢]».

وفي لقاء على شرف بويز بواشنطن كان الشيخان جونسون وماكلوي بين المدعوين وكذلك المبعوث الأميركي دين براون. فسرّ بويز لوجود الشيخين بين الحضور وسألهما:

س: هل اجتمعتما بريمون إده في لندن؟

ج: أجل... اجتمعنا به.

س: هل تحدّثتما بالأزمة اللبنانية؟

ج: بكل تأكيد.

س: هل قلتما له أن لبنان بلد يمكن الاستغناء عنه؟

ج: هذا حصل أيضاً.

س: هل تعتبران أن أميركا زعيمة العالم الحر قد تخلّت عن لبنان الحر وباعته للشيطان؟

ج: ما قلناه للعميد وما نقوله لك الآن هو واحد من احتمالات عدة. قد يصح وقد لا يصح ولكنه ليس قراراً معداً للتنفيذ. إنه خيار من الخيارات التي يمكن اللجوء إليها في يوم من الأيام وفي حال من الحالات[٤٣]»

... أما الصحفي الأميركي الذي التقى العميد إده في باريس (آب ١٩٧٤) وأطلعه على مخطط كيسنجر فلم نعثر على ما يشير إلى هويته. (وهناك من يرجح ان يكون جوزف كرافت)

(٤٢) الأسبوع العربي عدد رقم ١٠٤٠، ١٩٧٩/٩/١٧. ووردت في: خويري، حوادث لبنان. الجزء الثامن. ١٩٧٩. دار الأبجدية ١٩٨١. ص ٣٢٦.
(٤٣) المصدر السابق.

□ ـ ويرى العميد إن الوسيلة، التي تختصر كل الوسائل، لتحقيق أهداف المخطط الأميركي هي «الحرب الأهلية»: في إشعالها وصب الزيت عليها، وتسعيرها و«الاهتمام» بإبقائها مستمرة أطول مدة ممكنة وذلك بإشراف المخطِّط الأساسي (الولايات المتحدة) والمستفيدين الرئسيين: إسرائيل وسوريا.

ومن يقل «حرباً أهلية» يقل أمرين: التدمير والتهجير.

- تدمير: الدولة والعمران والاقتصاد والبنية التحتية للدولة ككل ولكل طائفة على حدة: سياسياً وعسكرياً وإقتصادياً وحضارياً... باختصار «تدمير لبنان لتحيا إسرائيل[٤٤]».

- تهجير: المسيحيين خاصة والشيعة من بعد لكي يسهل توطين الفلسطينيين أما على حساب هؤلاء أو على حساب أولئك أو على حساب الاثنين معاً. «سببوا الحوادث، يقول العميد، كي يهاجر المسيحيون. وبعض المسلمين هاجروا.. وكثيرون من الشيعة يعودون إلى أفريقيا». وهدف الأميركيين في ذلك «أن يبقى هناك لبنان المسلم الذي سيكون بين طريق الشام والليطاني والذي سيوطن فيه أو يقيم فيه أو يسكن فيه الأربعماية ألف فلسطيني الذين لا تريدهم إسرائيل ولا يريدهم الملك حسين. وسوريا لا تقبلهم ولا أحد يريدهم. وفكَّروا أنه قد يحصل تبادل سكان مثلما صار بين تركيا واليونان

(٤٤) ريمون إده. كلمات ومواقف مصدر سبق ذكره. ص ٣٢.

بعد الحرب العالمية الأولى وفكَّروا بفتح باب الهجرة وتشجيعها[٤٥].

ويلاحظ العميد أن الوجود المسيحي في الشرق يشكل منذ فترة غير قصيرة أزمة بالنسبة للغرب. ويروي حواراً حصل بين والده الرئيس إميل إده والجنرال سبيرس ممثل بريطانيا عام ١٩٤١، اعتبر فيه سبيرس «وجود المسيحيين في هذه المنطقة ظاهرة غير طبيعية» وأن أمامهم حلين: أما أن يدخلوا الإسلام كما فعل البيزنطيون وأما أن يهاجروا وهم معتادون على الهجرة[٤٦]». فإما أن نسلم أو أن نهاجر «هذه هي مشيئة أميركا. وعندما أقول أميركا أعني اللوبي الصهيوني. وعندما اكتشفوا أن هذا الأمر لم يحصل كانت المؤامرة وكان الخراب وكانت الهجرة[٤٧]».

□ ـ حول استمرار مخطط كيسنجر:

يرى العميد إده أن هذا المخطط لا يزال قائماً ومعمولاً به في السياسة الأميركية تجاه لبنان والمنطقة منذ أوائل السبعينات حتى اليوم. ولكن العميد يعترف بأنه كان يأمل من بعض الإدارات الأميركية وخاصة إدارة الرئيس كارتر أن تتخلى عن هذا المخطط. يقول: «لقد كنت آمل خيراً بجيمي كارتر الذي يتكلم عن حقوق الإنسان وفي جيبه نسخة عن الكتاب المقدس. كنت آمل من هذا الرجل الإنساني أن يحافظ على دولة صغيرة ونموذجية مثل

(٤٥) المصدر السابق. ص ٢٨ - ٢٩.
(٤٦) المصدر السابق.
(٤٧) ريمون إده: المصدر السابق.

لبنان تحترم حقوق الإنسان. وهي دولة ديمقراطية وفيها جامعة أميركية بفضلها تعلّم الألوف اللغة الإنكليزية وساهموا في دخول الإقتصاد الأميركي إلى هذه المنطقة ودولها البترولية خصوصاً[٤٨]». وبلغ أمل العميد بكارتر في مرحلة معينة (ولكنها قصيرة) جداً، جعله يرى «أن الإدارة الأميركية لم تعد تؤيد مخطط كيسنجر المتعلق بتقسيم لبنان. المسؤولون الأميركيون أخبروني بذلك بأنفسهم وقالوا إن سياسة أميركا حيال لبنان هي المحافظة على سلامته وضمن حدوده المعترف بها دولياً. وفالدهايم قال: إن الأمم المتحدة لن تقبل بتقسيم لبنان أبداً. واستنتجت من ذلك أن لبنان سيبقى كما هو[٤٩]». ولكن العميد يبقي احتمال استمرار المؤامرة وارداً. «فالرئيس كارتر قد يضطر (أو اضطر) إلى تبني هذه المؤامرة إرضاء لإسرائيل[٥٠]». ويذهب مالكوم كير الرئيس السابق للجامعة الأميركية في بيروت إلى القول: «يمكن لنا أن نحلل استراتيجية كامب ديفيد (وهي إنجاز كارتر) على أنها في الجوهر امتداد لديبلوماسية كيسنجر في العمل الأميركي المنفرد ولتكتيك الخطوة خطوة[٥١]».

(٤٨) المصدر السابق. ص ٢٦.

(٤٩) من تصريح ريمون إده لمجلة ماندي مورننغ الصادرة في ١٩٨٠/١٠/٢٧. أورده أنطوان خويري في: حوادث لبنان الجزء العاشر ١٩٨٠ (٢). ص ٣٠٣.

(٥٠) تصريح ريمون إده لوكالة الصحافة الفرنسية ٩٧٨/١٠/٩. ورد في أ. خويري. حوادث لبنان ١٩٧٧ - ١٩٧٨، ص ٥١٣.

(٥١) مالكوم كير: السياسة الأميركية في الشرق الأوسط: كيسنجر كارتر والمستقبل. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. نيقوسيا ١٩٨٤. ص ١٩٣.

□ ماذا فعل العميد إده في مواجهة مخطط كيسنجر؟

لم يواجه العميد إده مخطط كيسنجر من موقع المسؤولية الرسمية (لا كرئيس جمهورية ولا كوزير) بل من موقع مسؤوليته كرئيس حزب (حزب الكتلة الوطنية) وكنائب (عن منطقة جبيل). ولعل «قلة حظوظه في الرئاسة» ناتجة بالضبط عن موقفه «التاريخي» من السياسة الأميركية عامة في لبنان والمنطقة منذ العام ١٩٥٨. ومن مخطط كيسنجر بشكل خاص منذ أوائل السبعينات. ولا يخفي كيسنجر هذا الأمر حين يقول للعميد «نحن مع أصحاب الحظوظ ولسنا مع أصحاب العقول[٥٢]».

ويمكن اختصار مواقف العميد في مواجهة المخطط الأميركي بالأمور الأساسية التالية:

- كشف المخطط المذكور وشرحه وبيان أهدافه والتنبيه إلى مخاطره على اللبنانيين والفلسطينيين والعرب والتحذير منه في أكثر من مكان وزمان وفي عدة مناسبات وعبر العديد من وسائل الإعلام والتوكيد على أدوار أميركا وإسرائيل وسوريا وبعض الجهات اللبنانية في تنفيذ هذا المخطط... وهي أمور كان يكثر الحديث عنها (ولا يزال) كلما مرت الحرب اللبنانية بمرحلة جديدة مأساوية دامية.
- السعي الشخصي لاقناع المسؤولين الأميركيين بالتخلي عن هذا المخطط. وفي هذا الإطار تندرج زيارته للولايات المتحدة مرتين (كانون الأول ١٩٧٥ وكانون الثاني ١٩٧٦). ومقابلته

(٥٢) رد كيسنجر على العميد: مصدر سبق ذكره.

جوزف سيسكو مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرقين الأدنى والأوسط. وتعذر «مقابلته لكيسنجر لأسباب ذكرها كيسنجر في رده على العميد! واتصاله مع بعض السلطات الرسمية الأميركية وبعض أعضاء مجلس الشيوخ وممثلي الصحافة وكذلك مع المجلس المركزي في سنسيانتي للخمسين مليوناً من الكاثوليك الأميركيين... آملاً أن أتمكن من وقف تنفيذ مخطط كيسنجر... وإحباطه[٥٣]».

● محاولة إقناع كيسنجر شخصياً بخطأ مشروعه لما يشكله من ظلم على الدولة اللبنانية التي لم تظلم أحداً في التاريخ وذلك في كتابه المفتوح لكيسنجر الذي وجهه إليه في ١١/٦/١٩٧٦ ونشرته وسائل الإعلام في اليوم التالي وفيه يركز العميد على أن لبنان بلد حريات واقتصاد ليبرالي وتعايش مسيحي - إسلامي ويعيش أكثر من نصف مليون من أبنائه في أميركا بينهم العالم والأستاذ ورجال الأعمال وجبران... وهو بلد ما أساء قط إلى أحد من جيرانه...» (راجع الملحق رقم II)

● اتخاذ موقف مبدئي من الحرب اللبنانية ورفضه المشاركة، هو وحزبه، فيها، على اعتبار أن الدخول في هذه الحرب والمشاركة فيها هما دخول في مخطط كيسنجر وتنفيذ له.

● رفض الدخول والمشاركة في المؤتمرات التي عقدت «لمعالجة» الأزمة اللبنانية ومن أهمها مؤتمرات جنيف ولوزان والطائف... ليقينه أن هذه المؤتمرات هي بشكل أو بآخر جزء من السيناريو الأميركي - الإقليمي. وبالتالي لن ينتج

(٥٣) ريمون إده. كلمات ومواقف. مصدر سبق ذكره. ص ٣٢.

عنها خير للبنان ما دامت جزءاً من اللعبة الكبرى».

● ربط ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية اللبنانية بشروط قاسية وضعها مسبقاً وتقضي بسعيه لدى الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي (في حال انتخابه وهو في باريس) السعي لخروج القوات الأجنبية من لبنان: الإسرائيلية والسورية... وإلا فسيقدم استقالته للشعب اللبناني. وموقفه هذا يرتبط بموقفه المبدئي من الحرب والمخطط الأميركي لأنه يكشف مدى استمرار أميركا في هذا المخطط أو مدى تخليها عنه. فهو لن يكون في الرئاسة شاهد زور... وكلامه إلى اللبنانيين واضح: «لا تنتظروا حلاً في لبنان ما دامت إسرائيل تحتل شبراً من أراضينا[٥٤]» واستطراداً لن تخرج إسرائيل من الجنوب إلا بضغط أميركي ومثل هذا الضغط لن يحصل إلا يوم تتخلى الولايات المتحدة عن مخطط كيسنجر!

هذه هي باختصار المقومات الأساسية لمقاربة العميد ريمون إده السياسية لمخطط كيسنجر وهو، في هذه الناحية، من أكثر السياسيين اللبنانيين تركيزاً وتوكيداً على هذا المخطط وعلى مفاعيله وامتداداته اللبنانية والإقليمية بحيث بات هذا المخطط بمثابة «المعيار الوحيد» الذي يفسر ويشرح العميد من خلاله، كل ما يحدث على الساحة اللبنانية، بحيث أصبح العميد «رائداً» في هذا الموضوع، وصار العديد من السياسيين والإعلاميين يرددون طروحاته ويستذكرونها.

(٥٤) من حديث ريمون إده لوليد عوض. الأفكار. عد ٢٣٦؛ ٢٩/١٢/١٩٨٦.

الأباتي شربل قسيس

كيف يرى الأباتي شربل قسيس[٥٥] إلى مخطط كيسنجر والسياسة الأميركية تجاه لبنان ومهمة دين براون مبعوث كيسنجر إلى لبنان خلال حرب السنتين، باعتبارها أمور عايشها عن قرب وعن كثب؟! يورد الأباتي قسيس الملاحظات والوقائع التالية[٥٦]:

١ - إن الحديث عن مخطط كيسنجري «خاص» بلبنان يعني في الحقيقة تحجيماً للسياسة العالمية وتعبيراً عن قلة الدراية في فهم الواقع الدولي وسياسات الدول الكبرى. والصحيح القول أن هناك سياسة أميركية تتناول منطقة الشرق الأوسط كلها ومنها لبنان:

- وإن مهندس هذه السياسة هو بالتأكيد هنري كيسنجر.
- وإن الأميركيين غير قادرين (أو غير راغبين) على الخروج عن هذه السياسة حتى يومنا هذا.
- وإن دقائق وتفاصيل المخطط الكيسنجري «المكتوب» هو في الأرشيف السري جداً للولايات المتحدة. وحتى بين المسؤولين الأميركيين، فإن قلة قليلة تستطيع الاطلاع عليه وربّما يكون

---

(٥٥) هو الرئيس العام للرهبانية اللبنانية المارونية (١٩٧٤ - ١٩٨٠) وأحد مؤسسي الجبهة اللبنانية. ورئيس المؤتمر الدائم للرهبانيات اللبنانية. قام بدور وطني بارز خلال الحرب.

(٥١) من حديث مسجل أجريناه مع الأباتي قسيس في دير القديسين سركيس وباخوس في قرطبا، بتاريخ ١٩٩٠/٣/٢٤.

عددها لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة!

١ - في اعتقادي، يقول الآباتي قسيس، أن السياسة الأميركية قامت في هذه المنطقة على فرضيتين:

الأولى: فرضية المجموعات الكبرى (Grands Ensembles) وهي المجموعات التي يتزعمها قائد جماهيري يقول نعم أو لا باسم العرب فتسير الشعوب والأنظمة خلفه. فإذا اقتنع أقنع العرب... وهذه هي تجربة عبد الناصر التي سرعان ما اكتشف الأميركيون أنها غير ممكنة أو غير ناجحة (في ما يريدونه منها ولها)! وخاصة من حيث العلاقة بإسرائيل.

الثانية: فرضية المجموعات الصغرى (Petits Ensembles) أو الدويلات القائمة على عنصرين أساسيين في كل مجتمع: العرق والدين. وعند الشرقيين الدين يتقدّم على العرق. ويمثل هذه الفرضية تمكن إصابة عصفورين بحجر واحد:

- تفتيت العرب والعروبة.
- التلاعب بتعدد الدويلات، واستثمار تناقضاتها للوصول إلى الهدف المقصود: تبرير وجود إسرائيل.

وفي مختلف الظروف والأحوال، تهدف السياسة الأميركية في المنطقة للمحافظة على أمرين:

- على صداقة دول الخليج حيث ينبوع الطاقة.
- وعلى إسرائيل كقلعة عسكرية متقدمة.

فالسياسة الأميركية بالنسبة للصراع العربي - الإسرائيلي لم توضع خدمة لإسرائيل فقط أو تبريراً لها. فالأميركيون يتمسكون ببقاء إسرائيل وفي ذات الوقت، يتمسكون بصداقة العرب.

٣ - إن الإشكالية التي تنطلق منها السياسة الأميركية (سياسة كيسنجر) بالنسبة لشرقي المتوسط تتمثل في وجود خمسة شعوب وأربع دول. إذن: هناك شعب زائد بحاجة إلى أرض. الدول هي إسرائيل وسوريا ولبنان والأردن يضاف إلى شعوب هذه الدول الشعب الفلسطيني. فما هي الاحتمالات الممكنة لحل مشكلة «الشعب الخامس»؟

الاحتمال الأول: تهجير الأقلية المسيحية من لبنان وبالتالي تغيير النظام فيه وتحويله من بلد ذي وجه مسيحي إلى بلد ذي طابع إسلامي مما يسهل أمرين:

- دمج الشعب الخامس (الفلسطينيين) فيه.
- دمج كيانه السياسي بكيانات إقليمية أوسع (سوريَّة أو مشرقية) مما يعني شطبه عن خريطة المنطقة.

الاحتمال الثاني: خلق الدويلات الدينية ومنها «حشر» المسيحيين في دولة لبنان الصغير وتوطين الفلسطينيين المتواجدين في لبنان والذين يحتمل تهجيرهم حديثاً إليه من الضفة والقطاع، توطينهم في القسم الباقي.

٤ - يؤكد الأباتي قسيس أنه ما دامت مشكلة الشعب الخامس غير محلولة حتى الآن فلا يفكرنّ أحد بحل قضية لبنان. ويعطي عدة أمثلة حول اتفاقات ومسلمات ووثائق: بدءاً بالوثيقة الدستورية ومسلمات الرئيس سركيس الأربعة عشر التي وافق عليها ٦٥ نائباً مروراً باتفاق لوزان وبكفيا والاتفاق الثلاثي وصولاً إلى اتفاق الطائف... جميع هذه المحاولات باءت بالفشل لماذا؟ لأن طبخة الشعب الخامس لم تنضج بعد! وبانتظار ذلك

فإن كل الحلول المطروحة لن يكتب لها النجاح! وهنا يحمّل الأباتي قسيس الولايات المتحدة جزءاً كبيراً من مسؤولية عدم الوصول لحل في المسألة اللبنانية. فالمشكلة مع الأميركيين منذ العام ١٩٧٥ أنهم لم يجتهدوا أبداً في إقامة توازن ثابت (Equilibre) داخل التركيبة اللبنانية بل إنهم يسعون دائماً إلى إقامة معادلة «بهلوانية» (Equilibrisme) أي توازن رجراج بمعنى أنهم لا يسمحون لأي فريق لا بأن يَغْلِب ولا بأن يُغْلَب (بكسر اللام وفتحها) وذلك ضمن ثلاث لاءات: - لا للإنتصار أو الإنكسار. - لا لوقف الحرب. - لا للمصالحة. وهذا عائد في النهاية إلى سياسة اللعب على التناقضات لا سياسة السعي الجاد لإيجاد الحلول. ويرى الأباتي قسيس أن الولايات المتحدة لو اعتمدت مثل هذا السعي الجاد فربما حلت القضية اللبنانية. ولكن الأميركيين لم يفعلوا (ولن يفعلوا) بانتظار حل قضية الشعب الخامس!

قسيس.. براون وتهجير المسيحيين:

إذا كان الأباتي قسيس يرفض الخوض في التصورات الإفتراضية حول مخطط كيسنجر وعلاقته بتهجير المسيحيين فإنه بالمقابل يروي بدقة فصلاً واحداً (على الأقل) عاشه وهو ذو أهمية خاصة ويعني به زيارة دين براون، مندوب الرئيس فورد (الأصح مندوب كيسنجر) إلى لبنان خلال حرب السنتين(٥٧). ويوضح

(٥٧) دين براون سياسي أميركي مخضرم (يجيد الفرنسية) كان في الأردن خلال مجازر أيلول ١٩٧٠ وكُلِّف بمهمة في قبرص إبّان تقسيم الجزيرة ١٩٧٤. وصل إلى لبنان في ١٩٧٦/٣/٣١ وأجرى مشاورات (أكثر من مرة) مع كافة الأطراف اللبنانية حتى ١٩٧٦/٤/٢٢ ثم سافر إلى لندن حيث اجتمع بكيسنجر ١٩٧٦/٤/٢٣ وعاد إلى بيروت وغادرها في ١٩٧٦/٥/١١ بعد أن =

الأباتي قسيس أنه لم يكن يحضر اجتماعات مع الشخصيات الكبيرة إلا بحضور الرؤساء العامين لسببين:

الأول: إفهام الشخص المعني أن الأباتي لا يمثل نفسه فقط في المفاوضات.

الثاني: أن يعطي وجود الرؤساء العامين إلى جانبه ثقلاً أكبر له في التفاوض.

وهذا محضر (شبه حرفي)(٥٨) للحوار الذي دار بين دين براون والأباتي قسيس في الاجتماعين اللذين عقدهما مع المؤتمر الدائم للرهبانيات اللبنانية... وهو حوار ليس بحاجة إلى تعليق!!

□- **في الاجتماع الأول:** كان محط الكلام (Leitmotiv) عند براون هو «التقريع». قال لنا:

انتم مجانين. انكم تخوضون حرباً انتحارية. انكم تقودون شعبكم الى الكارثة. ليس لكم الحق في ذلك. هذه البلاد ليست بلادكم. انكم مجانين.	Vous êtes des fous. Vous menez une guerre suicide Vous menez votre peuple au catastrophe. Vous n'avez pas le droit de le faire. Ce pays n'est pas le vôtre. Vous êtes des fous .

= عقد مؤتمراً صحفياً تحدث فيه عن مهمته. وكان اجتماعه الأول مع الأباتي قسيس والرؤساء العامين للرهبانيات اللبنانية في الكسليك بتاريخ ١٣/٤/١٩٧٦.

(٥٨) جرى الحوار باللغة الفرنسية ولهذا، وحفاظاً على الدقة العلمية التاريخية أوردنا الكلام بنصه الأصلي بالفرنسية مع ترجمته العربية. بالاستناد الى محضر الاجتماع.

ويعلق الأباتي على كلام براون بالقول: إنه لم يقل لنا حرفياً وصراحة ما قاله للرئيس فرنجية أي: نحن آتون لأخذكم من هنا. ولكن إذا كان كيسنجر قد أرسل دين براون كما يقول «ليكتشف الخلل بسرعة» فقد أوقعت براون في الفخ بسرعة وسهولة. فبعد هذا التوبيخ العنيف (Douche Ecossaise) تعجب أخوتي الآباء العامون لماذا أنا ساكت. وبعد أن انتهى من كلامه قلت له بهدوء:

كديبلوماسي، انت عصبيّ وكثير الشفافية. ولكنك تحاول ان تتستر عما تريد قوله دون ان تقدر على ذلك. أنا، لو كنت في موقعك، لقلت لهؤلاء الآباء العامين الذين يمثلون الجماعة المسيحية: إن اقل مسيحي هنا لديه في اميركا اكثر من مايتي قريب وهم على استعداد لاستقباله بذراعين مفتوحتين. فلماذا تركبون رؤسكم للبقاء في هذه المنطقة التي ليست لكم (كما تقول).	Pour un diplomate vous êtes impulsif et très transparent. Mais vous essayez de vous camoufler sans le pouvoir. Moi à votre place, j'aurai dit à ces Pères Généraux qui représentent la Communauté Chrétienne: Le dernier des chrétiens Libanais a en Amérique au moins deux cent de proches-parents, et ils sont tous prés à vous recevoir à bras-ouverts. Pourquoi vous vous entêtez à rester dans cette région qui n'est pas la vôtre, (comme vous le dites).

... عندها ضرب دين براون على الطاولة وقال بحماس:

هذا هو بالضبط ما كنت أود ان اقوله لكم!	C'est précisement c'est-ce que je voulais vous dire!!

رد فعل براون هذا أوقعه في الفخ وكشف أنه آت ليقول لنا كمسيحيين بشكل غير مباشر «قوموا فلّوا» (أي ارحلوا). فهذه البلاد ليست بلادكم.

وهنا يقول الأباتي قسيس، قطعت على براون حماسه وفرحه بعد أن كشفت هدفه بالضبط، وقلت له بلهجة صارمة وواثقة ومتحدية:

اذن يا سعادة السفير، سنقول لكم العكس تماماً. اننا سنركب رؤوسنا ونبقى في هذا البلاد لقناعات اربع.

Eh bien, Excellence, nous allons vous dire le contraire. Nous nous entêtons à rester dans ce pays par convictions.

القناعة الأولى: إننا ما زلنا، في هذه المنطقة من العالم، من المتوسط حتى الشرق الأقصى، موطىء القدم الوحيد للمسيحية في الشرق. ليس بمعنى أن بلدنا لبنان، هو وطن قومي مسيحي. ولكن بمعنى أنه الوطن الوحيد الذي لا يزال له وفيه، وجه مسيحي.

نحن ضرورة كنسية في هذه المنطقة. ولست اعرف إذا كنت بروتستنتياً او كاثوليكياً. ولكنني أعرف جيداً ان وجودنا هنا هو ضرورة كنسية.

Nous sommes une nécessité Ecclésiale dans cette région. Je ne sais pas si vous êtes protestant où catholique. Mais je sais bien que notre existence ici est une nécessité écclésiale.

نحن ضرورة كنسية مسيحية في هذا الشرق ولن نتنازل عنها. قدرنا أن نشهد لهذا الدين في هذه البلاد التي لم يبقَ سواها ذا وجه مسيحي.

القناعة الثانية:

لدينا القناعة (ثانياً) بأننا باقون لوحدنا، في هذه المنطقة، التي حدثتك عنها، الممثلين الثقافيين الوحيدين للحضارة المسيحو-غربية.
من هنا فنحن ضرورة ثقافية. وهذه الضرورة الثقافية تتخطى بكثير نظرتكم الينا. لماذا؟

Nous avons la conviction que nous restons dans cette région, dont je viens de vous parler, les seuls représentants culturels de la civilisation chrétieno-occidentale. D'où, nous sommes une necessité culturelle. Cette nécessité culturelle dépasse de beaucoup ce que vous pensez. Pourquoi?

لأنه في هذه المنطقة تلتقي الديانتان الكبريان (المسيحية والإسلام) وتتفاعلان بما يمكّنهما من خلق حضارة ثالثة هي وليدة هاتين الديانتين. وقناعتنا تنبع من أننا، على امتداد الشرق، نمثل لقاء هاتين الديانتين.

القناعة الثالثة:

نحن، أيضاً، ضرورة سياسية في هذه المنطقة لأننا نكاد نكون وحدنا (وربّما نكون وحدنا) لا نزال نؤمن بالقيم التي تدعّونها أنتم من مثل الحرية والديمقراطية وكرامة الإنسان. وحدنا نظامنا ليس توتاليتارياً ولا ديكتاتورياً. ولا نزال نتمسك بالديمقراطية. هذه هي القناعة الثالثة التي تجعلنا نخاطر بحياتنا ونبقى هنا.

أما السبب الرابع، يا سيد براون، وأشدد على ذلك[٥٩]،

(٥٩) وصف بعض الآباء العامين الحاضرين كلام الأباتي قسيس هنا كمزيج من =

فليست قناعة لدينا ولكن شفقة عليكم. إذ يعزُّ علينا أن تقف بلادكم خجلى أمام التاريخ... وهي تشاهد، بل تساهم، في مخطط تهجير المسيحيين اللبنانيين! من جهتنا.. بإصرارنا على البقاء هنا...

Nous voulons vous épargner la honte de disparaître aprés dix sept siècles de résistance pour la liberté, alors que vous avez le leadership du monde libre!

نريد ان نوفر عليكم العار الناتج عن زوالنا (على يدكم) بعد سبعة عشر قرناً من المقاومة في سبيل الحرية... في حين تضلع بلادكم بزعامة العالم الحر!

هذه كانت «الضربة القاضية» كما يصفها الأباتي قسيس.

وعندها وقف براون وقال لي:

Mon père, vous m'avez mal compris. Moi j'aime les Maronites

يا ابتِ. لم تفهمني جيداً. أنا أقدر الموارنة كثيراً.

قلت له:

Vous venez de commettre une autre gaffe politique. Nous ne sommes pas tous ici des Maronites. Il y a quatre Pères Melkites parmi-nous.

انك ترتكب حماقة سياسية أخرى. نحن لسنا جميعاً هنا موارنة. يوجد بيننا اربعة آباء من الكاثوليك الملكيين.

= القوة والجرأة والاحتقار، بأنه كان أشبه بضرب الكرسي! ومن هنا سرت شائعة في الأوساط المسيحية آنذاك تقول إن الأباتي قسيس ضرب براون بالكرسي. وهو غير صحيح.

قال:

J'ai dit Maronite pour une raison.

قلت ماروني لسبب.

قلت:

Laquelle?

وما هو؟

قال:

Je dois ma vie à une maronite.

انني مدين بحياتي لفتاة مارونية.

واخبرنا كيف ان الحكومة الاميركية ارسلته الى قبرص لحل قضية الجزيرة فقاطعته قائلاً: «انشاءالله ما تحل قضية لبنان متل قضية قبرص».

قال:

Non. Laissez-moi vous terminer.

لا. دعني أكمل.

وتابع: عندما كنت في قبرص، وفي اثناء خروجي من أحد الاجتماعات سارعت سكرتيرتي، وهي يونانية من أصل ماروني، فألقت بنفسها علي بسبب محاولة اغتيال تعرضت لها. وقد اصيبت هي بالرصاص بدلاً مني وتوفيت بين يدي. وقال:

Je dois ma vie à cette secrétaire Maronite.

انا مدين بحياتي لهذه السكرتيرة المارونية.

عندئذ قلت له (يقول الأباتي قسيس):

Au moins, par reconnaissance à cette secrétaire Maronite,

على الأقل، وعرفاناً بجميل هذه السكرتيرة المارونية، حاول ان

essayez de comprendre que notre présence dans ce levant est une nécessité et que nous sommes des authoctones. Nous ne sommes pas des parvenus dans cette région. Nous étions ici bien avant ceux que voulez mettre à notre place.

تفهم أن وجودنا في هذا المشرق هو ضرورة. واننا أبناء البلاد الأصليون ولسنا دخلاء عليها او غرباء عنها. ان وجودنا فيها اقدم بكثير من اولئك الذين تسعى لتوطينهم مكاننا.

خلاصة المقابلة الأولى مع براون، كما يقول الأباتي قسيس، أن فكرة المبعوث الأميركي الأولى هي «فلّوا» (أي ارحلوا). وهذا واضح من كلامه عن الحرب الانتحارية وعلى أننا مجانين، وأن البلاد ليست لنا، وبشكل خاص عندما ضرب على الطاولة وقال بصدد إمكانية ترحيلنا إلى أميركا: «هذا بالضبط ما كنت أريد أن أقوله لكم» وبالتالي فالرئيس فرنجية صادق عندما يقول إن براون قال له: فلّوا من هذه البلاد التي ليست لكم».

□في الاجتماع الثاني بين براون والرؤساء العامين للرهبانيات اللبنانية تغيّر محطّ الكلام لدى المندوب الأميركي تغيّراً كلياً. ويمكن اختصار محط كلامه بهذه الجملة:

Quelles sont vos conditions pour une paix honorable?

ما هي شروطكم لسلام مشرِّف؟

يومها قلنا له: نحن لا نضع شروطاً ولكننا نريد منكم أن تأخذوا بعين الاعتبار نظرتنا إلى عمق المشكلة اللبنانية (بوجهها الداخلي) على الشكل التالي:

«يوم كان المسيحيون هم الأقوى والأشد، وكانوا قابضين على زمام السلطة في هذه البلاد، كانت الصيغة اللبنانية «الصيغة النموذجية»، (La formule Libanaise était la formule pilote).

ويوم ضعف المسيحيون وأصبح للمسلمين، بدعم الخارج، القوة التي هم فيها اليوم أصبحت هذه الصيغة «صيغة اختبارية» (Une formule Test). إن على المسلمين أن يبرهنوا، بأي مقدار، عندما يكونون أقوياء، تمكنهم المحافظة على ما يسمّى بالتعايش وليس التسامح. نحن دعاة تعايش ولسنا هواة تسامح. مفهوم التعايش يعطينا الحق بالوجود. أما في ظل مفهوم التسامح فلا حق لنا بالوجود. أنا أسمح لك بالدخول علي، أنت لا حق لك بالدخول علي: هذا هو التسامح. التسامح متعلق بإرادة القوي وليس بحقوق الضعيف بينما التعايش متعلق بحق الضعيف الذي يوازي حق القوي.

بمعنى آخر:

Cette formule pilote est-elle capable de rester une formule pilote lorsque les musulmans sont à même de gouverner?... Ou bien elle va devenir une formule test et prouver qu'elle n'existe pas... et i n'y a que la tolérance qui permet notre existence dans cette région.

هل هذه الصيغة النموذجية قادرة على البقاء صيغة نموذجية عندما يصبح المسلمون في موقع السلطة...؟ ام انها ستصبح مجرد صيغة اختبارية مما يعني أنها غير موجودة وأنه لا مبرر لوجودنا في هذه المنطقة سوى مفهوم التسامح؟

هذا شرطنا لسلام مشرّف. نحن نريد أن نعيش في دولة، التفاعل فيها يكون من جماعة روحية لجماعة روحية وليس من فرد لجماعة. وقلت لبراون: في سوريا يوجد مسيحيون وكذلك في العراق ومصر ولا أحد يتحدث في هذه الدول عن التعايش. فلماذا لا يتحدثون عن التعايش إلا في لبنان؟ السبب بسيط ولكنه ليس سهلاً: في لبنان التعايش يمارس من جماعة لجماعة وليس من فرد تجاه جماعة.

(La Cœxistence, Au Liban, s'exerce de communauté à communauté, et non pas d'individu à communauté).

عندما أنهيت كلامي هذا، يقول الأباتي قسيس، نظر إلي دين براون. وقال لي أمام الآباء:

غريب يا أباتي. تفكيركم هذا قريب جداً من تفكير كمال جنبلاط. فلماذا أنتم بعيدون عنه هكذا؟ هو يحترمكم وأنت خصوصاً يحترمك كثيراً. لماذا لا تلتقي وإياه؟

قلت له: منذ متى رأيت جنبلاط؟

قال: اليوم قبل مجيئي إليكم أي في حدود الساعة التاسعة.

فنظر الأباتي إلى ساعته وقال لبراون: الآن الساعة الحادية عشرة والنصف «بيكون غيّر رأيو»... فضحك براون كثيراً... وضحك الحاضرون!!

الرئيس الياس سركيس

في خطبه الرسمية أمام السلك الديبلوماسي. كان الرئيس الياس سركيس يشير إلى وجود مخطط للتوطين والتقسيم (خاصة التوطين) فيحذر منه ولكنه لا يشير إلى واضعي هذا المخطط وهويتهم. فهو لا يشير إلى كيسنجر بالإسم في كلماته.!

يقول الرئيس سركيس:

□- «إن كل تطلع لحل القضية الفلسطينية على أساس التوطين كما يتصور البعض، هو مرفوض أصلاً لأنه يمس مصلحة لبنان في الصميم، فضلاً عن أنه لا يأخذ بعين الاعتبار ما للشعب الفلسطيني من حقوق في أرضه». ويضيف: «نغمات التوطين هذه ترافقها نغمات التقسيم كأن هناك مخططاً للتوطين والتقسيم معاً.. وهذا لن يضعف من عزمنا في رفض التوطين والتقسيم معاً وكل ما من شأنه أن يهدد وحدة الوطن وسلامة أراضيه[٦٠]».

□- «من بديهيات الحق أن نستطيع رفض ما يطلع علينا بين الحين والآخر من بدع مستغربة تنتقص من السيادة والكرامة وتمس جوهر المبادىء الأساسية للوجود الدولي، وهذا هو مثل ما

(٦٠) الياس سركيس. مجموعة خطب وكلمات. وزارة الإعلام - مركز النشر اللبناني. بدون تاريخ ص ٢٧١.

اصطلح على تسميته التوطين: توطين الفلسطينيين في لبنان. فلا لبنان يوافق. ولن يوافق أبداً، ولا الفلسطينيون موافقون أو يمكنهم أن يوافقوا. وما يلفت النظر أن كل مشاريع الحلول لقضية الشرق الأوسط، على اختلافها، تلتقي على قاسم مشترك واحد ألا وهو توطين الفلسطينيين حيث يقيمون سواء سمي ذلك توطيناً أو غير ذلك بقصد التمويه... إن قضايا الشعوب لا تعالج بغير إطارها الطبيعي وليس بافتعال قضية لبنانية تسوّى قضية فلسطين. ولا بتشريد شعب آمن تحل مشكلة شعب مشرد.. لا بتغذية حرب هنا يصنع سلام هناك[٦١]».

(٦١) المصدر السابق ص ١٧٨ - ١٧٩.

العماد ميشال عون

تميّز إعلام العماد عون بإبراز «المؤامرة الكيسنجرية» على لبنان بالأسلوب الدعائي. وتزامن هذا التصعيد مع ظهور الموقف «السلبي» للولايات المتحدة من «حرب التحرير» التي أعلنها العماد عون ضد الجيوش الأجنبية في لبنان وخاصة الجيش السوري (١٤/٣/١٩٨٩). ولم يجد العماد عون تفسيراً لهذا الموقف الأميركي (من حرب التحرير) إلا في استمرار سياسة كيسنجر (بل مؤامرة كيسنجر) الهادفة إلى تقاسم لبنان بين سوريا وإسرائيل. ويشرح العماد عون الأسباب والدوافع على الشكل التالي:

□ـ «نشعر أن هناك مؤامرة. مؤامرة السكوت المتآمر الذي يشمل بالعطف سوريا في لبنان. إذا نظرنا إلى الشرق الأوسط وما يحصل فيه نرى أن إسرائيل لا تريد التخلي عن الجولان (هناك قرار بضمه) وحكومة شامير لا تريد التخلي عن الضفة الغربية وفي الوقت ذاته يريدون بدائل. أين هي؟ من صيدا إلى الجنوب، هذه المنطقة ستكون للفلسطينيين الذين سيهربون من الضفة. وإلى الشمال منطقة نفوذ سورية. هذا هو التآمر الدولي الذي يرعى مهمة سوريا في لبنان. أنا أتطلع إلى الأرض وأرى ماذا يرسم عليها. لماذا السكوت؟ وما هو السبب؟.. لأن أميركا في خط سياسي آخر[٦٢]».

(٦٢) الديار ١٣/٤/١٩٨٩.

□ـ من «التآمر الدولي» المستور إلى التآمر الأميركي المكشوف: يخرج العماد عون من التعميم إلى التخصيص على ضوء التجربة في حرب التحرير. يقول:

«كيسنجر هو وزير خارجية أميركا (الآن). والإدارة الأميركية (الحالية) تطبق سياسة كيسنجر. لم يحصل تغيير في السياسة الخارجية الأميركية (منذ زمن كيسنجر). فحتى لو بكوا في البيت الأبيض من الآن حتى عشر سنوات على الضحايا في لبنان، لن أصدق أن الإدارة الأميركية تريد توقيف حرب الإبادة. إن تصرفاتهم هي مجرد محاولة امتصاص لنقمة الشعب الأميركي وتغطية للجريمة السورية. إن أميركا ليست مهتمة بلبنان، بل هي باعت لبنان لسوريا. لأنه في أي حل في الشرق الأوسط يصبح لبنان بمثابة جائزة ترضية. إنهم يبحثون عن حل على حساب أحد.. وهو لبنان. وهذا هو التعاون الإسرائيلي ـ السوري ـ الأميركي. كيسنجر قال عن (الرئيس) الأسد: فليسامحني الله لأنني أحب هذا الرجل. إنه يحبه لأنه لن يسمح بتوحيد لبنان[٦٣]».

وباختصار، يؤكد العماد عون «أن المخطط الأميركي ما زال هو نفسه مخطط كيسنجر والذي يهدف إلى تقاسم لبنان بين سوريا وإسرائيل[٦٤]» «وأن الولايات المتحدة هي التي تدير المؤامرة (على لبنان) وأنا لم أغير رأيي في ذلك. وكل يوم يثبت ذلك أكثر من

---

(٦٣) الأنوار ٣/٩/١٩٨٩.
(٦٤) السفير ١٢/٩/١٩٨٩.

يوم[٦٥]». ولهذا فإن الرد الوحيد الممكن والمناسب، في رأي العماد عون، على أطراف المؤامرة، هو في إعلان وممارسة «حرب التحرير» ابتداءً بالأقربين وصولاً للأبعدين. «لأن هذا هو الخيار الوحيد الباقي أمامنا».

---

(٦٥) النهار ٢٣/١٠/١٩٨٩.

فؤاد بطرس

السياسي اللبناني المخضرم ووزير الخارجية في عهدي الرئيسين شهاب وسركيس، لم يتناول كيسنجر والسياسة الأميركية حيال لبنان باتهام صريح (وهو الذي يصنفه السيد عبد الحليم خدام بأنه «أميركي مفضوح[٦٦]») بل تناول أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أحد جوانب «المخطط الكيسنجري» وهو توطين الفلسطينيين في لبنان، مما يعني أن المسألة جدّية على لسان وزير الخارجية اللبناني وأن الموضوع هو من الخطورة بمكان قال:

«لا يسعني أن أختم طلبي من دون أن أتعرَّض لموضوع هو من الخطورة بمكان. يتناول ما يحاك من مشاريع مشبوهة لتوطين الفلسطينيين في لبنان. فبأي حق وطبقاً لأية عدالة تراود البعض فكرة معالجة ظلم بظلم أعظم. وحل قضية شعب محقّة على حساب شعب آخر، والإخلال بتوازن وطن والمخاطرة بتفتيت كيان دولة كانت في عداد مؤسسي الأمم المتحدة. إنا نرفض رفضاً قاطعاً أي مشروع للتوطين وكل ما يمكن أن يؤدي إليه مباشرة أو مداورة. وسنقاوم كذلك التوطين المقنَّع في جميع مراحله بكل ما أوتينا من قوة تنبع من إيماننا بحقنا المقدس في وطننا. هذا الحق الذي لا يشاركنا فيه أحد. فأرض لبنان ليست أرضاً سائبة

(٦٦) كريم بقرادوني ـ السلام المفقود. منشورات عبر الشرق. بيروت ١٩٨٤. ص ٧٨.

وليست سلعة مطروحة في مزاد الصفقات الدولية. وإن من يفكّر هذا التفكير ليس عدواً للبنان ولقضيته فحسب. بل هو عدو للقضية الفلسطينية بالذات وعدو للسلام والعدالة في العالم[٦٧]».

(٦٧) من خطاب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٨٠/١٠/٢ أورده أنطوان خويري. حوادث لبنان ١٩٨٠. الجزء العاشر (٢). ص ٢٤٦.

الأمير فاروق أبي اللمع

في تعليقه على السياسة الأميركية حيال لبنان، غداة مغادرة طاقم السفارة الأميركية وعلى رأسهم السفير جون مكارثي، لبنان (في ١٩٨٩/٩/٧) قال الأمين العام للخارجية اللبنانية الأمير فاروق أبي اللمع ما يلي:

«إن السياسة الأميركية تجاه لبنان منذ العام ١٩٧٣، عندما جاء «الطيب الذكر» كيسنجر واجتمع وقتئذ إلى الرئيس فرنجية، بدت أميركا متحيزة في الشرق الأوسط. وكلنا يعلم سياسة كيسنجر. إنها ليست متحيزة إلى جانب سوريا كما يقول البعض ولا يهمها لبنان. أميركا لها مصلحة استراتيجية واحدة في هذه المنطقة من العالم. هي مع دولة إسرائيل».

وأعاد الأمير أبي اللمع إلى الذاكرة «أن الرئيس فرنجية قرر عام ١٩٧٥ قطع العلاقات الديبلوماسية مع أميركا. وقال للسفير غودلي على ما أظن: تفضل عد إلى بلادك لأن المكتوب يقرأ من عنوانه. وأضاف: «إن لأميركا مصلحة مع سوريا لأن تضغط على الفلسطينيين، مشيراً إلى تنسيق أميركي - سوري في هذا المجال. وذكّر أبو اللمع بمهمة دين براون العام ١٩٧٦ عندما اجتمع إلى القادة المسيحيين في لبنان ودعاهم للهجرة إلى الولايات المتحدة. وقال: هذه هي السياسة الأميركية تجاه لبنان. ولم تتغيّر. وإن تغيرت فعلى صعيد التكتيك فقط(٦٨)».

(٦٨) السفير ١٣/٩/١٩٨٩.

إتيان صقر (أبو أرز):

اتّهم «أبو أرز» القائد العام لحزب «حراس الأرز» - حركة القومية اللبنانية - اتهم الولايات المتحدة بتفجير الحرب في لبنان. وقال في مؤتمر صحفي عقده في مقر حزبه في الأشرفية (١٩٧٨/١٢/١): «إن الدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركي السابق الذي رسم المخطط الأميركي، كان مقتنعاً بأن الشرق الأوسط لن يرتاح إلا إذا أعطي لبنان لسوريا، فتأخذ هذه نصيبها منه تعويضاً للجولان وتترك القسم الآخر للفلسطينيين تعويضاً عن فلسطين... ولكن فشل الفلسطينيون في تحقيق المهمة الأولى وفشل المخطط الأميركي نتيجة الصمود اللبناني غير المتوقع، فقرر الفلسطينيون الاكتفاء بنصف الجنوب، أي بالمنطقة الواقعة بين نهري الليطاني والزهراني. وقيل إن الخطة الأميركية عُدِّلت وإن التلزيم وقع هذه المرة على سوريا فطلب منها تنفيذ المهمة التي عجز عنها الفلسطينيون».

وذكر «أبو أرز» أن اللبنانيين لم يصدّقوا ما قيل عن السياسة الأميركية ولكن ثبت اليوم للبناني، بكل أسف، أن الولايات المتحدة ماضية في سياستها المعادية للبنان خلافاً لما تدّعي كل يوم من حرصها على سيادته واستقلاله ووحدة أراضيه. إلى آخر المعزوفة. والسياسة الجديدة ترمي إلى تشجيع اللبنانيين على الهجرة إليها... وخاصة الموارنة الذين يمثلون اليوم رمز الصمود

اللبناني والعنصر الأساسي للمقاومة اللبنانية والعائق الوحيد أمام تنفيذ المخطط الأميركي - السوري - الفلسطيني(٦٩)».

(٦٩) أنطوان خويري - حوادث لبنان. الجزء السادس ١٩٧٧ - ١٩٧٨. ص ٦٣٦.

الرئيس بشير الجميل

الشيخ بشير الجميل اتهم الغرب عامة والأميركيين خاصة، بأنهم باعوا المسيحيين اللبنانيين خدمة لمصالحهم في المنطقة. ويشير إلى دور هنري كيسنجر مشدداً على مسألة توطين الفلسطينيين في لبنان وفي الوقت عينه على دور المقاومة اللبنانية في التصدي لهذا المشروع. وزار الشيخ بشير الولايات المتحدة ثلاث مرات(٧٠). وعشية وصوله من زيارته الثالثة ألقى أحد أقسى خطبه النارية في مهاجمة سياسة الولايات المتحدة تجاه لبنان(٧١). ويمكن اختصار نظرة الشيخ بشير إلى الدور الأميركي (- الغربي) بالملاحظات التالية (المستقاة من خطبه وتصريحاته):

□- «كيسنجر والسوريون والعرب كانوا يريدون توطين جسم غريب في لبنان (الفلسطينيين) في محاولة لحل القضية الفلسطينية الكثيرة التعقيد وذلك على حساب شعب (لبناني) مركنتيلي، جشع، أناني وضعيف الشخصية. لكن ردة الفعل الرافضة من جانبنا أوقفت محاولة التقسيم هذه(٧٢)».

□- «الأميركيون كان هدفهم تهجيرنا وكانوا مستعدين

(٧٠) تمت هذه الزيارات في تشرين الثاني ١٩٧٧، وأيار ١٩٧٨ ومن ٢٤ أيلول حتى ٧ تشرين الثاني ١٩٧٩.

(٧١) خطاب ٧ تشرين الأول ١٩٧٩ في عرمون - كسروان بحضور السفير البابوي.

(٧٢) من تصريح للأوريان - لوجور ١٩٨١/٦/٢٣.

لتسهيل هجرتنا[٧٣]». أكثر من ذلك. يقول الشيخ بشير «الأميركيون حاولوا إعطاءنا نصائح: أسطولنا بتصرفكم. نعطيكم البطاقة الخضراء (للعمل والإقامة) وهناك في الولايات المتحدة نضعكم مع الفيتناميين. قالوا لنا: المسألة تتخطاكم بكثير أيها «الأصدقاء» وأنتم لا تقدرون على الوقوف في وجهها. قلنا لهم نفضل أن نموت هنا على أن نعيش هناك مع الفيتناميين الذين أجبرتموهم على الرحيل عن بلادهم[٧٤]».

□ـ ويضيف الشيخ بشير فرنسا والفاتيكان إلى لائحة الاتهام «الولايات المتحدة وفرنسا وحتى الفاتيكان، ودول أخرى، كانت تعتبر أن وجودنا في هذه الزاوية من العالم أصبح مزعجاً للمنطقة التي نعيش فيها. ظنّوا أن بإمكانهم تقديمنا هدية لأي كان كي، بالمقابل، يؤمّنوا مصالحهم. ولكن بمقاومتنا استطعنا أن نربح الرهان[٧٥]».

□ـ لماذا الإتهام؟.. «لأن الأميركيين والأوروبيين والعرب يهزأون من رئيس الجمهورية (الرئيس سركيس) عندما يدّعون في بياناتهم أنهم يقفون إلى جانب الرئيس والشرعية والجيش وأنهم يؤيدون وحدة التراب اللبناني ووحدة الشعب والسلطة المركزية وو... ولكنهم فعلياً يسمحون للفلسطينيين ببناء دولتهم في الجنوب[٧٦]».

(٧٣) الأسبوع العربي ١٤/٤/١٩٨٠.
(٧٤) اللواء ١٤/٧/١٩٧٩.
(٧٥) النهار ١٧/١٢/١٩٧٩.
(٧٦) الحوادث ١٨/٧/١٩٨٠.

□ـ ويعترف الشيخ بشير «بأن الولايات المتحدة تمسك بالمفتاح الرئيسي للحل لكافة المشاكل التي تنعكس على لبنان[٧٧]» ولكنه بالمقابل لا يهمل واقع «المؤامرة الأميركية» باعتباره «على اطلاع على السياسات الخارجية التي تحاك لنا[٧٨]». ومنها، بل في مقدمها، «الطرح الأميركي القاضي بتوطين الفلسطينيين في لبنان ولكن كمواطنين في دولة خاصة بهم تمتد حدودها من طريق الشام حتى الزهراني والليطاني[٧٩]» والأخطر من ذلك هو «أن الفلسطينيين يكذبون عندما يدّعون أنهم يعارضون التوطين[٨٠]». لهذا فهو يؤكد أمام المتدربين من شباب المقاومة اللبنانية إنكم تتدربون لأن الأميركيين يحاولون أن يفرضوا عليكم تقسيم بلادكم، وتتدربون لأن كل الغرب يتآمر علينا لتقسيم بلادنا[٨١]». كما يؤكد أمام وفد برلماني ألماني: «لن نجمع الأسلحة ونسلّمها إلا بعد أن نطمئن إلى أن المخططات التي تلعب بخريطة لبنان والعالم العربي قد طويت ومعها طوي مشروع إقامة الدويلات والحث على التذابح[٨٢]».

□ـ من خلال اتصالاته بالأميركيين، توصل الشيخ بشير إلى استنتاج، بأنه «بيننا وبين الأميركيين يوجد حائط سميك. فهم

(٧٧) ماغازين ٢٩/٤/١٩٧٨.
(٧٨) خطاب عرمون ٧ أكتوبر ١٩٧٩.
(٧٩) موندي مورننغ ٢٨/٥/١٩٧٩.
(٨٠) الريفاي ٢٧/٤/١٩٨٠.
(٨١) بشير: الحلم الحي. رابطة خريجي الحقوق جل الديب. بيروت ١٩٨٣ ص ١٦٥.
(٨٢) المصدر السابق.

يعتبروننا جماعة تقف حجر عثرة أمام تحقيق مشاريعهم[٨٣]». لهذا فهو يتخطى الإدارة الأميركية ويتوجه إلى الشعب الأميركي بالقول: «إننا نلفت شعب الولايات المتحدة إلى أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة تجاه لبنان ليست السياسة التي يستحقها هذا البلد. لأنه إذا طبقت هذه السياسة على بلدنا، عاجلاً أو آجلاً، فإن مصيرنا سيكون كمصير الشعوب التي عملت بالنصائح الأميركية فأدى ذلك إلى هلاكها أو شطبها عن خريطة العالم، أو على الأقل، أدى إلى تغيير وجهها وهويتها[٨٤]».

□- في ضوء هذه القناعات، يتخذ الشيخ بشير موقفين ثابتين:

الأول: لن نسلم مصير بلادنا لأحد كائناً من يكون: «لأن الشعوب التي وضعت مصيرها بين أيدي شعوب أخرى لتقرير مصيرها حكمت على نفسها بالزوال[٨٥]».

الثاني: سنقاوم كل مشاريع التوطين والتقسيم بالقوة... على الرأي العام السياسي الدولي أن يدرك أننا سنتصدّى بالسلاح لحل توطين الفلسطينيين ولن نسمح لأحد بأن يتكارم على الفلسطينيين من حسابنا وعلى حساب سيادتنا الوطنية[٨٦]». ولهذا يدعو اللبنانيين جميعاً للالتفاف حول هذا القرار.

(٨٣) الأسبوع العربي ١٤/٤/١٩٨٠.

(٨٤) SELIM ABOU. Béchir Gemayel ou l'Esprit d'un peuple. editions Anthropos. Paris 1984. p.205

من (خطاب ٧ أوكتوبر ١٩٧٩).

(٨٥) المصدر السابق.

(٨٦) الأسبوع العربي ١٤/٤/١٩٨٠.

«إذا كان التقسيم النفسي والجغرافي والواقعي قد حصل بفعل قرار سياسي خارجي يسمونه المؤامرة، فلماذا لا نتخذ قراراً سياسياً داخلياً ضد التقسيم ونوجه كل قوانا المعنوية والمادية في سبيل تحقيقه؟[٨٧]».

(٨٧) بشير الجميل: الحلم الحي. مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥. (من خطاب في مهرجان الأشرفية ١٢/١٢/١٩٧٦).

الفصل الثاني

مقاربة سياسيين مسلمين

المعلم كمال جنبلاط

رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي، وزعيم الحركة الوطنية، كمال جنبلاط تحدث عن «مؤامرة كيسنجر» وعن المخطط الأميركي - الإسرائيلي - العربي (السوري) لضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية.

حول هوية الضالعين في المخطط وأهدافهم يقول جنبلاط:

□- «إن المؤامرة في الحقيقة، ظاهرة على لبنان في قول كيسنجر: أن لا حل ولا سلم في المنطقة إلا بأن يسلم لبنان لسوريا وذلك تعويضاً عن الجولان الذي يبقى وفق الخطة الأميركية - الإسرائيلية، إسرائيلياً». وكدليل على ذلك يورد جنبلاط التحذير الذي وجهه رجل أميركي كبير له صلات في حقل التجارة والسياسة الى الصديق ادمون رباط قبل اندلاع الاحداث (وكان الاستاذ رباط في سويسرا) من ان هناك حركة

سيفتعلونها في لبنان لتدمير اقتصاده وجميع مؤسساته. وقال له حرفياً. «يا دكتور رباط انتبهوا لأن لبنان طاير[1]».

وما قاله الدكتور رباط لجنبلاط أوضحه له عدد من السفراء الأصدقاء وهو: أن هناك اتفاقاً أميركياً عربياً على أن يتم إعطاء الجنوب للفلسطينيين. والشمال والبقاع يكونان بيد سوريا. وقيام دولة مارونية في ما تبقى من لبنان[2]».

ويلاحظ جنبلاط «أن التصريحات الإسرائيلية والأميركية متوافقة مع النهج السوري. ويبدو أن الحكم المذهبي في سوريا يتطلب قيام دولة مارونية مذهبية في لبنان هذا هو المخطط الإسرائيلي في تقسيم المشرق العربي دويلات. ويبدو أن السوريين عن قصد أو عن غباوة لا تغتفر وبسبب انفعالهم الأناني، ضالعون في هذا المخطط[3]».

□- وفي مقال له بعنوان «سوريا أمام المنطق» يقول جنبلاط: «إننا أمام سياسة خارجية (سورية) تسعى إلى تنفيذ مخطط قد وضع لهذه المنطقة بالاتفاق التام مع الأميركيين وبمباركة الصهاينة وهو يقضي بدخول الجيش السوري (إلى لبنان) وباصطدامه بالشعب اللبناني والثورة الفلسطينية[4]».

---

(١) أنطوان خويري - الحرب في لبنان. الجزء الثاني ١٩٧٦ ص ٢٥٨ (١٩٧٦/٥/٣١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) من تصريح لجنبلاط في ١٩٧٦/٨/٧ أورده أنطوان خويري - المصدر السابق - الجزء الثالث ١٩٧٦. ص ٥٢.

(٤) كمال جنبلاط: لبنان وحرب التسوية. مركز الدراسات الاشتراكية بيروت ١٩٧٧. ص ١٦٥.

□- وفي مقال آخر له بعنوان «المؤامرة لم تنتهِ بعد» يتحدث الزعيم جنبلاط عن المخابرة الشهيرة بين كيسنجر ورابين قائلاً: «إن المخابرة التي جرت بين الوزير الأميركي كيسنجر وبين رئيس الوزراء الإسرائيلي رابين شهيرة ومضمونها الطلب من إسرائيل بأن لا تعارض دخول القوات السورية إلى لبنان وأنها فرصة لجعل العرب أنفسهم يقومون بالدور الذي كانت تحلم به إسرائيل والسياسة الأميركية...» ويضيف جنبلاط: «وما لبث اخواننا السوريون أن أخذوا بشعارات لا معنى لها ولكنها تعبر عن بعض مطامحهم مثل شعار «أمن سوريا مرتبط بأمن لبنان[5]».

وهكذا يقول جنبلاط: «إن الضوء الأخضر الأميركي قد أعطي للسوريين للدخول إلى لبنان. وكان كيسنجر، هذا الجرماني - السامي (Germano-Sémite) قد قام بدوره كاملاً كحاوٍ ماهر. فبالنسبة له (أي كيسنجر) إن مصلحة إسرائيل تتقدم كل شيء ولا بد من تحضير مؤتمر جنيف. لذلك كان لا بد من ترضية معنوية للنظام السوري لإدخاله في لعبة المؤامرات المقبلة حول السلام». ويضيف جنبلاط متأسفاً: «وكما العادة، فقد كنا في عداد المخدوعين، بل في عداد ضحايا القوى العظمى في هذه المشكلة الشهيرة المعروفة «بالمسألة الشرقية[6]».

□- ويتناول السيد جنبلاط أسلوب «التغطية» على المؤامرة الذي يعتمده السوريون سواء في السلطة أم في وسائل الإعلام. فيرد على وزير الخارجية السوري السيد عبد الحليم خدام قائلاً:

---

(٥) المصدر السابق ص ٥٣.

(٦) Kamal JOUMBLAT. pour Le LIBAN. stock. Paris 1978 p.36.

«إن المؤامرة التي يتحدث عنها الوزير خدام دون أن يتجرّأ على وصفها بالأميركية ـ الإسرائيلية، أي دون أن يحدد هويّتها، هي في الحقيقة محاولة لقيام الاتحاد الكونفدرالي السوري ـ الأردني والضفة الغربية مع وضع اليد على لبنان وتقويض النظام الديمقراطي الضامن للحريات ومحاولة ضرب المقاومة الفلسطينية».

ثم يذكّر صحيفة «الثورة» السورية بأنه «لا يفيد أن تصدر مقالات في صحيفة الثورة لتغطية المؤامرة، بالتهجم على مستر دين براون، أو على الأميركيين. لأننا لا نلتقي بالمستر براون أو بسواه من الممثلين الديبلوماسيين الأميركيين في لبنان، إلا ويوصينا تكراراً ومراراً بضرورة التفاهم مع إخواننا السوريين وأخذ مشورتهم ورأيهم وتسهيل أمر وساطتهم. . . ثم نقرأ الصحف الإسرائيلية فنرى فيها البركة الرسولية لكل ما يجري في لبنان[7]».

أما موقف جنبلاط من المؤامرة فيختصر بأربع كلمات: «رفض الحلول والتصدي للمؤامرة». وهو ما عبر عنه في مقالة له بعنوان «المؤامرة مستمرة ونحن بالمرصاد» بالقول: «إننا نرفض الحلول التي أثيرت أحداث لبنان لأجل تمريرها في جنيف أو على طريقة رقصة الخطوة ـ خطوة الكيسنجرية. وسنتابع تصدينا لهذه المؤامرة المثلثة الأطراف الدولية. . وفق الاتفاق الأميركي ـ السوري الذي تباركه إسرائيل والقاضي باستقدام الجيش السوري إلى لبنان لضرب الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية[8]».

(٧) أنطوان خويري ـ الحرب في لبنان ١٩٧٦. الجزء الأول. ص ٦٩٢.
(٨) كمال جنبلاط. لبنان وحرب التسوية. مصدر سبق ذكره. ص ٥١.

محسن ابراهيم

الأمين العام لمنظمة العمل الشيوعي، وأحد أبرز المنظّرين الماركسيين في العالم العربي، الأستاذ محسن ابراهيم قام بدور صلة الوصل الفكرية والعملية بين المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وخاصة خلال حرب السنتين ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦. . . وكان له رأي في «الخطة الكيسنجرية».

□ـ ينطلق محسن ابراهيم من الفرضية القائلة «بأن أميركا على استعداد لتقبل شطب لبنان من خارطة المنطقة بصفته كياناً وطنياً موحداً إذا ما اقتضت ضرورات نجاحها الشرق أوسطي مثل هذا الشطب». وعلى ضوء هذه الفرضية يدعو ابراهيم «الوطنيين اللبنانيين إلى الشروع في قراءة مؤامراتية للدور الأميركي وإلى استحضار الخطة الكيسنجرية الأصلية التي تنطلق من المقامرة بمصير لبنان ـ الوطن لترسيخ مصالح الأمبريالية الأميركية في المنطقة العربية ككل[9]».

□ـ ما هي «مصالح الأمبريالية الأميركية في المنطقة العربية»؟

جواب السيد محسن ابراهيم أن هناك أربعة ثوابت أساسية في الخطة الأميركية حيال المنطقة العربية:

(٩) محسن ابراهيم: الحرب وتجربة الحركة الوطنية اللبنانية ـ منشورات بيروت ـ المساء بيروت ١٩٨٣. ص ٢٠٨.

١ ـ استعادة السيطرة الأمبريالية على مجمل العالم العربي.
٢ ـ فرض حل استسلامي للصراع العربي ـ الإسرائيلي.
٣ ـ إعطاء إسرائيل دور القاعدة وإعطاء المنطقة العربية دور المحمية (الأميركية ـ الإسرائيلية).
٤ ـ جعل الشرق الأوسط منطقة صراع رئيسي مع الاتحاد السوفياتي بإدارة أميركية مباشرة[١٠]».

□ـ ويرى محسن ابراهيم أن هذه الخطة الأميركية ليست جديدة، بل تعود في صيغتها الحديثة إلى ما قبل عشر أعوام (أي للعام ١٩٧٣) أي إلى زمن كيسنجر. وترتكز هذه الخطة على نقطتين:

١ ـ اختراق مصر لإسقاط أهم وأكبر قطر عربي في مدار التبعية للأمبريالية.
٢ ـ اختراق لبنان بفتح الحرب الأهلية اللبنانية لشطب منظمة التحرير وتأمين الحلول المنفردة مع إسرائيل[١١]».

□ـ أما التكتيك الأميركي لتنفيذ هذه الستراتيجية (ودائما ضمن الرؤية الكيسنجرية) فهو يقوم بحسب محسن ابراهيم على أربعة عناوين:

١ ـ المراهنة على التناقضات والتعارضات داخل المعسكر الوطني العربي.

---

(١٠) محسن ابراهيم: قضايا نظرية وسياسية بعد الحرب. منشورات بيروت المساء. بيروت ١٩٨٤ ص ٢٧٥.
(١١) المصدر السابق. ص ٢٧٦.

٢ ـ تغذية الحروب الأهلية العربية.
٣ ـ شحن الوضع العربي بعوامل استنزاف داخلي مستمر.
٤ ـ إطاحة الحد الأدنى من التضامن العربي[١٢]».

□ـ في ضوء هذه المعطيات، كيف يفسّر محسن ابراهيم الحرب الأهلية اللبنانية من منظور «التوظيف» الأميركي (الكيسنجري) لها؟

يقول: «إن الاستمرار في الإدارة الجديدة للحرب الأهلية اللبنانية هو توجه أميركي أصلي وأصيل على امتداد عشرة أعوام من عمر الحرب[١٣]. ويمكن تلخيص استمرار الإدارة الجديدة للحرب الأهلية اللبنانية ضمن إطار التكتيك الأميركي، عربياً، بالقول: إن هذه الحرب الأهلية تشكل أحد أهم التوظيفات الاستثمارية الأميركية في المنطقة العربية. فهي وجهة مطلوبة لإنجاز عملية تقسيم لبنان وتسهيل الاغتصاب الصهيوني لجنوبه. وهي قاعدة أساسية للضغط على مجمل المشرق العربي ومن بوابته السورية تحديداً». وهي أرضية لا غنى عنها من أجل منع استقامة أضلاع المثلث اللبناني ـ السوري ـ الفلسطيني وتحوله إطاراً لحرب وطنية ضد إسرائيل وحليفها الأمبريالي».

ويختم ابراهيم بالقول: «إن الحرب الأهلية المستمرة على أرض لبنان يراد لها أن تكون بديلاً دائماً من أي حرب وطنية يمكن أن تنطلق من أي أرض عربية... إن الخسائر التي

---

(١٢) المصدر السابق. ص ٢٩٢.
(١٣) كتب المقال في ١٩٨٤/١/٢.

نتكبّدها، لبنانياً وعربياً، من جراء استمرار الحرب الأهلية اللبنانية، تتحول فوراً أرباحاً تدخل الجيب الأميركي الواسع[١٤]».

(١٤) المصدر السابق. ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

الشيخ محمد حسين فضل الله

الزعيم الإسلامي والمرشد الروحي «لحزب الله» في لبنان السيد محمد حسين فضل الله يرى أن أحداث لبنان «انطلقت من خطة السيء الذكر هنري كيسنجر»:

□ـ فالذكرى المشؤومة (ذكرى ١٣ نيسان ١٩٧٥) يستذكرها الشيخ فضل الله بداية للحرب في لبنان التي انطلقت من عين الرمانة وراحت تجوب لبنان طولاً وعرضاً. إنها «الذكرى المشؤومة التي انطلقت من خلال خطة السيء الذكر هنري كيسنجر الذي خطط لهذه الفتنة بدافع الالتزام الأميركي بأمن إسرائيل. وكان لا بد من كبش فداء تمتص إسرائيل دمه فكانت الحرب اللبنانية في الدائرة الفلسطينية[١٥]».

□ـ لماذا تحركت اللعبة الأميركية بتخطيط كيسنجري؟ جواب الشيخ فضل الله واضح: «تحركت لتربك كل مواقع حركة المقاومة الفلسطينية. وجاء الاجتياح الإسرائيلي ليسقط «البندقية الفلسطينية». ويضيف «أن القضية الفلسطينية لم تعد فلسطينية فقط بل صارت قضية الشرق الأوسط. ولهذا فالمطلوب إخضاع العرب كلهم والمطلوب أن لا تبقى في المنطقة العربية والإسلامية أية قوة قد تهدد الأمن الإسرائيلي أو تهدد طموح إسرائيل الكبرى... العمل الأميركي «الكيسنجري» يهدف لإخفاق كل

(١٥) السفير ١٩٩٠/٤/١٤.

مواقع السياسة العربية... وترتيب البيت العربي داخل البيت الأميركي[١٦]».

□ـ ويختصر الشيخ فضل الله رؤيته للمسألة اللبنانية على ضوء السياسة الأميركية الكيسنجرية بالآتي: «المسألة اللبنانية هي أنه يراد للبنان أن يسقط كله وتتفتت فيه كل المواقع من أجل مزيد من الدخان لحجب الرؤية عما يراد للبنان والمنطقة في المرحلة المقبلة. فالحرب اللبنانية بدأت من خلال الدائرة الفلسطينية بتخطيط أميركي. ولن تنتهي إلا من خلال هذه الدائرة وهذا التخطيط..» كيف؟ يقول الشيخ فضل الله «هناك في المستقبل حرائق لتحريك التوطين. وعندما تنتهي الأسباب يمكن أن تنتهي الحرب بحيث يكون لبنان المحرقة لكل المواقع التي تتحرك ضد إسرائيل فلا يرتفع فيه صوت للمعارضة والحرية[١٧]».

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق.

الفصل الثالث

مقاربة اعلاميين واكاديميين

عرضنا حتى الآن المقاربة السياسية لمخطط كيسنجر بالنسبة للبنان (والمنطقة) كما تناوله بعض الشخصيات اللبنانية: المسيحية واليسارية والإسلامية. بقي أن نعرض هذا المخطط من منظور بعض الإعلاميين والأكاديميين اللبنانيين لكي تصبح لدينا صورة أشمل عن رؤية اللبنانيين لهذا المخطط ولكيفية التعاطي معه.

أنطوان خويري*

يربط الصحافي أنطوان خويري بين نظرية كيسنجر وفكرة تقسيم لبنان. ويذهب إلى جذور بدعة التقسيم فإذا هي «في الأساس بدعة صهيونية وضعها مستشار الرئيس ترومان مورغانتو بهدف تقسيم ألمانيا باعتبارها مصدر الحروب في أوروبا[1]». تبنى هنري كيسنجر نظرية مورغانتو هذه «وراح يفتت الدول التي يعتبر أنها تشكل نواة اضطراب للدولتين الكبريين». ولقد سيطر هذا التوجه التقسيمي على أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ زمن ترومن وصولاً إلى زمن كيسنجر حيث تم تشجيع التقسيم لبعض دول العالم «فمن كوريتين إلى فيتنامين، إلى برلينين، إلى نيجريتين، إلى قبرصين.. وربّما إلى لبنانين[2]». وإذا كان دور لبنان قد تأخر فلأن دور لبنان لم يصل بعد» على حد تعبير كيسنجر خلال زيارته للبنان ١٩٧٣».

ويورد الأستاذ خويري تعليقاً لكيسنجر بعد انفصال بنغلادش (عن باكستان) وتقسيم قبرص (بعد دخول الجيش التركي إلى القسم الشمالي منها ١٩٧٤) إذ قال: «إننا لنذهل إذا نظرنا إلى خريطة أوروبا وآسيا. سنجد فيها باستمرار تغيير حدود

(*) صحافي ومربٍ وصاحب دار نشر ومنسق سلسلة «حوادث لبنان» في اثني عشر جزءاً. الصادرة عن دار الابجدية.

(١) أنطوان خويري. حوادث لبنان ١٩٧٥. مصدر سبق ذكره ص ٢٢٤.

(٢) المصدر السابق.

وظهور دول جديدة واختفاء دول أخرى(٣)». وهذا واقع يثير اهتمام كيسنجر كثيراً ويوفر له فرصاً عديدةً «للعمل». خاصة «وأن عالمنا بحسب كيسنجر، يضم في هذا القرن، دولاً لا تختلف من ناحية الفوضى وعدم الاستقرار عن الدول التي كانت معروفة في المدن الإيطالية والرومانية». (L'Etat-cité).

ويربط الأستاذ خويري بين كلام كيسنجر هذا، حول الدولة - المدينة، على الطريقة الإيطالية والرومانية في العصور القديمة، وبين افتتاحية ظهرت في صحيفة التايمز جرى فيها تشبيه لبنان بالمدن الرومانية والإيطالية(٤)»!! بمعنى آخر فإن التوجّه الكيسنجري بالنسبة للبنان كما يراه الصحافي خويري، هو التقسيم في أحسن الحالات والإلغاء في أسوأ الحالات!!

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٥.
(٤) المصدر السابق.

إميل خوري*

يعتبر الصحافي إميل خوري من أكثر الصحافيين اللبنانيين اهتماماً بخطة كيسنجر وانعكاساتها على لبنان. ويشرح الصحافي خوري الكثير من الأحداث والمواقف في الحرب اللبنانية على ضوء هذه الخطة مستعيناً في العديد من الحالات بآراء العميد ريمون إده في هذا المجال والذي «يكرر من العام ١٩٧٥ القول إن المؤامرة (الأميركية) على لبنان مستمرة(٥)». ولكن «ماذا يريد المتآمرون من لبنان وفي لبنان»؟

يجيب الأستاذ خوري متسائلاً بمرارة «ألا تكفي ١٤ سنة من العذاب والآلام والقتل والتهجير والخراب لتحقق المؤامرة أهدافها أو تفشل وتتوقف؟ فإذا كان من أهدافها التقسيم فليكن. وإذا كان من أهدافها التقاسم فليكن أيضاً. أما أن يبقى لبنان في معاناته إلى أجل غير مسمًّى، فهذا غير مقبول ولا معقول إذا كانت لدى الدول الكبرى ذرة من ضمير(٦)». ويورد الأستاذ خوري تصريحاً لهنري كيسنجر أدلى به لشبكة إن. بي. سي (NBC) الأميركية قال فيه: إن أفضل طريقة للعمل في الشرق الأوسط هي الطريقة المرحلية. وفي هذه المرحلة يبدو أن ما نستطيع التوصل إليه هو تقاسم لبنان بين إسرائيل وسوريا بحيث

(*) صحافي مخضرم. معلّق سياسي في صحيفة «النهار» البيروتية.
(٥) النهار ١٨/٣/١٩٨٩.
(٦) المصدر السابق.

تخضع لإسرائيل المناطق التي تسيطر عليها وتخضع لسوريا المناطق الموجودة تحت سيطرتها». ويهزأ كيسنجر من الكلام عن لبنان موحد في ظل حكومة مركزية «إذ يبدو له أن ذلك هدف غير قابل للتحقيق[٧]».

إن حرب الشرقية، بين القوات اللبنانية والجيش الموالي للعماد ميشال عون، والتي اندلعت في ٣١ كانون الأول ١٩٩٠، هي في نظر الأستاذ خوري أحد إفرازات المؤامرة الكيسنجرية. لأن الهدف من هذه الحرب هو «تحجيم دور الطائفة المارونية وهي أقلية مربكة ومزعجة لمخططات أميركا وتعطل كل الحلول التي تطرحها الولايات المتحدة خدمة لإسرائيل[٨]». وكذلك «الحرب الشيعية - الشيعية (بين أمل وحزب الله) ربما يكون من أهدافها تمرير مشروع توطين الفلسطينيين وربّما استيطان قسم من اليهود المهاجرين مناطق شيعية[٩]».

ويمكن اختصار رأي الأستاذ إميل خوري في موضوع سياسة أميركا والمؤامرة الكيسنجرية على لبنان بهذه الصورة «المعبرة»: «إن ما تفعله الولايات المتحدة الأميركية منذ نشوب الحرب سنة ١٩٧٥، إلى الآن، وبتخطيط كيسنجري، هو فلاحة الأرض اللبنانية كاملة، وعدم بقاء أي بقعة وإن صغيرة، من غير أن تمر فيها سكة الفلاحة، لتقلب التراب فيها. في انتظار أن تقرر (أميركا) أي نوع من البذار ستلقيه في هذه الأرض. وأي نوع من الغرس ستغرسه فيها[١٠]»!

---

(٧) المصدر السابق.

(٨) النهار ١٩٩٠/٤/٢٣.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) المصدر السابق.

نبيل خليفه*

خلال وجودي في باريس (١٩٧٨ - ١٩٨٠) كتبت مقالاً تحليلياً حول مخطط كيسنجر في العالم العربي. ظهر المقال على غلاف مجلة «المستقبل» (العدد ١٤٦ تاريخ ١٩٧٩/١٢/٨) بعنوان: «المرحلة السابعة». وقد زُيّن الغلاف بصورة لكيسنجر، وهو مشمّر عن ساعديه ليلعب الشطرنج وأمامه البيادق التي تمثّل الحكام العرب!

أهمية المقال ليست في تجاوزه المقاربة السياسية لمخطط كيسنجر باتجاه المقاربة الجيو - استراتيجية، بل في «الوثيقة» التي كانت في أساس كتابة هذا المقال. فقد سلمني يومها صاحب مجلة «المستقبل» ورئيس تحريرها الزميل نبيل خوري وثيقة بالعربية (مترجمة عن الإنكليزية) بعنوان «مخطط كيسنجر لتمزيق العالم العربي». وأبلغني أنه حصل على الوثيقة من مسؤول كبير في دولة عربية، هي على علاقات خاصة بالولايات المتحدة[١١]. ومن وحي الوثيقة كتبت المقال المذكور والذي لا يزال يحتفظ بجدّته وأهميته. قلت:

(*) صحافي وباحث وصاحب مؤلفات في الفكر السياسي. مؤلف هذا الكتاب، مدير مركز بيبلوس للدراسات والأبحاث.

(١١) تجد صورة عن الوثيقة في باب الملاحق (ملحق رقم IV) وفي حدود علمنا لم تنشر هذه الوثيقة حتى الآن. والملفت فيها وجود خطوط عريضة تحت مقاطع معيّنة!.

■ لماذا حدث ما حدث في العالم العربي والشرق الأوسط بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣؟

١) حرب لبنان ١٩٧٥ (مسبوقة باغتيال الملك فيصل آذار ١٩٧٥).

٢) حرب الصحراء الغربية ١٩٧٦.

٣) حرب الحدود المصرية ـ الليبية ١٩٧٧.

٥) الأحداث المذهبية في سوريا ١٩٧٩ وما سبقها من قتال على حدود اليمنين وما تبعها من تعسر التفاهم السوري ـ العراقي.

٦) أحداث المسجد الحرام في المملكة العربية السعودية ١٩٧٩...

هذه الأحداث تطرح على ضمير كل مواطن سواء كان بعيداً عنها أو قريباً منها، تطرح عليه بإلحاح السؤال التالي: لماذا حدث ما حدث؟

بالطبع هناك أجوبة كثيرة معروفة وجاهزة نردُّها إلى نوعين:

□ نوع الأجوبة الإقليمية المحلية التي تعيد كل حدث إلى أسبابه الداخلية المحلية الصرفة لتنزع عنه جوهره الدولي العام!

□ نوع الأجوبة العامة المبهمة التي ترد كل حدث إلى «مؤامرة» مفترضة من قوى أجنبية لتنزع عنه مبرراته الاجتماعية والأيديولوجية!

وأول ما ينبغي التساؤل عنه هو:

هل أن ما حدث حتى الآن (وما يمكن أن يحدث من بعد)

هو مجرد صدفة..؟

أم أن ما حدث يدخل ضمن مخطط واسع (استراتيجية سياسية معينة) تهيء الأحداث وتوجهها بما يخدم أهدافها؟

بالنسبة للسؤال الأول، فإن مفهوم القدرية التاريخية صار مفهوماً عتيقاً، فالإنسان، ككائن تاريخي، هو الذي يتحكم، بأحداث التاريخ. وبالتالي فكل حدث هو ذو دلالة سياسية، أي أنه يحمل في طياته مضموناً سياسياً معيناً. إن المصادفة (والاعتباط) أمر مستبعد، بل مستحيل. إن الافتراض بأن القدر هو الذي يسير التاريخ هو افتراض مات مع مفاهيم القرون الوسطى.

بقي السؤال الثاني: من الذي خطّط (ويخطط)؟... ولماذا؟

من السهل جداً توجيه الاتهامات لهذه الجهة أو تلك. ولكن إعطاء الأدلة الحسية على ذلك صعب... وأصعب منه تحليل الأسباب التي تجعل الجهة المتهمة (بفتح الهاء) متهمة بالفعل، ومن هنا فالسؤال الذي يحدد نوعية الاتهام والمتهمين هو: من يستفيد من حدوث ما حدث؟

١ ـ الملاحظة الأولى، هي أن اتساع الرقعة المكانية للأحداث تفرض أن تكون الجهة المعنية جهة دولية كبرى ذات علاقة بأوضاع العالم العربي والشرق الأوسط (إضافة إيران وتركيا أمر ضروري باعتبارهما دولتين متممتين جيوبوليتيكياً للعالم العربي)!

٢ ـ الملاحظة الثانية، إن ما يعنينا في هذا المقال ليس

الأحداث بحد ذاتها وهي كثيرة ومتشعبة ومؤلمة ومحزنة ومفجعة في كثير من وجوهها. . . بل الذي يعنينا هو خلفية هذه الأحداث وكونها أسلوباً معيناً يستغل وضعاً ما، في زمن ما، في بلد ما، للوصول إلى هدف ما!

٣ ـ الملاحظة الثالثة، أن هناك نظرية تقول بأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، على غير عادتهما في بقية مناطق العالم، يستفيدان سوياً مما يحدث على المديين القريب والبعيد. ولئن كان من السهل على المراقب أن يتبين بوضوح مدى الاستفادة السوفياتية على المدى القريب بإضعاف نفوذ الغرب، وعلى المدى البعيد باعتبار كل تغير اجتماعي ـ سياسي، يصب ضمن المحصلة الماركسية، في إناء الجدلية التاريخية، فإن من الصعب على المراقب نفسه أن يتبين مدى المصلحة الأميركية في ما يحدث!

فهل للولايات المتحدة مصلحة (ويد) في حدوث ما حدث. . . ولماذا؟

إن الإجابة الدقيقة عن هذا السؤال تقتضي العودة إلى كيسنجر! ليس على طريقة كيسنجر «السوبرمان» كما صوّره العرب. . . بل إلى كيسنجر رجل الواقعية السياسية البراغماتية في القرن العشرين.

إن فهم الأهداف الجديدة للسياسة الأميركية في العالم العربي والشرق الأوسط يقتضي العودة إلى فكر هنري كيسنجر السياسي (الستراتيجي). وبالاستناد إلى ما كتب عنه وإلى مذكراته التي نشرت حديثاً. . . وإلى خلاصة مخطط وضعه عام ١٩٧٤ خاص بالعالم العربي، ووصلت نسخة منه إلى مرجع عربي

مسؤول. . . بالاستناد إلى كل ذلك يُطرح السؤالان الآتيان:

□ـ ما هي استراتيجية الولايات المتحدة في العالم العربي والشرق الأوسط؟

□ـ وما هو التكتيك الذي وضعته لخدمة هذه الستراتيجية؟

١ ـ يرى كيسنجر، أن منطقة الشرق الأوسط التي تضم، بالإضافة إلى البلدان العربية، كلاً من تركيا وإيران، هي المنطقة ذات المركز الستراتيجي الأول في الصراع العالمي، فهي مستودع الطاقة الذي ترتبط به الحضارة إلى أمد طويل، وهي عقدة المواصلات للقارات الثلاث: أوروبا وآسيا وأفريقيا. وهي مفترق الحضارات الإنسانية. لهذا «شكّل الشرق الأوسط محور السياسة العالمية في القسم الثاني من القرن العشرين».

٢ ـ إن مختصر الأهداف الأميركية (والغربية) في هذه المنطقة هو في أربعة:

- تأمين المصالح الغربية البترولية ـ المالية ـ التجارية.
- إضعاف النفوذ السوفياتي.
- تأكيد أمن إسرائيل.
- إضعاف المتطرفين العرب.

٣ ـ إن المشكلة الأساسية في الشرق الأوسط تقوم (دائماً في رأي كيسنجر)، على مستويين من الصراع:

- الصراع العربي ـ الإسرائيلي من جهة.
- والمواجهة السوفياتية ـ الأميركية من جهة ثانية.

. . . ولأن الولايات المتحدة «ملتزمة التزاماً تاريخياً تجاه

إسرائيل» فإن وقوف السوفيات إلى جانب العرب يهدد مصالح الغرب الحيوية. إن الصراع العربي - الإسرائيلي هو الذي يستقطب القوتين العظميين ويضع العرب جميعاً كتلة واحدة في مواجهة إسرائيل، كما يضع الغرب أمام الخيار الصعب بين موقفين وسياستين:

- التخلي عن إسرائيل من أجل العرب.
- أو «قطع البترول ومواجهة النتائج المدمرة المترتبة عليه».

وكلا الخيارين... أحلاهما مر في حلق أميركا والغرب!

٤ - إن احتواء النفوذ السوفياتي في المنطقة لا يمكن أن يتم إلا ضمن فكرة التوازن الدولي (الوفاق الدولي) التي أخذها كيسنجر عن مترنيخ. هدف هذه السياسة إيجاد نقطة توازن تسمح بإعطاء الاتحاد السوفياتي مجالاً حيوياً للتوسع يتناسب وأهميته السياسية والعسكرية... وفي ذات الوقت، المحافظة على نفوذ ومصالح الولايات المتحدة الحيوية. إن نقطة التوازن هذه تفرض أن تخمد الحروب المحلية بفعل تسوية بين القوتين.. وهي تسوية لا تأخذ بعين الاعتبار وجود سياسة ومصالح مستقلة للأمم المعنية بالصراع. وفي رأي كيسنجر أن سياسة الوفاق مع الاتحاد السوفياتي قد أبعدته إلى حد ما عن منطقة الشرق الأوسط دون أن تلغي وجوده. إن السوفيات قادرون على العودة إلى الشرق الأوسط وتهديد المصالح الغربية لأن سيطرة السوفيات على المنطقة تعني السيطرة على أوروبا كلها. لكن السوفيات (القيادة الحالية على الأقل) لن يجازفوا باتخاذ هذا الموقف لثلاثة أسباب مرتبطة بالوفاق الدولي (ومصالحهم الحيوية):

□ حاجة السوفيات إلى القمح.

□ خفض الإنفاق على التسلح الستراتيجي من أجل تعزيز الاقتصاد السوفياتي ومشاريع التنمية.

□ أخذهم المجال الحيوي الخاص بهم في الشرق الأقصى.. وفي القرن الأفريقي. وهذه الأسباب ستجعل الولايات المتحدة في موقف يسمح لها بكبح التطرف السوفياتي والمساومة معه على سياسة معتدلة في الشرق الأوسط تأخذ المصالح الغربية في تلك المنطقة بعين الاعتبار.

٥ - ... إذا كان الوفاق الدولي قد أبعد الاتحاد السوفياتي (إلى حد ما) عن أن يكون طرفاً أساسياً ومباشراً في الصراع العربي - الإسرائيلي، وهو هدف كيسنجر الأول، فهل يستطيع الوفاق الدولي أن يحل عقدة الصراع العربي - الإسرائيلي المستعصية؟ وما هو تكتيك كيسنجر بالنسبة لهذا الصراع؟

□ يشبّه كيسنجر مشكلة الشرق الأوسط بمشكلة البلقان (وهو تشبيه له مغزاه!).

□ وفي تناوله مشاكل التاريخ، أخذ عن هيغل فكرة مأساوية التاريخ وأن «على بطل التاريخ أن يدوس الأخلاق الموجودة كي يحقق غاية الفكر». «فالفكر في التاريخ يتقدم على الأخلاق» وتلك هي الواقعية السياسية البراغماتية.

□ لقد شغله دائماً هذا الهاجس: كيف يمكن لثلاثة ملايين إسرائيلي أن يعيشوا بين مئة مليون عربي. وبالتالي فإن «بقاء إسرائيل يرتبط برأيه باثنين: قدرتها على القيام، دائماً، بضربة صاعقة وإيجاد وطن بديل للفلسطينيين.

□ إذا كان الوفاق الدولي، قد أبعد السوفيات (نسبياً) عن العرب، فإن كيسنجر قد خطط لهدفين كبيرين متلازمين مع هدف الإبعاد:

الأول، هو إبعاد العرب عن السوفيات.

والثاني، هو ضرب الإجماع العربي بتمزيق العالم العربي وإشغاله بصراعاته الداخلية لإبعاده عن صراعه مع إسرائيل، وبالتالي تبديل محور الصراع الحقيقي وتحويله إلى صراعات جانبية تربك روسيا وتريح أميركا من علقم الاختيار بين أمن إسرائيل وبترول العرب!

- إن الذين قرأوا مذكرات كيسنجر حول الشرق الأوسط (ومأساة العرب أنهم لا يقرأون) لاحظوا ولا شك أن موقف كيسنجر، على نقيض موقف روجرز (وزير خارجية نيكسون الأول) كان دائماً، كعضو في مجلس الأمن القومي، ضد تقديم أية تنازلات إسرائيلية للعرب بخصوص الأراضي المحتلة مقابل السلام! ففي الوقت الذي كان فيه روجرز يدافع عن نظرية أن الوقت يعمل ضد مصلحة أميركا في العالم العربي وأن عليها أن تجبر إسرائيل على تقديم تنازلات... كان كيسنجر يرى، منذ العام ١٩٦٩، أن «بقاء المأزق واستمراره يؤكدان أن الاتحاد السوفياتي غير قادر على تحقيق رغبات العرب... ومع الزمن فإن العرب سيستنتجون ولا شك أن صداقتهم للاتحاد السوفياتي ليست الطريق الصحيح لبلوغ أهدافهم. فإذا احتفظت أميركا بدمها البارد، فإن السياسة العربية المتطرفة ستعيد النظر بتوجهاتها عاجلاً أم آجلاً»... هذا الموقف سيجعل من الولايات

المتحدة محور المفاوضات في الشرق الأوسط ويثبت عجز السوفيات عن تحقيق أي تقدم فيه... وهذا هو الموقف الذي بدأ يعطي ثماره بعد حرب أكتوبر من خلال الأوراق التسعة والتسعين التي تحدث عنها الرئيس السادات... ووضعها في يد أمريكا!

ولكن كيسنجر ليس من النوع الذي تخدعه حقيقة المشكلات. فهو يعرف تماماً جوهر الصراع العربي الإسرائيلي. وعلى هذا الأساس حدد أسباب الراديكالية العربية بخمسة أسباب:

- احتلال إسرائيل للأراضي العربية.
- وجود إسرائيل في قلب العالم العربي.
- الاستياء الاجتماعي الاقتصادي في الدول العربية.
- مناهضة المصالح الغربية في المنطقة.
- مناهضة المعتدلين العرب.

إن مفهومه للسلام مع إسرائيل لا بد وأن يرتبط بهذه العوامل الخمسة وهو مفهوم يلتقي بكثير من وجوهه مع وجهة النظر الإسرائيلية. إن إعادة الأراضي للعرب هي وجه من وجوه الصراع... لكن ماذا عن الأربعة الباقية؟

والجواب، أن كيسنجر وضع لكل نقطة جواباً:

فلعرب السلام (كامب ديفيد) القابلين بالسلام من موقع غير راديكالي... سلام!

ولعرب الراديكالية.. الرافضين للسلام الفتنة في بلدانهم «... والفتنة أشد من القتل!...»

٦ ـ إن إثارة الفتنة لتمزيق العالم العربي لا يمكن أن تتم إلا عبر نقاط الضعف في الأوضاع العربية (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية). ولم يكن من الصعب على رجل ككيسنجر أن يحدد نقاط الضعف هذه... وأن يسعى إلى استغلالها لإشعال الفتن. فهو يصف أوضاع دول المنطقة (ما عدا إسرائيل طبعاً):

□بالاضطراب السياسي.

□بضعف المؤسسات السياسية.

□بافتقار قياداتها إلى الرؤية العريضة.

□بفساد الإدارة وضعف البنية الداخلية.

٧ ـ يحدد كيسنجر نقاط الإشغال الأساسية في العالم العربي بأربع:

□لبنان هو نقطة إشغال دول الهلال الخصيب ومفجر حرب الأقليات العرقية والمذهبية.

□والكويت هي نقطة إشغال دول الجزيرة العربية والعراق.

□والصحراء الكبرى هي نقطة إشغال المغرب العربي.

□وليبيا هي نقطة إشغال مصر.

وفي رأيه «أن الأوضاع السياسية في الهلال الخصيب غير قابلة للاستمرار.. وأن قيام إسرائيل عجَّل في انفجار مشكلة الأقليات وطموحها إلى الاستقلال ولا سيما الأكراد والمسيحيين والدروز والعلويين». وأن «الأجساد المتعددة للمملكة العربية السعودية قد تنفصل في حالتين: إذا فقدت الرأس الواحد... وإذا قامت فيها حركة تمرد نجحت في منطقة وأخفقت في أخرى»!.

إن أميركا التي تبنت استراتيجية كيسنجر وتكتيكه (أميركا الحقيقية لا أميركا التصريحات الاستعراضية) أميركا هذه:

□تركِبُ موجة الاستياء الاجتماعي في العالم العربي لاحتوائه من بعد!

□وتقطع الطريق على الراديكاليين العرب بتأييدها قيام أنظمة أقل عرضة للنقد والضعف.

□وتبعد عن إسرائيل سيف الإجماع العربي.

□وتحتوي كل تغيير ممكن في نطاق الإسلام أولاً وفي نطاق الوفاق الدولي ثانياً!

□... وتجعل لكل بلد عربي «شغلاً في جسده»!

... يقول كيسنجر في مذكراته «إن حدود بلدان الشرق الأوسط تبدّلت، خلال الأجيال، كما تتبدل كثبان الرمل في الصحراء...».

وإنه «خلال الخمسماية سنة التي تلت بزوغ الإسلام تألقت الأمة العربية عبر مؤسساتها السياسية. ثم وجدت نفسها من بعد، خلال زمن طويل، تحت سيطرة الحكام الغرباء، فصارت فكرة الأمة مفهوماً صوفياً ورؤية شبه نبوية وخيالاً فيه وحي للمؤمنين المتحمسين وباعث لأعمال بطولية... ولكن نادراً ما تحقق منه شيء في الواقع...».

... ولقد ردد دائماً قول مترنيخ «لأنني أعرف ماذا أريد وأعرف ما الذي يقدر عليه الآخرون... فأنا دائماً في وضع الاستعداد الكامل...»!.

... لهذا لم يترك لنا كيسنجر شيئاً نقوله أو ننصح به العرب حكاماً وشعوباً وهم يشرفون على المرحلة السابعة من مراحل الفتنة وحرب المصير.

«اللهم فاشهد... إنّا قد بلّغنا».

باريس ٨ ـ ١٢ ـ ١٩٧٩

نبيل خليفة «المستقبل»

المركز العربي للدراسات الدولية

دكتور فريد الخازن*

في دراسة له بعنوان «العلاقات اللبنانية ـ الأميركية في سياسة التوازن الإقليمي ١٩٧٥ ـ ١٩٨٩[١٢]» يعرض دكتور فريد الخازن تطور السياسة الأميركية تجاه لبنان منذ التدخل العسكري الأميركي في لبنان عام ١٩٥٨ ولكن بشكل خاص، منذ اندلاع الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥. وطبيعي أن يتناول دور هنري كيسنجر في رسم هذه السياسة. فما هو رأيه في هذا الموضوع بالذات؟

١ ـ ينفي د. الخازن أن يكون كيسنجر وراء إشعال الحرب في لبنان أو أن تكون لديه مخططات جاهزة للقيام بذلك. يقول: «بالرغم من تعدد النظريات المتعلقة بالسياسة الأميركية تجاه الأزمة اللبنانية والتي تتناقلها وسائل الإعلام منذ ١٩٧٥ حتى اليوم، ومع الاعتذار المسبق من المنظرين والمحللين السياسيين[١٣] فإن وزير

(*) دكتور في العلاقات الدولية وأستاذ محاضر في الجامعة الأميركية في بيروت.

(١٢) نشرت في مجلة «الدفاع الوطني اللبناني». العدد الأول السنة الأولى ١٩٨٩ ص ١٠ ـ ٢٩.

(١٣) في الهامش يكتب د. الخازن الملاحظة التالية «الصحف اللبنانية مليئة بأخبار مخططات كيسنجر لإشعال الحرب في لبنان أنظر على سبيل المثال مقالات إميل خوري في جريدة النهار. لن نذكر طبعاً تنظيرات السياسيين، وعلى رأسهم العميد ريمون إده حول هذا الموضوع. قراءة كيسنجر للحرب في لبنان موجودة في كتابه:
Henri Kissinger: Years of Upheaval (Little, Brown and company 1982) pp. 787-789.

الخارجية الأميركية السابق هنري كيسنجر لم يشعل الحرب في لبنان ولم تكن لديه مخططات جاهزة للتنفيذ لا في صيدا ولا في عين الرمانة ولا في بيروت». ويأخذ دكتور الخازن على القائلين بوجود مثل هذا المخطط أنهم لا يميزون «بين واقع الانهيار الحاصل على الأرض، والحاجة إلى مخططات لتحويل لبنان إلى ساحة صراعات إقليمية[١٤]».

٢ ـ ويذهب د. الخازن أبعد من ذلك «فيستخف» بالطروحات المؤامراتية ويعتبر أن «من أسخف الكتابات عن الحرب في لبنان تلك التي تربط انهيار الدولة وتفكك مؤسساتها بسياسة رجل شغل منصب وزير خارجية لفترة معينة، شهدت المنطقة خلالها أحداثاً وتطورات تفوق بأهميتها ما كان يدور على الساحة اللبنانية من خلافات داخلية وتدخلات خارجية[١٥]».

٣ ـ ولا يعطي دكتور خازن، كيسنجر أية ميزة أو خصوصية داخل الإدارة الأميركية «إن نظرة كيسنجر إلى لبنان مشابهة لنظرة أي مسؤول أميركي في موقع صنع القرار في السياسة الخارجية الأميركية». والسبب في ذلك هو أن «موقف واشنطن من المعادلة الإقليمية بعد حرب ١٩٧٣، ومن توازن القوى داخل لبنان وخارجه، اتخذ شكله النهائي في منتصف السبعينات وذلك بغض النظر عن هوية وزير الخارجية الأميركي وآرائه». هذا يعني أنه لا «فضل» لكيسنجر في شيء. «فكيسنجر أو سواه من المشرفين على سياسة واشنطن الخارجية كانت أمامه وقائع معينة

(١٤) المصدر السابق. ص ١٦.
(١٥) المصدر السابق.

تعامل معها بالطريقة التي تؤمن المصالح الأميركية بالدرجة الأولى، ومصالح حلفاء أميركا الرئيسيين في الدرجة الثانية[١٦]».

٤ ـ ولكن دكتور الخازن لا ينفي بتاتاً وجود مسؤولية أميركية (كيسنجرية) في الانهيار الذي حصل في لبنان. إلا أنها ليست مقصودة أبداً. فهي تعود «إلى السياسة التي اتبعتها واشنطن والتي رسمها كيسنجر لمعالجة النتائج التي خلّفتها الحرب (حرب ١٩٧٣). لقد كان للتحرك الأميركي الذي أدّى إلى فك ارتباط عسكري على الجبهتين المصرية والسورية، ولديبلوماسية الخطوة - خطوة التي اتبعها كيسنجر، انعكاسات سلبية على موقع لبنان على الخارطة السياسية في المنطقة». ويصرّ دكتور الخازن على القول بأن «هذه السياسة الأميركية لم تكن إلا ردّة فعل على واقع خلقته الحرب وليس نتيجة تخطيط أميركي رسمت خطوطه الكبرى قبل اندلاع حرب السنتين[١٧]».

٥ ـ ويتناول دكتور الخازن مهمة الموفد الأميركي دين براون فيصفها بأنها «مهمة خاصة لمحاولة إنهاء القتال في لبنان بأقل كلفة ممكنة لواشنطن، ويضيف «قيل الكثير عن مهمة السفير براون وعن آرائه وعن النصائح التي أعطاها لبعض القيادات المسيحية، لكن كل ذلك يأتي ضمن إطار التوجه العام للسياسة الأميركية تجاه الحرب في لبنان. فالهدف الأساسي من التحرك الأميركي كان إنهاء القتال في لبنان[١٨]».

(١٦) المصدر السابق ص ١٦ ـ ١٧.
(١٧) المصدر السابق. ص ١٧
(١٨) المصدر السابق.

... وباختصار يعطي دكتور الخازن صك براءة شبه كامل لكل من كيسنجر وللسياسة الأميركية تجاه لبنان. فواشنطن «لم تكن وراء الأزمة الوزارية (١٩٦٩) والتي انتهت بتوقيع اتفاق القاهرة. وواشنطن لم يكن لها يد في النزاع الفلسطيني - السوري للسيطرة على الوجود الفلسطيني داخل لبنان. لم تحاول واشنطن تفشيل زيارة الرئيس فرنجية لإلقاء خطابه في مقر الأمم المتحدة في نيويورك ١٩٧٤ بالرغم من التفسيرات التي أعطيت...» ويذهب دكتور الخازن إلى حد القول (مستنداً إلى وليم كوانت تلميذ كيسنجر) «ربما تكون أحداث منتصف السبعينات في لبنان قد فاجأت واشنطن بشكل أو بآخر» من هنا «الارتباك الأميركي.. وعدم وجود سياسة أميركية واضحة تجاه الأزمة اللبنانية[١٩]». بمعنى آخر، يرى دكتور الخازن ان اميركا (اميركا كيسنجر) هي آخر من يعلم بما يحدث في لبنان!

(١٩) المصدر السابق. ص ١٦.

الفصل الرابع

إستنتاجات أوليّة

إن مراجعة متأنية لآراء الشخصيات السياسية والإعلامية والأكاديمية التي أوردناها (وهناك غيرها ممن لم يتسنّ لنا الحصول عليها)، تدفعنا إلى استخلاص الاستنتاجات الأولية التالية:

١ - هناك اعتراف إجماعي بأهمية وفاعلية الدور الأميركي (سلبياً كان أم إيجابياً) تجاه المسألة اللبنانية خاصة وقضايا المنطقة بشكل عام. والصراع العربي - الإسرائيلي بالتخصيص.

٢ - إن الغالبية الكبرى تؤكد بالدليل المادي (الأحداث على الأرض اللبنانية وحولها) وبالدليل الإعلامي (تصريحات كيسنجر والمسؤولين الأميركيين) «وبالحدس» السياسي... تؤكد وجود سياسة أميركية ما.. **مخطط أميركي ما...** من وضع هنري كيسنجر يستهدف إحداث تغيير جذري في التركيبة اللبنانية. وهذا ما اصطلح اللبنانيون على تسميته «بالمؤامرة الكيسنجرية». وهناك أصوات قليلة لا تقر بوجود مثل هذه المؤامرة (د. الخازن).

٣ - من هم أطراف المؤامرة؟ هنا يختلف الجواب بين اللبنانيين:

□ـ فئة تشدّد على الطابع الأميركي للمخطط (الأباتي قسيس، الشيخ فضل الله).

□ـ فئة تحذّر من نتائج «المؤامرة» دون أن تشير إلى هوية أصحابها: التحذير من توطين الفلسطينيين في لبنان (الياس سركيس ـ فؤاد بطرس..).

□ـ فئة تعتبرها مؤامرة أميركية ـ إسرائيلية (سليمان فرنجية ـ محسن ابراهيم).

□ـ فئة تعتبرها مؤامرة أميركية ـ سورية ـ فلسطينية (بشير الجميل ـ إتيان صقر).

□ـ وفئة تعتبرها مؤامرة أميركية ـ إسرائيلية ـ سورية (ريمون إده ـ كمال جنبلاط ـ ميشال عون ـ فاروق أبي اللمع).

٤ ـ ما هي أهداف المؤامرة؟

يمكن اختصار هذه الأهداف، من ضمن المقاربة السياسية التي عرضناها، على الشكل التالي:

□ـ تقسيم لبنان وتقاسمه بين سوريا وإسرائيل.

□ـ توطين الفلسطينيين في لبنان (على حساب المسيحيين أو على حساب الشيعة أو على حساب الإثنين معاً).

□ـ تهجير المسيحيين لتسهيل عملية توطين الفلسطينيين.

□ـ ضرب البنية الفكرية ـ العسكرية ـ السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان.

□ـ بلقنة المنطقة وخلق دويلات طائفية انطلاقاً من لبنان.

□ـ شطب الصيغة اللبنانية: صيغة التعايش بين الأديان في دولة ذات طابع علماني. وتدمير الاقتصاد اللبناني وإضعاف وتفتيت

كافة المجموعات اللبنانية بتأجيج الصراعات الأنتر ـ طوائفية (بين الطوائف) ومن ثمة الصراعات الأنتر ـ طائفية (داخل كل طائفة)... مع إمكانية الانتقال من شطب النظام اللبناني... إلى شطب الكيان اللبناني الذي «يمكن الاستغناء عنه»!

□ـ إشغال العالم العربي.

□ـ ضرب الراديكاليين العرب.

□ـ إراحة وحماية الأنظمة العربية المعتدلة (الموالية لواشنطن).

٥ ـ إن الولايات المتحدة استعملت مباشرة (أو بواسطة شركائها) أساليب الترغيب والترهيب (استمرار حرب القتل والتدمير) والإقناع (بعثة دين براون ١٩٧٦ لحث المسيحيين على مغادرة البلاد (الرئيس فرنجية ـ الأباتي قسيس). وما دامت الولايات المتحدة لم تحل عقدة الشعب الخامس (كمدخل لحل عقد الشعب الإسرائيلي) فإن مأساة لبنان ستستمرّ.

٦ ـ أين هو الحد الفاصل بين الخيال والواقع في «مؤامرة كيسنجر»؟ هل هي مجرد فرضية لا دليل عليها أم أنها حقيقة تاريخية يقوم عليها الدليل بالوثائق؟ أحد أبرز السياسيين اللبنانيين الذين «تخصصوا» في موضوع كيسنجر، العميد ريمون إده، سئل مرّة: «هل تملك وثائق معينة تدين كيسنجر»؟ فأجاب: «في أمور من هذا النوع لا تتوفر الوثائق». وأضاف: «ليس عندي ما يمنع أن ينفي كيسنجر علاقته بما حدث في لبنان. بل إنني أرحب أن يصرح كيسنجر أنه لا دخل له بالوضع السياسي الذي يتخبط به لبنان[1]».

(١) المستقبل عدد ١٧٩؛ ١٩٨٠/٧/٢٦.

الأباتي شربل قسيس يعرض لهذه الناحية فيفرِّق بين التقرير الستراتيجي الذي وضعه كيسنجر خطياً لرسم وتبرير سياسته في الشرق الأوسط (بما فيه لبنان)، وهذا التقرير (هذا المخطط) يدخل في عداد الوثائق السرية الأميركية المرتبطة بالأمن القومي للولايات المتحدة وهو ما لا يمكن الاطلاع عليه إلا لدى أشخاص معدودين في مراكز السلطة في واشنطن. . . وبين أجزاء أو خطوط عامة أو تلميحات ذات علاقة بهذا المخطط يمكن تسريبها بل يفرض فرضاً لأنها على علاقة بما يجري على أرض الواقع من أحداث. ولا بد من شرح وتبرير هذه الأحداث أو توجيهها وفقاً للتصور الوارد في الخطة الأساسية. من هنا تمسُّك كيسنجر (والمسؤولين الكيسنجريين) بطلب تحويل كل جلسة مناقشة حول هذا الموضوع، داخل الكونغرس بالذات، إلى جلسة سرية!!

٧ ـ ما هي الحجج (المعايير) التي يلجأ إليها اللبنانيون (ساسة وإعلاميين ومواطنين) للاعتراض على مخطط كيسنجر أو لإقناعه بضرورة تغيير هذا المخطط أي بضرورة تغيير نظرته إلى لبنان النظام والدولة والكيان بما يعني (ويؤدي) حكماً إلى وقف الحرب في لبنان وضمان أمنه وسيادته واستقلاله السياسي ضمن حدوده المعترف بها دولياً؟

طوال هذه الحرب واللبنانيون يستعملون المعايير «**العاطفية**» «**والأخلاقية**» «**والدينية**» لتليين قلب إنسان «جرماني ـ سامي» كما يصفه كمال جنبلاط لا مكان في فكره الستراتيجي للعاطفة ولا للأخلاق ولا للدين:

●بيار الجميل يحدِّث كيسنجر عن «محبة **العدل**، واحترام

الفرد، واحترام الغير، والسلام القائم على **العدل**. والفصل بين **الإيمان والحق**: إيمان اليهودي بأورشليم وحق اليهود في أرض فلسطين[٢]»!!

●ريمون إده يذكّر كيسنجر بأن لبنان هو «أرض استقبال **وصداقة** ومثل **للتعايش** السلمي بين الديانتين الكبريين: المسيحية والإسلام. وهو بلد **ما أساء إلى أي بلد**. ومن **الواجب** مساعدته لأن وجوده لا يزال ذا نفع للعالم[٣]».

●الرئيس فرنجية يواجه كيسنجر بموقف إيماني (روحاني ميتولوجي). وفي يقينه أن «الشيء الذي يجهله كيسنجر فهو أن اللبناني يؤمن بالله. وهذا الإيمان يتجلّى بأننا وجدنا على أرض لم نخترها نحن، كما ولدنا من بطون لم نخترها نحن أيضاً. فوجودنا على هذه الأرض وضمن هذه الطائفة (أمران) ينبغي أن نحافظ عليهما كما نحافظ على دمنا. وهذا الأمر يجهله كيسنجر[٤]».

●إميل خوري يدعو إلى حسم الأمور في أي اتجاه لأنه لا يمكن أن يبقى لبنان معلقاً إلى أجل غير مسمى. ويتساءل حول الدور الأميركي: هل لا زالت لديه ذرّة من ضمير[٥]»؟!

وقس عليه!

باختصار، يمكن القول إن العديد من الساسة والإعلاميين والأكاديميين اللبنانيين (وحتى من عامة الشعب) صاروا في شبه

---

(٢) من الكتاب المفتوح إلى كيسنجر. مصدر سبق ذكره.
(٣) من كتاب العميد إلى كيسنجر. مصدر سبق ذكره.
(٤) مجلة العواصف عدد ٢٣، ١٩٩٠/٦/٨.
(٥) النهار ١٩٨٩/٣/١٨.

يقين أن هناك شيئاً ما (أميركياً) وراء ما يحدث في لبنان وأن كيسنجر ليس غريباً عنه! ولكنهم في الغالب لم يحاولوا أن يتبيّنوا حقيقة هذه الرؤية الأميركية (الكيسنجرية) وهي حقيقة تصعب الإحاطة بها (بخطوطها الكبرى على الأقل) إلا من ضمن مقاربة جيو ـ استراتيجية. وبديل أن تقوم لدى اللبنانيين (لدى نخبهم الفكرية والسياسية على الأقل) محاولات جدّية لشرح وإبراز هذا «المخطّط الكيسنجري» وتوعية اللبنانيين على مخاطره ومفاعيله وخاصة على الوسائل (أفضل الوسائل) للتصدي له من ضمن رؤية استراتيجية متماسكة ومناسبة، فإنهم في مواجهة ذلك اكتفوا بأساليب الشكوى والاعتراض والنقد والاتهام (لأميركا ولبعضهم البعض، ولسوريا وإسرائيل) واستمروا في التقاتل واستثارة العواطف والضمائر وذرف الدموع على القتلى والجرحى والمهجّرين ومناشدة «الضمير العالمي» مساعدة اللبنانيين على وقف آلة القتل والتدمير التي لم تتوقف مما يعني أن هذه الحرب لم تبلغ أهدافها بعد!

بناء عليه، فإن الوعي بالمخطط الكيسنجري لا يزال مهماً وضرورياً حتى ولو جاء متأخراً.

... فقد يكون فيه بعض الفائدة لذوي الألباب!!

القسم الثاني

كيسنجر: حياته ـ فكره السياسي

«... إن النظرة العاطفية لا تليق برجل مثلي يتطلع إلى جغرافية العالم من خلال مصالح أميركا... ومن خلال مصالح إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط».

هنري كيسنجر

مدخل

لم يعد جائزاً، في «العصر النووي»، الحديث عن السياسة أو عن الديبلوماسية بمعزل عن الستراتيجية. فالديبلوماسية والستراتيجية هما وجهان متكاملان للسياسة الخارجية للدولة الحديثة وكلاهما يهدفان إلى تنظيم علاقة هذه الدولة ببقيّة دول العالم تحقيقاً للمصلحة القومية. ولا ينطبق هذا القول على الدول الكبرى (والعظمى) فقط، بل هو ينسحب على كافة دول العالم (بنسب متفاوتة) ويعني، أكثر ما يعني، الدول التي لها وضع دولي خاص نظراً لأهميتها الستراتيجية. على أن الدول العظمى (ونموذجها الحالي في الولايات المتحدة الأميركية) هي الأكثر اهتماماً بالفكر الستراتيجي (والخطط الستراتيجية) لأن «مصلحتها القومية» هي على علاقة مباشرة بمعظم (بل بكل) دول العالم وحتّى بالكون الخارجي (السيطرة على الفضاء).

والمصلحة القومية هي «تحقيق أمن الدولة في الداخل كما في الخارج» وهذا يتطلب «حماية السيادة الوطنية وتنمية مقدرات الدولة من القوة وزيادة ثرائها الاقتصادي والدفاع عن معتقداتها

الأيديولوجية وصيانة ثقافتها الوطنية والتمسّك بهدف السلام[1]».

انطلاقاً من هذا التعريف للمصلحة القومية، يمكن الخروج بنتيجتين أساسيتين:

الأولى: أن المصلحة القومية هي المحرك الأول والأساسي للعلاقات الدولية.

الثانية: أن مضمون هذه المصلحة ليس شيئاً جامداً أو ثابتاً أو نهائياً باعتباره خاضعاً لمتغيرات التاريخ وتحولات الجغرافيا وبالتالي فإن رؤية المصلحة القومية لدولة ما هي بنت التصورات التي يضعها المسؤولون عن هذه الدولة (عن هذه الأمة)، في زمان معيّن وضمن شروط وأوضاع (داخلية وخارجية) معينة وفي ضوء فلسفة معينة (نظرية معينة) ذات علاقة بالنظرة إلى التاريخ. من هنا الحديث عن مدارس سياسية مختلفة في الدولة الواحدة وفي الزمن الواحد.

هذه التصورات (للقادة والمسؤولين السياسيين والعسكريين ومؤسسات التخطيط ومراكز الأبحاث...) هي التي تحدد الأهداف السياسية للدولة (للوحدة السياسية). ولتحقيق هذه الأهداف تعتمد الدولة وسيلتين متكاملتين: الديبلوماسية والستراتيجية.

□فالديبلوماسية تعمل على تنفيذ سياسة الدولة خارج حدودها (علاقاتها ببقية الدول) لتأمين مصالحها والمحافظة على

(١) د. اسماعيل صبري مقلد. الاستراتيجية والسياسة الدولية. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٧٩ ص ١٠ - ١١.

السلام (من منظورها الخاص) بالوسائل السلمية (عبر جهازها الديبلوماسي) من دون إهمال الوسائل المادية.

□أما الستراتيجية فيدل عليها أصلها اللغوي اليوناني: «Stratos» بمعنى «الجيش» و«Agein» بمعنى: قيادة، ومنها «Strategikos» التي منها استراتيجية. وقد عرّفها الكولونيل ليدل هارت (أحد أكبر خبراء الستراتيجية الإنكليز) بأنها «**فن توزيع وتنظيم الوسائل العسكرية بغية تحقيق أهداف سياسية**[2]». وهو ما يراه أيضاً المفكر الفرنسي ريمون آرون إذ يرى أن «**الاستراتيجية هي فن استعمال القوى العسكرية بغية تحقيق أهداف تحددها السياسة**[3]». ومع أن الستراتيجي الألماني المعروف كلاوشفيتز قَصَر معنى الستراتيجية على الأمور العسكرية باعتبارها «فن استعمال المعارك كوسيلة لبلوغ هدف الحرب» فإن معنى الستراتيجية تعمّم من موضوع الحرب (تحقيق أغراض الحرب وأهدافها) إلى موضوع التوجّه العام (الخطة الشاملة) للدولة بحيث صارت الستراتيجية في نظر الجنرال الفرنسي أندره بوفر تعني «تنسيق واستعمال القوى السياسية والإقتصادية والاجتماعية والنفسية والعسكرية ضمن مخطط منظم **وهادف إلى تحقيق المصلحة القومية**[4]» وهذه تعرف بالستراتيجية الشاملة تفريقاً لها عن الستراتيجية العسكرية المقصورة على استعمال القوى

(٢) د. بطرس بطرس غالي. الاستراتيجية والسياسة الدولية. مكتبة الأنجلو. القاهرة ١٩٦٧ ص ١١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) د. أدونيس العكرة. من الديبلوماسية إلى الاستراتيجية. دار الطليعة بيروت ١٩٨١ ص ١١٤.

العسكرية فقط. بهذا المعنى فإن الستراتيجية تشمل، ليس فقط قوة الدولة (Force) (أي وسائلها المادية من قوى بشرية وعسكرية واقتصادية الخ...) وإنما أيضاً قدرة الدولة (Puissance) على وضع قواها هذه موضع الاستعمال في ظروف معينة ولأهداف معيّنة. «**وهذه التعبئة للإمكانات المادية والاقتصادية والتقنية المتاحة للدولة. هي ما يميز الستراتيجية**[٥]». بمعنى آخر فإن الستراتيجية، كما يعرّفها جيرار شاليان (Gerard Chaliand) هي «تعقّل موازين القوى، باعتبار أن موازين القوى هي جوهر السياسة بالذات». وبالتالي «فمن يهتم بالعلاقات الدولية، فإن المقاربة الجيوبوليتكية والستراتيجية تسمح له بتجنب الشطط الأيديولوجي[٦]». وفي ضوء ذلك فإن كون الستراتيجية تعني «اعتماد خطة سياسية وتحقيقها بأفضل الوسائل (بالاستناد إلى قدرة التكتيك) فهذا يعني حكماً أنها تتلقى روحيتها وأهدافها من السياسة. ولذا فإن اعتماد الستراتيجية في العمل السياسي، في عالم اليوم، عائد إلى أن العمل السياسي صار يفترض عقلنة أكثر من الماضي لكي يكون فعّالاً أي: عقلنة الخيارات، والمنطق في العمل، وحسن تقييم الوسائل. ومن الوجهة الفلسفية، فإن الإيمان بفعالية الفكرة الستراتيجية يعني أن المجتمعات البشرية قادرة، إلى حد ما، على قيادة مجرى التاريخ والتحكم به. فالإيمان والالتزام بالفكر الستراتيجي هو فعل إيمان بالعقلانية وبمعقوليّة العمل والتاريخ[٧]».

(٥) جان بول شارناي ـ استراتيجيا عدد ٥٤. آب ١٩٨٦.
(٦) Le Monde ٢٥ ـ ٢٦ أيار ١٩٨٦.
(٧) Encyclopaedia Universalis.

أمّا تعبير «الجيو ـ استراتيجية» فهو نابع من ازدياد تأثير العوامل الجغرافية للدولة على علاقاتها الخارجية (حجمها، شكلها، موقعها، حدودها، علاقاتها بمحيطها، طوبوغرافيتها، ثرواتها، مناخها، وسكانها). وهي هذه العوامل، ما يحدد إلى مدى بعيد واقع الدولة من حيث تجارتها وأحلافها العسكرية وعلاقاتها بجيرانها وتأثيرها فيهم وتأثرها بهم. كما يحدد مدى تركيب الدولة وتوازناتها الاقتصادية والبشرية والثقافية والعسكرية بحيث يستحيل تصور استراتيجية تشمل، في جملة ما تشمل، هذه الدولة، دون الأخذ بعين الاعتبار واقع هذه الدولة الجغرافي. وبهذا تصبح الجيو ـ استراتيجية «دراسة الستراتيجية في ضوء البيئة الجغرافية[٨]» فهي «تتناول المركز الستراتيجي للدولة، أو المنطقة السياسية سواء في الحرب أو السلم» كما أنها «تهتم بالبيئة (بالجغرافيا) من ناحية استخدامها في تحليل أو تفهم مشكلة سياسية أو اقتصادية. ذات صفة دولية[٩]».. (وهذا هو وضع المشكلتين اللبنانية والفلسطينية) «فالجيو ـ استراتيجية هي الجغرافيا التطبيقية في مجال العمل والتخطيط[١٠]».

ثلاث حقائق يمكن استخلاصها من هذه التعريفات السريعة:

(٨) د. محمد محمود ابراهيم الديب: الجغرافية السياسية. مكتبة سعيد رأفت. القاهرة. ١٩٧٣ ص ٢١.
(٩) د. أمين محمود عبدالله. دراسات في الجغرافيا السياسية للعالم المعاصر. مكتبة النهضة القاهرة ١٩٦٨ ص ١٩.
(١٠) المصدر السابق.

الحقيقة الأولى: أنه في زمن الحرب الشاملة (العصر النووي) صار من الصعب التفريق بين الستراتيجية والديبلوماسية. ففي حين كانت الستراتيجية، في زمن الحروب التقليدية، تخضع للقرارات السياسية، أصبحت في زمن الحروب النووية تتحكم إلى حد كبير، بالقرارات السياسية.

الحقيقة الثانية: أنه ما دام متعذراً (وربما مستحيلاً) استعمال السلاح النووي كقوة استراتيجية عملية ضاغطة بشكل فعلي (نظراً للدمار الشامل لأجزاء كبرى من أنحاء العالم) أصبح البديل من الحروب الشاملة قيام (وربّما إشعال) حروب إقليمية وداخلية «للتعويض» عن استحالة تجربة الحروب الشاملة.

الحقيقة الثالثة: أنه من غير المعقول أو المقبول تصور دولة معاصرة يحكمها سياسيون غير عالمين ومتمرسين بعلم الستراتيجية لأن مثل هؤلاء السياسيين سيرتكبون، من دون أدنى شك، أخطاء مميتة بحق بلدانهم وشعوبهم. فإذا كان هذا الأمر يصح على دولة صغيرة مثل لبنان، فكيف سيكون الحال بالنسبة لدولة عظمى كالولايات المتحدة الأميركية؟! إنها بالتأكيد بحاجة لرجل ذي فكر استراتيجي خارق مثل هنري كيسنجر!

... منذ القرن الخامس قبل الميلاد (أي منذ ما يزيد على ٢٤٠٠ سنة) كان الأثينيون ينتخبون كل عام «قادتهم الستراتيجيين العشرة.!!» من بين أفضل ما لديهم من قادة استراتيجيين!

... فماذا نفعل نحن على عتبة القرن الحادي والعشرين؟!

الفصل الأول

هنري كيسنجر

حيا ته - مؤلفاته

«ثاني أقوى رجل في العالم»، «ضمير الإدارة» «أستاذ رئيس الولايات المتحدة» «إعصار الشرق الأوسط» «سكرتير العالم» هذه بعض الألقاب التي أطلقت على هنري كيسنجر الذي وصفه وليم كوانت بالقول «سوف يُنظر إلى كيسنجر دون شك بوصفه واحداً من أكثر الساسة الأميركيين قوة ونجاحاً في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية[(١)]».

فمن هو هنري كيسنجر؟

حياته

ولد هاينز[(٢)] ألفرد كيسنجر Heinz Alfred

(١) وليم كوانت. أميركا والعرب وإسرائيل. عشر سنوات حاسمة ١٩٦٧ - ١٩٧٩. دار المعارف القاهرة ١٩٧٩. ص ٣٩٤.

(٢) اسمه بالألمانية هاينز وأصبح هنري بعد هجرته إلى الولايات المتحدة.

ملاحظة: اعتمدنا في كلامنا على حياة كيسنجر على:

- د. سعد الدين ابراهيم. كيسنجر وصراع الشرق الأوسط - دار الطليعة - بيروت ١٩٧٥.

Kissinger في مدينة فورت Fürth بألمانيا (قرب ميونيخ) في ٢٧ أيار/مايو عام ١٩٢٣ من أبوين يهوديين وهو الإبن الأكبر للعائلة المؤلفة من صبيين: هينز وولتر Walter . التحق بالمدرسة اليهودية في فورت حيث تسكن جالية يهودية تقارب ٣ آلاف في مدينة تعد نحو ٨٠ ألفاً علماً أن عدد اليهود في ألمانيا آنذاك (أي عشية الحملة النازية عليهم) كان يقارب النصف مليون. عاش هاينز الولد والمراهق في هاجس التصفية على يد الشبيبة النازية خاصة بعد مقتل ١٢ شخصاً من أقاربه.

ولقد عرف عنه آنذاك شغفه بلعبة كرة القدم وهي هوايته المفضلة التي لا تزال ترافقه حتى اليوم[٣]. كما عرف عنه منذ صباه ميله إلى النساء.

في العام ١٩٣٨ قررت عائلة كيسنجر بمبادرة من والدته بولا Paula مغادرة ألمانيا وكان ذلك قبل ثلاثة شهور فقط مما عرف «بليلة البلور» «Nuit de Cristal» حيث هاجم النازيون عشرات الآلاف من اليهود في كافة أنحاء ألمانيا (ليلة ٩ - ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٨) وقتلوهم ونهبوا ممتلكاتهم. ونزلت عائلة كيسنجر في مدينة نيويورك ولم يكن الأمر سهلاً بالنسبة لهاينز الذي

= - د. عبد المنعم سعيد. هنري كيسنجر وفكره الستراتيجي. الفكر الستراتيجي العربي عدد ١٣ - ١٤ نيسان - تموز ١٩٨٥.

Marvin Kalb et Bernard Kalb: KISSINGER, Ses origines, sa formation, son ascension, son apogée - Robert Laffont. Paris 1974.

(٣) كيسنجر هو من أكثر المهتمين بالمونديال. ولقد لاحظ المشاهدون لمونديال إيطاليا ١٩٩٠ وجوده في كثير من المباريات المهمة في الدورة. كما كان له تأثير كبير في جعل الولايات المتحدة تنظم مونديال ١٩٩٤. والكثيرون يربطون بين شغف كيسنجر بلعبة كرة القدم وعلاقتها الحميمة بالستراتيجية والتكتيك.

صار اسمه الآن هنري. فأمام العائلة ثلاثة مصاعب أساسية: اللغة والعمل والمدرسة. التحق هنري بمدرسة جورج واشنطن الثانوية لمدة أربع سنوات ثم بكلية نيويورك لدراسة المحاسبة في حين كان يعمل نهاراً في أحد المخازن.

١٩٤٣ - حصل على الجنسية الأميركية وتم تجنيده في الجيش الأميركي حيث عمل في المخابرات في ألمانيا بالذات وأظهر براعة مميزة.

١٩٤٩ - ترك كيسنجر الجيش الأميركي نهائياً والتحق بجامعة هارفارد.

١٩٥٠ - حصل على شهادة الليسانس وكانت أطروحته بعنوان: «معنى التاريخ: تأملات حول اشبنغلر، توينبي وكانت[٤]».

١٩٥٤ - حصل على الدكتوراه في موضوع مهم شغله طوال حياته. فقد كان يأمل في كتابة ثلاثية عن السلام الأوربي بين ١٨١٤ - ١٩١٤ أي بين مؤتمر فينا وبداية الحرب العالمية الأولى. لكنه عاد فاختصره بفترة زمنية محددة ١٨١٢ - ١٨٢٢ وبعنوان «عالم مرمَّم: كاسترلاغ، مترنيخ وبناء السلام ١٨١٢ - ١٨٢٢[٥]».

١٩٥٥ - ١٩٧١ - عمل أستاذاً في جامعة هارفرد.

(٤) Le Sens De L'Histoire - REFLEXIONS SUR SPENGLER, TOYNBEE et KANT»

(٥) A WORLD RESTORED: CASTLEREAGH, METTERNICH AND THE RESTORATION OF PEACE, 1812 - 1822»

(ملاحظة: مترنيخ هو وزير خارجية النمسا وكاسترلاغ هو وزير الخارجية البريطاني).

١٩٥٧ ـ أصدر كتابه «الأسلحة النووية والسياسة الخارجية» حيث دافع عن مبدأ الحرب النووية المحدودة مما أثار ضجة داخل الكونغرس والبنتاغون. ومن ثمة دعا إلى إعادة النظر في الاستراتيجية الأميركية.

١٩٦١ ـ أصدر كتابه المشهور «ضرورة الخيار: منظورات السياسة الخارجية الأميركية(٦)» وكان ذلك عشية تسلم الرئيس جون كينيدي مقاليد الرئاسة الأميركية. وإذ دعا كيسنجر رئيس الولايات المتحدة إلى اعتماد سياسة دفاعية مرنة (رادع نووي محدود + أسلحة تقليدية) فقد شدَّد على دور الأنتلجنسيا الخلاّقة في صياغة السياسة الأميركية.

١٩٦٤ ـ طلق زوجته آن Ann بعد ١٤ سنة من حياة عائلية عاصفة.

١٩٦٥ ـ أصدر كتابه: «الشراكة المهتزة: نحو تقييم جديد للتحالف الأطلسي(٧)». وفيه انتقد سياسة الولايات المتحدة تجاه أوروبا زمن كندي وجونسون ودعا إلى إعادة تقويمها من جديد بالتشاور معها وبالتخلي عن سياسة الاستعلاء عليها.

١٩٦٥ ـ زار فيتنام حيث اكتسب لقب أشهر عميل سري في العالم. وفي هذه المرحلة قام بثلاث زيارات خاصة لإسرائيل حيث ألقى محاضرات في إدارة الصراع بين الدول.

---

(٦) THE NECESSITY FOR CHOICE: PROSPECTS OF AMERICAN POLICY»

(٧) THE TROUBLED PARTNERSHIP; A Reappraisal of the ATLANTIC ALLIANCE.

١٩٦٩ ـ أصبح مساعداً للرئيس نيكسون لشؤون الأمن القومي (١٩٦٩ ـ ١٩٧٥).

١٩٧٣ ـ تولى منصب وزير الخارجية الأميركي (١٩٧٣ - ١٩٧٧). وخلال منصبيه هذين لمع اسمه في السياسة الدولية بعد تحقيقه عدة إنجازات سياسية منها:

- معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية «سالت ـ ١» مع الاتحاد السوفياتي ١٩٧٢.
- سياسة الانفتاح على الصين. ١٩٧٢.
- الانسحاب الأميركي من فيتنام ١٩٧٣.
- فصل القوات في الشرق الأوسط بعد حرب أوكتوبر ١٩٧٣ على الجبهة المصرية (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥) وعلى الجبهة السورية (١٩٧٤).

بعد تركه الإدارة الأميركية عمل كيسنجر في عدد من المناصب الاستشارية لبعض الشركات الأميركية الكبرى «تشيز منهاتن» و«ن. ب. س NBC» و«جنرال إلكتريك». ثم قام بإنشاء شركة خاصة به للاستشارات السياسية (١٩٨٢). وفي العام ١٩٨٣ عينه الرئيس ريغان رئيساً للجنة الخاصة لشؤون أميركا اللاتينية بهدف إعادة تقييم سياسة الولايات المتحدة تجاه أميركا الجنوبية. وحتى الآن لا تزال كلمته مسموعة في الادارات الاميركية المتعاقبة، كما لا يزال العديد من موظفي الادارة الاميركية وخاصة في وزارة الخارجية، يلقبون «بتلامذة كيسنجر». كما لا يزال واحداً من المسؤولين الاميركيين السابقين الذين تتهافت وسائل الاعلام الاميركية على طلب رأيهم لدى حدوث أية ازمة دولية!

□من الجوائز التي حصل عليها:

جائزة وودود ويلسون للكتب (١٩٥٨). جائزة المعهد الأميركي للخدمات العامة (١٩٧٣). جائزة نوبل للسلام (١٩٧٣). ميدالية الفيلق الأميركي (١٩٧٤). وميدالية الرئيس للحرية (١٩٧٧).

الفصل الثاني

كيسنجر: فلسفته السياسية

«إن التاريخ ليس وقتاً للراحة ولا خشبة للمسرح: فجميع المجتمعات التي يعرضها (التاريخ) مرت بفترات من التدهور، حتى أن معظمها اختفى من الوجود. ولكن بين **الصدفة والضرورة** فإنه ليس **لرجل الدولة** سوى هامش محدود للمناورة، مما يسمح له أن يقوم **بخيارات**، وأن يصوغ، بصبر وصفاء ذهن، مصير شعبه. إن عدم الاعتراف بالحقائق الموضوعية هو أمر خطير، كما أن الاستسلام لقدرية التاريخ هو أشبه ما يكون باستسلام اخلاقي مما يعني اهمال عناصر **القوة والأمل والالهام** التي حافظت على البشرية عبر التاريخ. إن **مسؤولية رجل الدولة** هي في ان يناضل ضد **الظروف العابرة** دون أن يفتش عمن يدفع له من «عملة الخلود». فإذا كان الزعيم السياسي يعرف أن التاريخ هو عدو الديمومة فليس عليه أن يذعن (للتاريخ) ذلك أن شعبه ينتظر منه أن يناضل وأن يبدع وأن يحارب الانهيار الذي يهدّد جميع المؤسسات الإنسانية[١]».

(١) H. Kissinger: A La Maison Blanche. 1968-1973. Tome 1. Fayard. Paris 1979. P.58.

ملاحظة: نستند في هذه الدراسة إلى النص الفرنسي لمذكرات كيسنجر.

هذا المقطع، من مذكرات هنري كيسنجر، يختصر إلى حد كبير المحاور الأساسية لفكره السياسي، لفلسفته السياسية. وهذه المحاور، التي على ضوئها تشكّلت عناصر فكره الستراتيجي، يمكن وضعها تحت عنوان عام: «رجل الدولة والتاريخ» وهي تتضمن المبادىء الأساسية التالية:

١ ـ في الوجود عاملان أساسيان يتصارعان: العالم الخارجي (أحداث التاريخ) من جانب، والتجربة الذاتية (الإنسان) من جانب آخر.

٢ ـ مأزق الإنسان عامة، ورجل الدولة بشكل خاص، هو أنه يسعى للسيطرة على أحداث التاريخ ليعطيها الاتجاه الذي يريد. أي ليتحكم بها ويحدد المسار التاريخي. بمعنى آخر ليصنع التاريخ ولا يكون فقط شاهداً عليه! وفي هذا السياق يتحدد مدى نجاح رجل الدولة وفشله.

٣ ـ هذا المأزق يطرح بشكل مباشر مسألة «رجل الدولة والتاريخ والعلاقة بينهما. وهذه العلاقة تتضمن تناقضاً بين عنصر **الاختيار** (وهو أمر كامن في طبيعة الإنسان) **وعنصر الضرورة** (وهو أمر كامن في طبيعة التطور التاريخي[٢])». فأمام «السيل الجارف» من التطورات المتلاحقة عبر العالم، وفي زمن تاريخي محدد، (وهي تمثل عنصر **الضرورة**) يقف رجل الدولة بقدرته المحدودة **ليختار** الموقف المناسب، أي الحل المناسب للمشاكل التي تواجهه باعتبار «أن الحياة العامة لكل شخصية سياسية تمثّل نضالاً

(٢) د. عبد المنعم سعيد. هنري كيسنجر وفكره الستراتيجي. الفكر الستراتيجي العربي عدد ١٣ ـ ١٤ نيسان ـ تموز ١٩٨٥ ص ٢٧٩.

مستمراً لانتزاع عنصر **الاختيار** من ضغوط **الظرف التاريخي**[٣]». ولكن «**رجل الدولة هو إلى حد ما أسير الضرورة. فهو في** مواجهة مع عالم لم يخلقه، وهو موسومٌ بتاريخ شخصي لا يمكنه أن يغيّر فيه شيئاً[٤]». يضاف إليه، أن القادة (في هذا العالم) لديهم وقت محدود للتفكير وهم مأخوذون في صراع مستمر حيث **الضروري** يتقدم دائماً على **المهم**[٥]».

٤ ـ في إطار السياسة الدولية. يرى كيسنجر أن رجل الدولة موضوع أمام نمطين من النظم الدولية وعليه أن يختار أحدهما:

● النظام المستقر (Stable Order) وهو الناتج عن وجود شرعية عامة مقبولة من مجموعة من القوى الدولية بحيث يصبح النظام الدولي تحت رحمة أكثر المشاركين فيه قوة. فهو خلاصة اتفاق الدول الرئيسية في العالم على احترام وتعزيز توازن القوى بينها وعلى تحقيق الأمان لكل منها. «وفي مثل هذا النظام ينخفض الصراع إلى مستوى التنافس الذي يمكن ضبطه وتنظيمه وفق قواعد وأسس معينة يتم الاتفاق عليها بين القوى الدولية الكبرى»[٦].

● النظام الثوري (Revolutionary order) وهو نظام

(٣) هنري كيسنجر: في البيت الأبيض (مذكرات جزء أول) مصدر سبق ذكره. ص ٥٧.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) د. عبد المنعم سعيد. مصدر سبق ذكره. ص ٢٨٠.

قائم خارج النظام الدولي ومناهض له بحيث تسعى القوى الدولية الرئيسية لمواجهته وتغييره. وفي هذا يصبح الصراع نزاعاً مبدئياً بين النظامين لأنه يطرح مصداقية كلٍ منهما.

٥ ـ يمثل رجل الدولة المركز الرئيسي في نظرية كيسنجر سواء في النظام المستقر حيث يعطي رجل الدولة صفة (محافظ) أم في النظام الثوري حيث يلقب (بالنبي). إنه حجرُ الزاوية في النظام السياسي المستقر والشرعي لأنه صاحب رؤية ذات علاقة بالواقع. وعلى العكس فالنبي قائد في نظام ثوري حيث تنخفض القدرة على التنبؤ والتوقع. والسبب في ذلك معروف: فالنبي ينظر إلى الواقع من زاوية نبوية باعتباره موحياً للتاريخ فهو منزهٌ عن الخطأ... وأما المحافظ فينظر إلى الواقع من زاوية عقلية باعتباره مساهماً في صنع التاريخ ومعرضاً في كل لحظة للوقوع في الخطأ. النبي أمامه خيار واحد هو خيار النظرة الإلهية للتاريخ أما المحافظ فأمامه عدة خيارات وعليه أن يحسن الخيار ليتجنب الكوارث.

٦ ـ في ضوء هذه الاعتبارات، برز بعض ملامح التشاؤم في فكر كيسنجر. فهو، باعتباره رجل دولة محافظاً، موضوع دائماً على «الحبل الرفيع» لأحداث التاريخ:

- فهو غير قادر على التيقن المسبق من حدوثها.
- وهو غير متيقن من قدرته على التحكم بها.
- وهو لا يقدم سوى حلول مجزوءة لها.
- وفي كل ذلك فرجل الدولة وهو يواجه ثقل الأحداث يصبح مختلفاً عن أستاذ يلقي درساً في الجامعة أو فيلسوف يحدد مقولاته الفلسفية. ذلك أن «نجاح الفيلسوف يتعلق بالربط

المنطقي بين مقولاته، أما نجاح رجل الدولة فلا يكون فقط بما يستطيع تحقيقه من أهداف وإنما بمقدار ما، يستطيع أن يتجنب من كوارث[٧]». ومع ذلك، يرى كيسنجر «أنه من دون الفلسفة فإن السياسة تفتقر إلى معالمها الأساسية. وما لم يغامر الإنسان في المجهول ويتجرأ على القيام بخطوات غير مؤكدة، فإن البشرية لن تعرف السلام أبداً[٨]».

٧ ـ أيهما الأقدر في السيطرة على التطوّر التاريخي: رجل الدولة (في النظام المستقر الشرعي) أم النبي (في النظام الثوري الأنتي ـ شرعي)؟

جواب كيسنجر واضح وحاسم: إنه بالتأكيد رجل الدولة.

لماذا؟

لأن رجل الدولة (الناجح) يتسلح بعدة أمور منها:

- إن لديه رؤية واضحة (استراتيجية واضحة) للعلاقات الدولية.
- إن لديه مهارة مميزة في التكتيك الديبلوماسي (الجمع بين التفاوض والقوة).
- إن لديه قدراً قوياً من الحدس والقدرة على الخلق الدائم.
- إن رؤيته تنطلق من الواقع وهو يسعى ليترجمها إلى واقع.

هذه المميزات لدى رجل الدولة الناجح لا تلغي نهائياً دور

(٧) هنري كيسنجر في البيت الأبيض. ص ٥٨.
(٨) المصدر السابق.

الصدفة في مسار التطور التاريخي، ولكنها تسقطه إلى حدّه الأدنى «لأن الحظ في السياسة كما في الأنشطة الأخرى، ليس سوى مخلفات التصميم[9]». . . .وهكذا فإن رجل الدولة يحتل المركز الرئيسي في نظرية كيسنجر «لأنه حجر الزاوية في النظام السياسي المستقر والشرعي[10]».

بالمقابل فإن «النبي» «يتخطى» الواقع ويسعى لخلقه. «إنه قائد في نظام ثوري حيث تنخفض بدرجة كبيرة القدرة على التوقع والتنبؤ ويتزايد دور الصدفة لأن النظرة المثالية (الطوباوية) سوف تحل محل التصميم والتخطيط[11]». لذا فإن مشاريع النظم الثورية تزيد من الصراعات وبالتالي تعرقل التطور الإنساني.

٨ - . . . باختصار. ينطلق هنري كيسنجر، على الصعيد الفكري من «رؤية فلسفية قوامها محدودية الدور الذي يمكن أن يؤديه رجل الدولة في ضوء الظروف الموضوعية والتاريخية التي تحيط به. وبالرغم من محدودية هذا الدور فلا بد من إقامة **نظام دولي** مبني على **الشرعية والاستقرار**. لهذا فهو لا يربط بين **الشرعية والعدل**. فالشرعية بالنسبة له هي إطار مقبول، من قبل الأطراف الرئيسية في النظام الدولي، وليس بالضرورة عادلاً[12]». ذلك أن السياسة في رأي كيسنجر «لا تقوم على الأخلاق وحدها، ولا تقوم

(٩) هنري كيسنجر.. عالم مرمّم: أوربا بعد نابليون، دنلاب. نيويورك ١٩٦٤، ص ١٧٣.

(١٠) د. عبد المنعم سعيد.. مصدر سبق ذكره.. ص ٢٨٢.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) المصدر السابق. ص ٢٨٨.

على القوة وحدها. وإنما لكل منهما دوره في تحقيق الهدف. فالأخلاق تعطي للهدف غطاءه الشرعي والقوة هي التي تمنحه فاعليته الحقيقية[13]».

(١٣) محمد حسنين هيكل. الحل والحرب - شركة المطبوعات - بيروت ١٩٧٧. ص ١١٦.

الفصل الثالث

كيسنجر: استراتيجيته السياسية

إذا كانت السياسة، كما عرّفها كيسنجر، «هي البحث عن الجديد ورؤيته بالبصيرة قبل رؤيته بالبصر، وهي قبول المخاطر، وهي الاعتماد على تقدير المواقف وتفاعلاتها[1]»، فإن أستاذ التاريخ والعلوم السياسية (الذي هو هنري كيسنجر) ربط بشكل جدلي بين السياسة والستراتيجية: بين العلاقات الدولية والفكر الستراتيجي العالمي.

فما هي المقومات الأساسية لاستراتيجيته السياسية؟

١ - ينقسم رجال الفكر السياسي الستراتيجي في الولايات المتحدة إلى مدرستين:

● مدرسة **الحرب الباردة** التي «تركّز على الاتحاد السوفياتي كمنافس استراتيجي. وعلى أن العالم الثالث هو منطقة رخوة فيها من فراغات النفوذ ما يحتم على إحدى الدولتين العظميين أن تملأها قبل أن تفعل ذلك الدولة الأخرى[2]». لذلك تبني هذه

(١) محمد حسنين هيكل. مصدر سبق ذكره، ص ١١٨.
(٢) مالكوم كير. السياسة الأميركية في الشرق الأوسط. كيسنجر، كارتر =

المدرسة استراتيجيتها على مقولة «توازن القوى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي». ومن خلال هذا المنظار، فإن كل أزمة محلية سرعان ما تصبح امتحاناً للقوة بين الدولتين العظميين. من ممثلي هذه المدرسة: دين اتشيسون وجون فوستر دالس ورونالد ريغان وألكسندر هيغ، وزبيغنيو بريجنسكي، وبرانت سكوكرفت. «وأشهر المفسرين لهذه المدرسة على الصعيدين الأكاديمي والسياسي هو هنري كيسنجر[٣]».

● **مدرسة الإقليميين:** التي لا تنفي التنافس مع السوفيات ولكن دعاتها لا يقرون بأنّ مشكلات العالم الإقليمية يجب أن تعالج أساساً من هذا المنظار إذ للمشاكل الإقليمية جوهرها الخاص وعلى أميركا الاهتمام بالمجتمعات الإقليمية وحكوماتها خارج صراع الجبارين، إذ ليس من المحتم أن تكون هذه المجتمعات تابعة لأي من الدولتين العظميين.

من ممثلي هذه المدرسة: جون كندي، دين راسك، وليم فولبرايت، وليم روجرز، سايروس فانس. وجيمي كارتر. أما الممثل الأبرز لهذه المدرسة (وخاصة في موضوع الشرق الأوسط) فهو جورج بول نائب وزير الخارجية الأميركي ومندوب أميركا في الأمم المتحدة في إدارتي كندي وجونسون[٤]. ولا بد من الإشارة إلى أن دعاة المدرسة الإقليمية «يفتقرون إلى الثبات والشجاعة في الرأي عند وصولهم إلى السلطة» وذلك بفعل ثلاثة عوامل:

= والمستقبل. في «السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، مؤسسة الدراسات الفلسطينية. نيقوسيا. ١٩٨٤ ص ١٧٧.

(٣) المصدر السابق. ص ١٧٨.

(٤) المصدر السابق. ص ١٧٩.

- ضغط اللوبي اليهودي.
- التحدي السوفياتي الستراتيجي.
- نمط التفكير لدى الرأي العام الأميركي.

٢ - يستند تصور كيسنجر للوضع الدولي إلى أن العالم المعاصر ينقسم بشكل عام إلى كتلتين كبريين: الغرب بقيادة الولايات المتحدة، والشرق بقيادة الاتحاد السوفياتي. ولكل من هاتين الكتلتين قيمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. والصراع بين هاتين الكتلتين أصبح يشمل العالم كله (والفضاء الخارجي) ولا بد أن تكون نتيجة هذا الصراع لمصلحة إحدى الكتلتين حيث تسود قيمها على العالم كله. ويرى كيسنجر أن لكل من الجبارين مناطق مقفلة تمس أمنه المباشر في حين يوجد عالم ثالث مفتوح بينهما للمنافسة والسباق وطلب النفوذ السياسي والاقتصادي.

٣ - يستبعد كيسنجر، في ظل التسلّح النووي، قيام حرب نووية شاملة بين الجبارين[٥] كما يسخر من فكرة التفوّق العسكري النووي لأن هذا التفوق يفقد معناه ما دام الطرفان قادرين على تدمير بعضهما سواء بالضربة الأولى أم الثانية.. «وما دام القتل يحدث مرة واحدة وليس مرتين أو ثلاث»!. لذا فهو يعارض رأي العديد من القادة السياسيين والعسكريين الأميركيين الداعين إلى مبدأ التفوّق العسكري الأميركي الذي لا يؤدي في

(٥) يستثني كيسنجر حالة واحدة تجعل الحرب حتمية وهي أن يكون التهديد السوفياتي موجهاً إلى قلب الولايات المتحدة.. والعكس. في حين تبقى جميع الحروب الأخرى محدودة وإقليمية.

النهاية إلا إلى سباق في التسلح يرهق الاقتصادين الأميركي والسوفياتي على السواء. إن البديل الوحيد، في رأي كيسنجر، لسباق التسلح النووي هو تحديد الأسلحة النووية مما يستدعي قيام ضمانات متبادلة بين الجانبين وهذه الضمانات لا يمكن تأمينها إلا في جو من «الوفاق» بين الجبارين... وهكذا ولدت ونفذت فكرة «سالت - ١» على يد كيسنجر وبتوقيع نيكسون وبريجنيف (١٩٧٢).. ومن ثمة كرت سبحة معاهدات تحديد الأسلحة الستراتيجية (وغير الستراتيجية) بين الجبارين.. ولا تزال!

٤ - كيف يمكن الجمع بين كون كيسنجر من مدرسة الحرب الباردة وبين كونه من دعاة الوفاق الدولي؟ والجواب أن الوفاق، في نظر كيسنجر كان خياراً تكتيكياً غرضه كسب الوقت (الزمن يعمل لمصلحة الغرب) وتأزيم الوضع السوفياتي والالتفاف على حركات العالم الثالث (الوطنية والقومية) وتجنب المواجهة النووية. «فتحت عباءة الوفاق كان كيسنجر يمارس جميع أساليب الحرب الباردة التي تعمل على إنقاص النفوذ السوفياتي بكل الطرق وزيادة النفوذ الأميركي[٦]». ومثاله البارز في الشرق الأوسط.

٥ - أحد الأهداف - المفاتيح في استراتيجية كيسنجر العالمية. (والتي تحققت أو هي في طور التحقق منذ نهاية الثمانينات[٧]) هو استبدال السباق على التسلح بسباق على

(٦) د. عبد المنعم سعيد. الإرث الكيسنجري.. سياسة أميركا الشرق أوسطية. المستقبل العربي عدد ٨١، ١١/١٩٨٥، ص ١٧٢.

(٧) المقصود هو التحول الكبير في الفكر السوفياتي مع غورباتشوف والبريسترويكا وانعكاسه على الحياة في الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية التي بدأت تتجه إلى اقتصاد السوق.

الإنتاج. فالولايات المتحدة تصرف ٦،٤٪ من دخلها القومي (إحصاء ١٩٨٤) لأهداف عسكرية (نسبة المعدل العالمي هي ٥،٩٪ من الدخل القومي) وهذا يعني نسبة ١٠٠٠ دولار أميركي لكل مواطن (في أميركا ٢،١ مليون جندي بحسب إحصاء ١٩٨٦)، وبالمقابل يصرف الاتحاد السوفياتي ما نسبته ١٢ إلى ١٧٪ من دخله القومي لأهداف عسكرية (٥،١ مليون جندي إحصاء ٩٨٧) وهو ما يعادل نسبة ٨٤ دولار أميركي لكل مواطن سوفياتي. إن ميزانية الدفاع السوفياتي في بداية الثمانينات تتراوح بين ٢٥٠ - ٣٠٠ مليار دولار. فإذا جرى تخفيض هذه الموازنة[٨] الضخمة وجرى تحويلها للإنتاج المدني والاستهلاك فإن هذا «يفتح شهية شعوب الشرق لمطالب استهلاكية ناعمة تتآكل معها نزعات الثورة عندها. وتحوّل المجتمعات إلى الترف الاستهلاكي يؤدي إلى تغييرات سياسية تمس نظم الحكم وتغير طبائعها... وهكذا فأسلوب كيسنجر في الوفاق لا يستهدف منع الحرب فحسب، ولا منع سباق التسلح فحسب، ولا منع تكديس الأسلحة المتطورة فحسب... ولكن مطلبه النهائي هو تغيير المجتمع الشيوعي عن طريق الإغراء بالاستهلاك[٩]». فإذا لم يقم الاتحاد السوفياتي بمثل هذا التحوّل فستصبح «واشنطن عاصمة القرن الحادي

(٨) صرّح رئيس الأركان السوفياتي الجنرال موسييف خلال زيارته للولايات المتحدة (تشرين الأول ١٩٩٠) أن بلاده خفضت ميزانية التسلح بنسبة ٨،٢٪ لعام ٨٩ - ٩٠ وبنسبة ١٤٪ لعام ٩٠ - ٩١؛ السفير ٥/١٠/٩٩٠. (الإحصاءات السابقة مأخوذة من Encyclopaedia Universalis: Les Chiffres du Monde. 1988.

(٩) محمد حسنين هيكل، مصدر سبق ذكره. ص ١١٢.

والعشرين. أما موسكو فستبقى لسنوات طويلة، وطويلة جداً عاصمة للقرن العشرين وربما عاصمة للقرن التاسع عشر(١٠)»!

٦ ـ اتّخذ كيسنجر من الاستقرار الأوربي بعد حروب نابليون نموذجاً للاستقرار العالمي. فقد ظل هذا الاستقرار قائماً لمدة مئة سنة (من ١٨١٥ إلى ١٩١٤). فكيسنجر كمفكر استراتيجي، كان يسعى لإقامة نظام عالمي مستقر. ويرى أن الوفاق السوفياتي ـ الأميركي هو الترجمة العملية لمثل هذا النظام على المستويين العالمي وحتى الإقليمي. لذلك شاء أن يقوم بدور مترنيخ ما بعد حروب هتلر فيصوغ نظاماً عالمياً مستقراً يمتد إلى قرن من الزمن ويحقق السلام لأن السلام لا ينشأ إلا من الاستقرار والاستقرار لا يولد إلا في ظل شرعية دولية مقبولة ومثل هذه الشرعية تولد من حوار المصالح المتعارضة التي تؤمنها الديبلوماسية المسنودة إلى القوة المسلحة. «فالاستقرار الدولي، على حد تعبير كيسنجر، لا يمكن تحقيقه والحفاظ عليه إلا باستخدام مركّب يتكون من الديبلوماسية والقوة. فاستخدام القوة من دون الديبلوماسية يسبّب تهوراً وقت الانتصار وذعراً وقت المحن(١١)» في حين «أن الديبلوماسية التي لا ترتبط ارتباطاً وثيقاً باستخدام القوة، هي ديبلوماسية عقيمة(١٢)». ولن يقوم الاستقرار الدولي، في رأي كيسنجر، إلا بدمج الديبلوماسية والقوة لتحقيق هزيمة كاسحة للقوى الثورية وبناء الاستقرار على ما يسميه كيسنجر

(١٠) تصريح كيسنجر للباري ماتش نقلته الكفاح العربي عدد ٥٥١ ٢٦/٢/١٩٨٩.

(١١) -A World Restored p. 125

(١٢) -Nuclear Weapons and Foreign Policy. p. 201

«بالأسس الشرعية» و«هذا النوع من «الشرعية» لا يتصل بالعدالة أو الأخلاق أو ما هو في صالح جماهير الشعب وقد لا يكون لهذه الشرعية أي أساس قانوني... وما يسوّغها هو التوافق الدولي حولها(١٣)».

لقد كان كيسنجر في هذا المضمار من أشهر المفكّرين والساسة الذين آمنوا بالقوة وفي ذات الوقت أحسنوا فهمها وحدود استخدامها في ظل التوازن النووي بين الجبارين(١٤). وفي ضوء هذه الحقيقة يفهم لماذا كان كيسنجر يهتم أكثر ما يهتم بالمشاكل ذات الصلة المباشرة بالعلاقات بين القوتين الأعظم والتي بإمكانها التأثير على التوازن الدقيق والخطر بينهما. أما بقية المشاكل فقد كان يعيرها اهتماماً أقل حتى ولو بلغت حدود المأساة. (مثالها الحرب اللبنانية). من هنا النقد الذي وجهه جورج بول إلى سياسة كيسنجر معتبراً نهج الانفراج ناقصاً لأنه ركّز على العلاقات الثنائية بين الجبارين كالحد من الأسلحة الستراتيجية.. ولما جاء دور النزاعات المتصلة بفريق ثالث (الشرق الأوسط وأفريقيا...) اكتفت واشنطن وموسكو بإصدار بيانات غير مجدية لنصرة السلام والعدالة(١٥)».

(١٣) فرجينيا برودين ومارك سلدن: السرّ المعروف: مبدأ نيكسون وكيسنجر في آسيا. (مترجم). المؤسسة العربية للدراسات. بيروت ١٩٧٤. ص ٢٦.

(١٤) من الأمثلة البارزة على ذلك إعلان الولايات المتحدة (بناء لطلب كيسنجر) حالة الاستنفار لقواتها في جميع أنحاء العالم يوم ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٣ كرد على «الإنذار» السوفياتي بإنزال قوات مشتركة من الدولتين في مصر لإجبار إسرائيل على احترام قرارات مجلس الأمن بشأن وقف الحرب وفرض سلام شامل في المنطقة. وفي حال رفضت واشنطن الاقتراح فستنفذه موسكو من جانب واحد.

(١٥) مالكوم كير. مصدر سبق ذكره. ص ١٨٩.

٧ ـ من مميزات كيسنجر. كمفكر استراتيجي، أنه على عكس سابقيه (دالس. . .) ولاحقيه (ريغان) من مدرسة الحرب الباردة، قد قلّل من دور الأيديولوجية في صنع السياسة وشدد بالمقابل على البراغماتية وعلى دور الديبلوماسية (خاصة السرية) متعاملاً مع البيئة الدولية «على أساس من القوة والمصالح ومن خلال منهج لصنع السياسة يقوم على مركزية صنع القرار[١٦]». ويوم اتهم بالانتهازية داخل الحزب الجمهوري الأميركي (الانتقال من روكفلر إلى نيكسون)[١٧] أجاب «**نعم إن مترنيخ كان انتهازياً. وكل سياسي يريد أن يوجِّه الحوادث لا بد له من قسط من الانتهازية. والمعيار الحقيقي هو أن نفرّق بين الذين يطوِّعون أهدافهم للأمر الواقع، أو الذين يريدون تطويع الأمر الواقع لأهدافهم**[١٨]».

باختصار، لقد كان كيسنجر يعتقد بضرورة «تبني سياسة واقعية على مستوى العالم كله حيث تتقدم الفاعلية البراغماتية على النظم الأخلاقية» فهو، من هذه الناحية «براغماتي وليس طوباوياً. فقد شطب من السياسة الأميركية التصورات الطوباوية. كما لم تكن تستوقفه كثيراً الطروحات الأيديولوجية. هذا النسق أزعج الكثيرين من الأميركيين الذين تعوَّدوا على سياسة الخير والشر

(١٦) د. عبد المنعم سعيد. الإرث الكيسنجري. مصدر سبق ذكره. ص ١٦٨.
(١٧) صاغ كيسنجر البرنامج الانتخابي لنيلسون روكفلر للفوز بالترشيح عن الحزب الجمهوري عام ١٩٦٨ ولكن نيكسون فاز على روكفلر بترشيح الحزب الجمهوري ومن ثمة بالرئاسة ومع ذلك أعجب نيكسون ببرنامج كيسنجر ودعاه كي يكون مستشاره للأمن القومي.
(١٨) محمد حسنين هيكل. مصدر سبق ذكره. ص ٩٧.

والنظم المثالية في السياسة الخارجية. لذا لم يكونوا ليفهموا براغماتيته واستعداده للتعاون مع الشيطان إذا لزم الأمر للوصول إلى اتفاق أفضل. . . لقد أزاح الشعارات الأخلاقية وأبعد المثالية ولم يطلب الكمال بل طلب الاستقرار. فمثل هذا الاستقرار هو بالنسبة إليه الشكل الأرقى والأفضل «للأخلاقية» الدولية[١٩]».

والخلاصة أن كيسنجر يشك، من وجهة نظر استراتيجية، بإمكان تحقيق انتصار كامل لصالح أي من الطرفين المتواجهين في الصراع. وبالتالي فإن أفضل استراتيجية ممكنة هي استراتيجية المكسب النسبي والتي تسعى لتسوية الصراع بطريقة تعطي شيئاً ما لكل من طرفي الصراع يجعلها في وضع أفضل نسبياً من استمرار الصراع ذاته». وهذا يستدعي بحسب نصائح كيسنجر: التفاوض خلال الصراع والتهديد باستخدام القوة واستخدامها عند الضرورة مع ما يرافق ذلك من عروض كريمة للسلام. وفي هذه العملية يبرز رجل الدولة كمفاوض بارع لأن التفاوض عملية معقدة ينبغي الإلمام بها مما يستدعي: معرفة استراتيجية الخصم، ووضعه الداخلي ونوعية قيادته السياسية ومدى قدرته على تحقيق أهدافه ومدى التحديات التي تواجهه في الداخل والخارج!

(١٩) مارفن وبرنار كالب: كيسنجر. مصدر سبق ذكره. ص ٥١٩.

الفصل الرابع

كيسنجر والشرق الأوسط

يقع الشرق الأوسط في قلب اهتمامات كيسنجر. فهو نقطة حساسة ومركزية في الصراع بين الغرب والشرق من جهة، وهو الحيِّز الجغرافي الذي يقيم فيه شعب كيسنجر (الشعب اليهودي) من جهة ثانية. وقبل أن يصبح مسؤولاً في البيت الأبيض، زار كيسنجر إسرائيل (١٩٦٧) حيث قام بدور الأستاذ الذي يهمه «تمرين» قادة إسرائيل على «فهم واستيعاب أهمية علم إدارة الصراع... وكان من «تلامذته» موشه دايان. وإيغال ألون وشمعون بيريز واسحق رابين، بالإضافة إلى كبار الموظفين من رئاسة الحكومة والمخابرات وقيادة الجيش ووزارة الخارجية[١]». فكيسنجر كان يشعر دائماً (ولا يزال يشعر) أن عليه واجباً أخلاقياً وسياسياً تجاه الشعب اليهودي بشكل عام، وتجاه دولة إسرائيل بشكل خاص كونه المستشار المتنوّر والمسموع الكلمة في واشنطن وفي تل أبيب على السواء.

ومع أن أزمة الشرق الأوسط كانت في صلب اهتمامات كيسنجر، فإنها لم تكن من اختصاصه. ولقد «تمنى كيسنجر طوال

(١) محمد حسنين هيكل. مصدر سبق ذكره. ص ١٢١.

الوقت أن يجرب حظه فيها[٢]». ولم تسنح له هذه الفرصة إلا ابتداء من العام ١٩٧٢. ويشير كيسنجر في مذكراته إلى ثلاثة أسباب كانت وراء إقصائه عن ملف الشرق الأوسط، حتى ذلك التاريخ وهي:

- □ـ قناعة الرئيس نيكسون بأن مشكلة الشرق الأوسط غير قابلة للحل وبالتالي فهو لا يريد أن يسجل فشلاً على نفسه.
- □ـ رغبة الرئيس نيكسون في جعل هذه المشكلة من اختصاص وزير الخارجية وليم روجرز.
- □ـ كون الرئيس نيكسون كان «يخشى من أن أصولي اليهودية قد تجنح بي باتجاه إسرائيل[٣]».

أولاً ـ نظرته إلى الجغرافيا السياسية للمنطقة

يذهب هنري كيسنجر إلى اعتبار «الشرق الأوسط محور السياسة العالمية في النصف الثاني من القرن العشرين[٤]». هذه المنطقة «التي تضم بالإضافة إلى البلدان العربية كلاً من تركيا وإيران هي المنطقة ذات الموقع الستراتيجي الأول في الصراع العالمي. فهي مستودع الطاقة التي ترتبط بها الحضارة إلى أمد طويل وهي عقدة المواصلات بين القارات الثلاث[٥]». ويرى كيسنجر «أن البلدان العربية تشكل أربع وحدات جغرافية متمايزة

(٢) من اعترافات كيسنجر لمحمد حسنين هيكل. المصدر السابق ص ١٢٣.
(٣) كيسنجر. سنوات البيت الأبيض. ص ٣٦٤ وأيضاً Le Monde 26/10/79.
(٤) المصدر السابق. ص ٣٦٢.
(٥) كيسنجر. من وثيقة بعنوان: مخطط كيسنجر لتمزيق العالم العربي. راجع الملحق رقم IV

هي منطقة الهلال الخصيب والجزيرة العربية ووادي النيل والمغرب العربي[٦]» «وأن لكل من هذه الوحدات الأربع نقطة إشغال (نقطة تفجير):

فلبنان هو نقطة إشغال دول الهلال الخصيب ومركز انفجار مشكلة الأقليات.
والكويت هي نقطة إشغال الجزيرة العربية والعراق،
وليبيا هي نقطة إشغال مصر،
والصحراء الغربية هي نقطة إشغال المغرب العربي[٧]».

كما تتصف دول المنطقة (ما عدا إسرائيل طبعاً) بالاضطراب وضعف المؤسسات السياسية وفقر الرؤية لدى القيادات وفساد الإدارة مما يسبب ضعفاً في بناها الداخلية ويعرضها بشكل دائم للانقسامات والصراعات والثورات ويجعلها قابلة للتطرّف». أكثر من ذلك فإن هذه الدول تفتقر إلى عنصر الثبات في تكوينها. ويقول كيسنجر «تبدلت حدود الدول في الشرق الأوسط على مرّ التاريخ كما رمال الصحاري.. حتى أصبحت فكرة الأمة مفهوماً ميتولوجياً وحلماً يخالج المؤمنين وفعلاً بطولياً نادراً ما يتحقق[٨]». وفي ظل واقع كهذا «وحدهم الأقوياء يمكنهم العيش في مثل هذه الظروف الجغرافية والمناخية الصعبة[٩]».

ومع التأكيد على الأهمية الستراتيجية للمنطقة. وعلى كونها

(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق. (مع الإشارة إلى أن هذا التقرير الموضوع عام ١٩٧٤ هو سابق لانفجار حرب لبنان (١٩٧٥) والصحراء الغربية (١٩٧٦).
(٨) كيسنجر. سنوات البيت الأبيض. مصدر سبق ذكره. ص ٦١٧ ـ ٦١٨.
(٩) المصدر السابق. ص ٣٥٨.

نزود الطاقة لجزء كبير من العالم، فقد حدد كيسنجر الأسباب التي تجعل الولايات المتحدة مهتمة ومعنية بهذه المنطقة ليس من باب التفضيل بل بسبب المصالح الحيوية. وأشار إلى خمسة أسباب أساسية:

- □ «الالتزام نحو إسرائيل.
- □ وجود أكبر احتياطي للنفط في العالم في هذه المنطقة.
- □ التأثير السلبي لأزمة الشرق الأوسط في علاقات الولايات المتحدة بأوروبا واليابان.
- □ الخوف من عدم الاستقرار في العالم.
- □ احتمال حدوث مواجهة مباشرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وما يرافقها من مخاطر[١٠]».

ثانياً: أهدافه في المنطقة:

إن أهداف كيسنجر الأساسية في المنطقة، و«باعترافه هو» هي التالية:

١ ـ ضمان أمن ومستقبل إسرائيل.
٢ ـ إخراج الاتحاد السوفياتي من المنطقة، بدءاً بإخراج السلاح السوفياتي.
٣ ـ إعادة النفوذ الأميركي وتثبيته في المنطقة.
٤ ـ التعامل مع كل بلد عربي على حدة.

(١٠) من حديث لكيسنجر أمام غرفة تجارة سنسيناتي ١٩٧٥/٩/١٦. نشرت الحديث السفارة الأميركية في بيروت ١٩٧٥/٩/١٧. عن الكتاب السنوي الفلسطيني. مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٧٨ ص ٢٨٤.

٥ ـ ضمان استمرار تدفق البترول العربي بأسعار مقبولة، مع بقاء فوائض أمواله في نطاق الأمان[١١]».

ثالثاً: نظرته إلى إسرائيل

لا يمكن الفصل بين نظرة كيسنجر إلى إسرائيل (الدولة ـ الشعب ـ الكيان) وبين أصوله اليهودية. فكيسنجر هو ألماني بالمولد أميركي بالانتماء يهودي بالهوية... لذا «فأميركا ليست شعبه.. شعبه هو الشعب اليهودي[١٢]» وهو «لا ينسى أن ثلاثة عشر من أسرتي قد ماتوا في معسكرات التعذيب النازية[١٣]».
وهو لا يتردد في القيام بثلاث زيارات «خاصة» لإسرائيل ليضع نشاطه وفكره في خدمتها من خلال بعض تلامذته في هارفرد وخاصة إيغال ألون وزير الخارجية الإسرائيلي. ولدى زيارته لكيبوتز آلون قرب بحيرة طبرية، تحدث كيسنجر عن أرض إسرائيل كأي يهودي عقائدي يقدِّس هذه الأرض باعتبارها «أرض الميعاد». يقول: «كل أنملة من هذه الأرض، الكثيفة الزرع، انتزعت بقوة الإيمان والآلام من محيط معادٍ». ويضيف: «وأتذكر قارباً يجري في بحيرة تقع تحت أقدام الجولان، وهو على مرمى نار السوريين. وقلت في نفسي إن الفلاسفة الماديين قلّما يفهمون الدوافع الإنسانية. فبعد ألفي سنة من الاضطهاد، نرى هذا الشعب بدافع من إيمانه فقط، استطاع أن يجسِّد الحلم الذي ظل

(١١) محمد حسنين هيكل. مصدر سبق ذكره ص ١٣٠
(١٢) المصدر السابق. ص ٩٨.
(١٣) من مذكرات كيسنجر. ذكرها د. عبد المنعم سعيد. المستقبل العربي. عدد ٦٨ ـ ١٩٨٤/١٠. ص ١٨.

عبر الأجيال، أقوى من واقعه المأساوي. واعتقد أن هذا الإيمان القوي لا يجب أن يستهلك في الدفاع البطولي عن بلدٍ مهدد بأن يتحول إلى «غيتو» آخر. فعاجلاً أم آجلاً، لا بد من تحقيق المصالحة مع هؤلاء الناس القاطنين في مرتفعات الجولان لأن السلام في الشرق الأوسط ليس فقط ضرورة مادية ولكنه حاجة روحية. ولكن لم أتصور قط بأني سأكون بين المشاركين في هذا النضال من أجل السلام[١٤]».

وكيهودي، يختصر كيسنجر هواجس إسرائيل على الشكل التالي:

- عدم الاعتراف بها من قبل جيرانها.
- تهديدها من جانب الفدائيين.
- التشهير بها في المحافل الدولية.
- اختناقها بالمقاطعة العربية.
- والأهم من ذلك **شكلها الجغرافي** بالذات الذي يؤكد سرعة عطوبيّتها كدولة. «ففي نقطة معينة بين المتوسط ونهر الأردن يبلغ عرض إسرائيل ثلاثة عشر كيلومتراً فقط. والطريق الرئيسية بين القدس وتل أبيب تمر أحياناً على بعد ٣٠٠ متر فقط من المواقع العربية المتقدمة» وهكذا أدى الأمر بإسرائيل «المحاطة بأعداء شرسين إلى أن تدمج ما بين سياستها الخارجية وسياستها الأمنية. فلقد جعلت هدفها الأساسي والنهائي، ما تجعله الأمم الأخرى نقطة البداية، أي: اعتراف جيرانها بحقها في الوجود[١٥]».

(١٤) كيسنجر، سنوات في البيت الأبيض. مصدر سبق ذكره. ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨.
(١٥) المصدر السابق. ص ٣٥٩.

ويشدد كيسنجر على هذه الناحية الجيو ـ استراتيجية (شكل إسرائيل الجغرافي الذي وصفه جان غوتمان في كتابه «سياسة الدول وجغرافيتها»، بأنه أشبه بلوحة لبيكاسو) وعلى مدى ارتباطها بأمن إسرائيل: «إن عنق إسرائيل الضيق ما بين حيفا وتل أبيب، حيث يبلغ عرض المنطقة تسعة أميال فقط في بعض الأماكن، إن هذا الوضع لا يمكن اعتباره حدوداً آمنة مهما كانت درجة جدية اعتراف العرب بإسرائيل. فالمناطق الضرورية لتأمين أمن إسرائيل في الضفة الغربية ليست مأهولة بالسكان العرب بشكل كثيف.. والأماكن الحدودية اللازمة لأمن إسرائيل يجب حلها عن طريق المفاوضات[١٦]».

ولقد ردد المسؤولون الإسرائيليون من كل الفئات، **طروحات كيسنجر هذه واعتبروها قاعدة أساسية في مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي**. يقول اسحق شامير في خطاب له أمام مجلس الشؤون العالمية: «إن حدود إسرائيل قبل عام ١٩٦٧ كانت انتحارية. إن المارّة في شوارع القدس وتل أبيب كانوا في مرمى البندقية التي تطلق من يهودا والسامرة. إن سلسلة جبال يهودا والسامرة تسيطر على المراكز السكانية الإسرائيلية والمناطق الصناعية الرئيسية وخطوط السكك الحديدية والطرق الرئيسية والمطار الدولي في إسرائيل. وهذا هو السبب في وجود إجماع في إسرائيل على عدم العودة مطلقاً إلى خطوط الهدنة القائمة قبل ١٩٦٧ والتي كانت انتحارية وهشة[١٧]».

(١٦) كيسنجر الإيكونوميست ١٣/١١/٩٨٢. ونشر في: هنري كيسنجر: محاضرات ومقالات مختارة. ١٩٨٢ ـ ١٩٨٤. دار قتيبة بيروت ١٩٨٨. ص ١١٠.
(١٧) الأنوار ٢٠/٣/١٩٨٨.

ويشدّد كيسنجر على نقطة مركزية وهي ضرورة اعتراف العرب بوجود إسرائيل «لأن قضية الاعتراف أصبحت رمزا من الرموز التي لا مناص منها ولا يمكن تجنبها. فالاعتراف بإسرائيل هو بداية العملية وليس نهايتها» ويفسر ذلك بأن إسرائيل تعيش في هاجس كونها دولة مهدَّدة «إن دولة عددها ثلاثة ملايين تعيش وهي محاطة بحوالي مئة مليون إنسان لا يرغبون في وجودها (رغم كل ما يدعونه أو يدعيه بعضهم أحياناً) إن وجود تلك الدولة حقاً مهدد ولها الحق أن تصاب بالقلق[١٨]». كما أن «للولايات المتحدة الحق بأن تهتم فقط بموقف حلفائنا الإسرائيليين الواقعيين الذين يستعملون المعدات الأميركية ويدعمون المصالح الأميركية».

وفي مواجهة هذا الواقع، ينصح كيسنجر إسرائيل «بأن الاعتماد الكلي على دولة عظمى بعيدة (الولايات المتحدة) ليس أمراً ثابتاً. لذا فعلى الإسرائيليين أن يفهموا أو يشعروا أن أمة لديها فرص قليلة للحياة واستمرار العيش، وشعباً ذا تاريخ حافل بالمصائب، يصبح الخط الفاصل ما بين الغطرسة والهستيريا، لديه، خطاً رقيقاً جداً. وإذا ظل الإسرائيليون متمسكين بذلك الخط فلا بد من حدوث انهيار سياسي أو نفسي لديهم أو انفجار تشنجي[١٩]».

لهذا كان كيسنجر يرى في مسلك قادة إسرائيل «من الخطر ما لا يصدق» «ولأنه شديد الافتخار بكونه يهودياً كما نقل عنه

(١٨) كيسنجر: محاضرات ومقالات. مصدر سبق ذكره. ص ١١.
(١٩) المصدر السابق. ص: ٦٣ و١١٢.

إدوار شيهان، «ولأنني كيهودي لا يمكن أن أعمل شيئاً أخون به قومي» فإنني «كنت حريصاً على ضرورة **تخليص الإسرائيليين من أنفسهم**[٢٠]». وهذه هي الجملة التي كان يرددها دائماً السياسي النمساوي اليهودي المعروف برونو كرايسكي: «يجب تخليص اليهود من أنفسهم»!

رابعاً: نظرته إلى الصراع العربي - الإسرائيلي

إن ما يعني كيسنجر من الصراع العربي - الإسرائيلي (أكثر ما يعنيه وأهم ما يعنيه) هو «الخطر العربي على وجود إسرائيل[٢١]» فهو في كل ما كتبه عن الشرق الأوسط، وهو غير قليل، يتجنب دائماً الدخول في تحليل الأسباب العميقة التاريخية (والجغرافية) لهذا الصراع. ومع أنه يعرف الكثير من هذه الأسباب، فإنه يختزل الصراع بين «حقوق العرب التاريخية» «وحقوق اليهود التاريخية» في فلسطين، ويتعامل مع الصراع العربي - الإسرائيلي باعتباره «نموذجاً للحرب الباردة» بين الجبارين حيث أن «جميع الأطراف في الشرق الأوسط هم أتباع لإحدى الدولتين» وبالتالي يصبح هدف أميركا «الدفاع عن عملائها واستقطاب عملاء السوفيات[٢٢]». «فهو يرفض الدخول في جدلية: من هو على خطأ ومن هو على صواب بين العرب وإسرائيل. فإسرائيل

(٢٠) إدوار شيهان. سياسة الخطوة خطوة في الشرق الأوسط. نشرت في مجلة السياسة الخارجية ١٩٧٦/٣/٧. واستعرضها ميشيل كامل في شؤون فلسطينية عدد ٥٩. تموز آب أيلول ١٩٧٦. ص ٦٨.
(٢١) مالكوم كير. مصدر سبق ذكره ص ١٨٨.
(٢٢) المصدر السابق، ص ١٨٢ - ١٨٣.

واقع قائم ومن واجبه (كيهودي وكمسؤول أميركي) أن يثبّت هذا الواقع: أن يجعله واقعاً شرعياً وجزءاً من النظام الدولي المستقر. أي: جزءاً من الشرعية الدولية.

إن اختزال التصور العام لكيسنجر حول الصراع العربي - الإسرائيلي يبرز من خلال نظرته إلى الموضوعات المتصلة بهذا الصراع والتي يمكن اختصارها كما يلي:

١ - **موضوعات الصراع**: هي في رأي كيسنجر «حدود إسرائيل النهائية، وضمانات السلام المتبادلة التي تقدمها الدول العربية. ومستقبل الفلسطينيين. ووضع مدينة القدس. ومسألة الضمانات الدولية، كلها معاً[٢٣]».

٢ - **حدود ١٩٦٧ والقرار ٢٤٢**: رأينا كيف أن كيسنجر يرفض عودة إسرائيل إلى حدود ١٩٦٧ لأسباب جيو - استراتيجية. ولقد صارح الحكومة الإسرائيلية، بعد اعتراضها على فك الاشتباك الثاني في سيناء بالقول: «لقد كانت استراتيجيتنا تقوم على إنقاذكم من الضغوط.. وإذا أردنا حدود ١٩٦٧ لكان في استطاعتنا ذلك بدعم من جزء كبير من الرأي العام العالمي والمحلي. لقد كانت الستراتيجية مصممة لحمايتكم من هذا. لقد حاولنا تحاشي وضع خطة عامة لتسوية شاملة.. وأنا أرى أن الضغط يتزايد لإجباركم على العودة إلى حدود ١٩٦٧[٢٤]».

(٢٣) حديث كيسنجر نشرته السفارة الأميركية في بيروت. ١٩٧٥/٥/١٧. مصدر سبق ذكره.

(٢٤) إدوار شيهان: العرب والإسرائيليون وكيسنجر. ريدر دیجت بريس نيويورك نقلها الكتاب السنوي الفلسطيني ١٩٧٥. مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٧٨. ص ٤٧١.

ويرفض كيسنجر بشكل قطعي عودة إسرائيل إلى حدود ١٩٦٧. ويرى أن كل مفاوضات حول مصير الضفة الغربية ينبغي أن «تستند إلى المبادىء التالية:

١ - يجب تحديد المحتوى الجغرافي للحكم الذاتي.

٢ - هذا المحتوى لا يمكن ان يكون حدود ١٩٦٧.

٣ - إن الاتفاق المؤقت يمكن أن يشمل غزة وقسماً من الضفة الغربية حيث يتكاثر الوجود الفلسطيني. أما القسم الآخر فيكون منطقة أمان لإسرائيل يمكن التفاوض في شأنه في المستقبل.

٤ - اتخاذ ترتيبات خاصة في ما يعود إلى الأماكن المقدسة في القدس العربية[٢٥]».

ومع أن كيسنجر يلتقي في الكثير من آرائه مع صقور إسرائيل (الليكود والتحالف الديني - القومي) فإنه في موضوع الضفة الغربية يبدو أقرب إلى طروحات حزب العمل (والتي كان في أساسها تلميذه المقرب إيغال آلون). فهو يعتبر «أن ضم الضفة الغربية سوف يبذر بذور الأزمة التي لا تنتهي... وضم الضفة الغربية وغزة إلى إسرائيل سوف ينتج عنه عاجلاً أم آجلاً بروز أكثرية عربية سوف تقضي على كيان إسرائيل. وإذا عمدت إسرائيل إلى طرد جميع العرب من هذه المنطقة فإنها سوف تخسر تأييد حتى أقرب أصدقائها[٢٦]». انه مع شعار: «الأرض مقابل الزمن» كبديل لشعار: «الارض مقابل السلام»؟.

(٢٥) الواشنطن بوست ١٩٨٢/٦/١٦.

(٢٦) كيسنجر، الإيكونوميست ١٩٨٢/١١/١٣

اما نظرته الى القرار ٢٤٢ فهي نظرة سخرية. يقول: «ما الذي يدعوكم الى التمسك بهذا القرار الذي ليس فيه غير مجموعة عبارات كل واحدة منها تتعارض مع الأخرى.. وهذه عبقرية الانجليز في الصياغات... لم تعد لديم القوة لصنع حلول للأزمات فاستعاضوا عن الحلول بلعبة الصياغات التي تصوّر لكل طرف انه حصل على شيء، وفي الحقيقة فإن احداً من الاطراف لم يحصل على شيء[٢٧]». ومع ذلك فقد استفاد كيسنجر من القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ ليجعل منهما قيداً على منظمة التحرير من جهة وليبقي مسألة الفلسطينيين «مسألة لاجئين». كما وردت في القرار ٢٤٢، من جهة ثانية.

٣ ـ الموقف من منظمة التحرير: لقد صاغ هنري كيسنجر الشروط الأميركية للتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية. وقال أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي: «إن الولايات المتحدة لن تتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية إلى أن تقبل المنظمة وجود دولة إسرائيل وقراري مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨.. وكل تغيير لهذا الموقف سيتم بعد إجراء المشاورات الأكمل مع إسرائيل[٢٨]». وفي اتفاقية سيناء الثانية أعطى كيسنجر لإسرائيل «**حق النقض**» على مشاركة منظمة التحرير في المفاوضات في المستقبل. «إن الولايات المتحدة ستتشاور وتنسّق مواقفها واستراتيجيتها مع إسرائيل، في ما يختص باشتراك أية دول إضافية أو منظمة إضافية في أية مرحلة تالية من مراحل التفاوض. فهذا

(٢٧) من حديث كيسنجر لمحمد حسنين هيكل. مصدر سبق ذكره، ص ١٣٢.

(٢٨) جيروزاليم بوست ١٦/١١/١٩٧٥.

يقتضي موافقة جميع المشاركين الأصليين[٢٩]».

إن راديكالية موقف كيسنجر من منظمة التحرير ومن قيام الدولة الفلسطينية يعود بالضبط إلى استراتيجيته الأنتي ـ راديكالية في العالم العربي ذلك أن أخطر «عدو» يواجهه كيسنجر في المنطقة هو «الراديكاليون» وفي رأس هؤلاء القوى القومية لكونها قادرة على خلق قوة هي مزيج من الإنماء والتكنولوجيا أي قوة الردع الحقيقية (وليس القوة النظرية في آفاقها الطوباوية وحتى الدينية). «فقد كان يخشى القومية العربية» كما يقول هيكل، ويسعى، بما له من حدس سياسي، إلى «**التقليل من إمكان تحوُّل العراق إلى قوّة سائدة في العالم العربي ذات مضمون قومي في الخليج**» ولهذا كان كيسنجر يعمل «على تقوية إيران لتشكل قوة موازية للقومية العربية[٣٠]».

وبالمقابل كان يعتبر «المعتدلين» العرب أفضل أصدقاء أميركا.

إن منظمة التحرير، هي بالنسبة له، **تعبير عن الراديكالية في العالم العربي**... وهذا لبّ المشكلة الفلسطينية[٣١]» فالأمر محسوم بالنسبة لكيسنجر القائل «**إن منظمة التحرير الفلسطينية لا تصلح لأن تكون أداة لحفظ التوازن والاستقرار في العالم العربي**» (الواشنطن بوست ١٦/٦/١٩٨٢). وبالتالي «فإن خلق دولة متطرفة أخرى ذات أغراض وسياسة تحريرية وحدوية تستهدف كلاً من إسرائيل والأردن، لا يتفق مع قضية الاستقرار في الشرق الأوسط[٣٢]». أكثر من ذلك، فإن كيسنجر يعتقد «أن دولة

(٢٩) السياسة الأميركية في الشرق الأوسط. مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٨٤. ص ٥٩.

(٣٠) مالكوم كير. مصدر سبق ذكره. ص ٢٠٢.

(٣١) مجلة: يو إس نيوز أند ورلد ريبورت. نشرتها السفير ٣/١٢/١٩٧٩.

(٣٢) الإيكونوميست ١٣/١١/١٩٨٢.

فلسطينية تحكمها منظمة التحرير لا يمكن أن تبقى مجرد دويلة زراعية في الضفة الغربية. هكذا «حل» يمكن أن يكون مرحلة أولى ولا بد من أن تقوِّض لاحقاً موقع الأردن ثم تكمل من بعد تطويق العربية السعودية بدول راديكالية[٣٣]». ويعترف إدوار شيهان أنه حتى «لو فرضنا أن قطعة مبتورة من فلسطين يمكن تحويلها إلى دويلة، فإنها لن تجد هوى لدى كيسنجر» لماذا؟ «لأن كتب التاريخ قد علمته أن مثل هذه الدويلة المصغرة تربّي في النفوس عواطف الحماس لاسترداد المسلوب وتسبب انفجارات فيما بعد... فقد ينال الفلسطينيون دولة لهم، ولكن على أن تكون فقط جزءاً من الأردن[٣٤]».

وفي ضوء هذه الاعتبارات يستخلص شيهان أن كيسنجر «قد استبعد من مشروع إقرار السلام، **العنصر الأساسي** في النزاع العربي ـ الإسرائيلي أي: قضية الشعب الفلسطيني[٣٥]».

أسلوبه: سياسة «الخطوة ـ خطوة» (STEP-by-STEP APPROACH)

اشتهر كيسنجر بأسلوبه المعروف بسياسة «الخطوة ـ خطوة» «وديبلوماسية المكوك» «والتعاطف والفهم ثم التهديد والضغط» في معالجة أزمة الشرق الأوسط. فلقد عارض (وأفشل) منذ بداية السبعينات خطة وزير الخارجية الأميركي وليم روجرز (وكان يومها مستشاراً للأمن القومي) انطلاقاً من قناعة لديه «بمعارضة التسوية الشاملة» بين الطرفين العربي والإسرائيلي لعدة أسباب منها:

□ـ «إن الأسلوب الشامل الذي يضم الأطراف كافة،

(٣٣) السفير ٣٠/١٢/١٩٧٩.
(٣٤) إدوار شيهان. مصدر سبق ذكره ص ٣١.
(٣٥) المصدر السابق. ص ١٧.

يرجح كفة المتصلبين حكماً لأنه يمنح الحكومات المتشددة حق الفيتو على العملية بأسرها[٣٦]».

□ـ إن فرض خطة روجرز على الإسرائيليين لم يكن رأياً صائباً من الناحية الاستراتيجية. فما دامت مصر في واقع الأمر، قاعدة عسكرية سوفياتية، فلا شيء يدعونا إلى أن ندير الظهر لحليف لنا من أجل مصلحة عميل سوفياتي. هذا هو السبب الذي **جعلني أعارض باستمرار تسويات شاملة** يرفضها الطرفان ولا تخدم سوى الأهداف السوفياتية[٣٧]».

□ـ «إن الولايات المتحدة لن تقدّم حلاً محدداً للمشكلة الفلسطينية وبالمقابل فهي تفضل أسلوب «خطوة فخطوة» لأن طريق السلام طويل وشاق[٣٨]».

□ـ «إن الولايات المتحدة تفضِّل من خلال ديبلوماسية الخطوة خطوة، أن تتعامل مع كل طرف عربي على حدة، فتفاوض من أجل تسوية جزئية تتضمن نوعاً من الحل الوسط مع الموقف الإسرائيلي». وهذه العملية «أعطت ثمارها فيما بعد للذين أتوا بعد كيسنجر بحيث أن معاهدة كامب ديفيد هي في الجوهر امتداد لديبلوماسية كيسنجر وتكتيك الخطوة خطوة ولكن على نطاق أوسع[٣٩]».

ولعل أفضل وأوضح تعريف لديبلوماسية «الخطوة خطوة»

(٣٦) مالكوم كير. مصدر سبق ذكره ص ١٨٥ عن مذكرات كيسنجر. ص ٥٥٩.
(٣٧) المصدر السابق. ص ١٨٤ من المذكرات ص ١٢٧٩.
(٣٨) إدوار شيهان. وردت في الكتاب السنوي. م.د.ف. ١٩٧٣. ص ٤٦١.
(٣٩) مالكوم كير. مصدر سبق ذكره. ص ١٨٦ و١٩٣.

لدى كسينجر هو الذي أعطاه ألفرد آثرتون مساعد وزير الخارجية الأميركي قال: «إذا شئنا أن نحرز تقدماً، فلا بد من ندوة عامة للمفاوضات، ولا بد من وسيلة يستخدمها الطرفان لتبادل الآراء، ولا بد من أسلوب خطوة فخطوة كأسلوب عملي. فأنت تعالج كل مشكلة في حينها، مع العلم أن الحل في كل مرحلة من مراحل الطريق، لا يمثل النهاية، بل هو مجرد بداية أو مجرد خطوة أخرى على هذا الطريق... وهذا المبدأ هو أساس أسلوبنا.

... ويتضمن هذا المبدأ الاعتراف بأن من المستحيل عندنا الآن أن نعرف بالتفصيل إلى أين نحن ذاهبون. فنحن لا نملك خطة تفصيلية[٤٠]». يومها علقت صحيفة الأيكونوميست (١٩/١٠/١٩٧٤) ساخرة «بأن كيسنجر يطلب من العرب القبول بسياسة الخطوة خطوة دون أن يعرفوا إلى أين سيقودهم».

وعلى هذا يمكن القول إن سياسة الخطوة خطوة تهدف إلى التعامل مع كل بلد عربي على حدة لتفادي مجابهة موقف عربي موحد.

ومن جهة ثانية فهي تهدف إلى تحاشي الربط بين الخطوات الديبلوماسية وماهية اتفاق السلام النهائي. ومن جهة ثالثة كانت تعمل على استبعاد الفلسطينيين عن عملية الحل.

وهذه التوجهات الثلاث برزت من خلال مؤتمر جنيف (٢١/١٢/١٩٧٣) الذي بدا وكأنه توجه أميركي نحو الحلول الشاملة مما يناقض أسلوب الخطوة خطوة. ولكن كيسنجر اعترف

(٤٠) نشرة السفارة الأميركية. بيروت ١/٤/١٩٧٤ وردت في الكتاب السنوي. م.د.ف. ١٩٧٤ ص ٣٤٧.

«بأن هذا المؤتمر كان ضرورياً لإنهاء الحظر النفطي ليس إلا». فهو «لم يعتبر جنيف مطلقاً بديلاً لأسلوب الخطوة خطوة[٤١]». ولكن «الضغط العربي» و«إغلاق منابع النفط» وربط الشيخ أحمد زكي اليماني «بين استئناف إمدادات النفط وانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة[٤٢]» وتهديده بتدمير منشآت النفط في حال هجوم عسكري عليها» وحزم الملك فيصل في موضوع حظر النفط. كل ذلك جعل كيسنجر يلتف في مرحلة أولى على عملية الحظر بالدعوة لمؤتمر جنيف وفي مرحلة تالية إلى نسف المؤتمر وبروز ما أسماه باتريك سيل «مؤامرة أميركية إسرائيلية ضد الأمة العربية» باغتيال الملك فيصل (٢٢/٣/١٩٧٥) وقبله بأيام «وفاة» أنور علي حاكم مؤسسة إصدار النقد في العربية السعودية وقبله ببضعة أشهر الموت «المفاجىء» لعمر السقاف وزير الخارجية السعودي (تشرين الثاني ١٩٧٤)[٤٣]. ذلك أن «الربط» بين خليج النفط وفلسطين، في الماضي (كما في الحاضر) هو خط أحمر أميركي!

وتشرح كلوديا رايت أهمية النفط في السياسة الأميركية في الشرق الأوسط بالقول: «إن هذه السياسة تهدف إلى حماية تدفق النفط اللازم لاقتصاد أميركا واقتصاد حلفائها وبطريقة تضمن زيادة الكميات وبأقل كلفة مع تجنب هزات الأسعار وتقطع الإمدادات. والولايات المتحدة ملتزمة برفع أي خطر يهدد آبار النفط ويعوق عملية إعادة تدوير البترودولار. ومن هذه الأخطار

(٤١) الكتاب السنوي م.د.ف. ١٩٧٥ ص ٤٦٧.
(٤٢) أنترناشيونال هيرالد تريبيون ٢٣/١١/١٩٧٣.
(٤٣) باتريك سيل. حياة الرئيس السوري حافظ الأسد. الديار ١٣/٨/١٩٩٠.

غزو آبار النفط على يد قوة خارجية أو إقليمية وتعطيل الإنتاج بسبب النزاعات الإقليمية وتخريب خطوط المواصلات والنقل بين بلد المنشأ والمستهلك (مضيق هرمز ـ قناة السويس ـ باب المندب ـ خليج سرت. .)». . وتضيف كلوديا رايت: «هناك أخطار أخرى على النفط كالحظر التام أو الجزئي لشحن النفط وسحب ودائع البلدان النفطية من المصارف الاميركية وعدم اعتماد الدولار كأساس لأسعار البترول. وتلافياً لذلك تقوم أميركا بعزل الأنظمة وقلبها واقتلاع الجماعات الراديكالية من جذورها[٤٤]».

الخلاصة أن كيسنجر «أقام نظاماً دولياً في الشرق الأوسط لا زلنا نعيش تحت ظله في منطقتنا حتى الآن[٤٥]». فلقد دعّم إسرائيل وجذب مصر وحيّد سوريا وروّض السعودية ودمّر لبنان وخلق لكل نظام عربي «شغلاً في بدنه». وكانت أفضل صيغة اقليمية لديه هي تلك التي عبر عنها صديقه وليم كوانت، «**قيام ائتلاف للنظم العربية يضم مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية على أن يبقى مصوناً لصنع السلام**[٤٦]». وعلى أن يكون هذا الائتلاف بالطبع، موالياً لأميركا. أما بالنسبة للمسألة الفلسطينية فهو مع حلول تاريخية وليس مع حلول نهائية. حلول تقوم على لاءين ونعم: لا للدولة الفلسطينية، لا لمنظمة التحرير

(٤٤) كلوديا رايت: السياسة الأميركية في الشرق الأوسط. حوليات سياسية العدد الأول السنة الأولى شتاء ١٩٨٢ ص ١٠٢.

(٤٥) د. عبد المنعم سعيد. مراجعة كتاب: الإرث الكيسنجري. المستقبل العربي عدد ٨١، ١١/١٩٨٥ ص ١٦٧.

(٤٦) وليم كوانت، أميركا والعرب وإسرائيل. عشر سنوات حاسمة. دار المعارف القاهرة. ١٩٨٠ ص ٤١٤ ـ ٤١٥ وبالفعل فقد ظهر هذا الائتلاف إلى الوجود عام ١٩٧٦).

الفلسطينية ونعم لتوطين الفلسطينيين حيث هم في الدول العربية!. .» وباختصار، إن استراتيجية كيسنجر، أو شريعته، لا تزال هي الحاكم الرئيسي للسياسة الأميركية في المنطقة حتى اليوم[٤٧]».

(٤٧) د. عبد المنعم سعيد. مصدر ذكر أعلاه. ص ١٧٥.

القسم الثالث
لبنان في استراتيجية كيسنجر

«إن لبنان بلد مثالي لتحقيق المؤامرات، ليس ضده فقط، وإنما ضد كل العالم العربي أيضاً».

هنري كيسنجر

مـدخـل

إن لبنان كمساحة جغرافية يكاد يكون بلداً ثانوياً جداً بين بلدان العالم. ولكن لبنان كمساحة جيو - استراتيجية هو إحدى النقاط ذات الموقع المميز على خريطة العالم. وما من شك في أن هنري كيسنجر قد قرأ دراسات حول «الجغرافية السياسية» لمواطنه الألماني فريدريتش راتزل (Friedrich RATZEL) المعروف «بأبو الجيـوبوليتيـك المعـاصر» حيث يتّخـذ راتـزل الشـاطىء الشرقي للمتـوسط، والواجهـة اللبنـانيـة بـالتخصيص، كنمـوذج عـالمي للمناطق ذات الأهمية الستراتيجية «كـونها تختزن قيـماً سياسـو - جغرافية ثابتة ومستمرة عبر التاريخ[1]».

ومنذ بداية السبعينات لاحظ كيسنجر أن السوفيات يحاولون تغيير التوازن في الشرق الأوسط مستندين إلى القوى الراديكالية العربية. وفي رؤيته القيامونية (Vision Apocalyptique) أنه «إذا استطاع المتطرفون العرب أن يسيطروا على **لبنان والأردن**، وهو أمر ممكن خلال صيف ١٩٧٠، فإن دول الخليج البترولية ستسقط

---

(١) F. RATZEL. Géographie politique. ERESA. (ECONOMICA) Paris 1988. p.113.

تباعاً ومعها ثروات النفط، وإسرائيل ستلقى في البحر بعد معركة مريعة، وتخرج ثروات الشرق الأوسط وأهميته الستراتيجية من يد الغرب. وبالتالي يميل ميزان القوى العالمي لصالح روسيا بشكل يتعذر التحكم به.. وهذا ما يفسر الأهمية الأساسية لكل من **لبنان والأردن** في الفكر الستراتيجي لكيسنجر[٢]».

ومع ذلك يبقى هناك فارق (بالنسبة لكيسنجر) بين ما حدث في عمان (أيلول ١٩٧٠) وبين ما حدث ولا يزال يحدث في بيروت منذ نيسان ١٩٧٥ حتى الآن:

□ـ في عمان حدثت «أزمة خطرة» وضعت علاقات الجبارين **بشكل مباشر** على المحك نظراً لمشاركة قوى محسوبة على السوفيات في محاولة لقلب النظام الهاشمي (الراديكاليون الفلسطينيون بمساعدة ومشاركة نظام صلاح جديد اليساري البرو ـ سوفياتي في سوريا) ولهذا استنفر كيسنجر بشكل فوري القوات الأميركية والإسرائيلية للتدخل عند الضرورة وحسم الموقف لمصلحة الملك حسين. إن وقوف القبائل والجيش الأردني إلى جانب الملك حسين كان عاملاً مهماً في التغلّب على الفلسطينيين ولكن النقطة الحاسمة في الأزمة، على الصعيدين الإقليمي والدولي، كانت في امتناع الفريق حافظ الأسد وزير الدفاع السوري وقائد الطيران، كان امتناعه عن إعطاء تغطية جوية لمدرعات صلاح جديد التي دخلت الأراضي الأردنية، مما سمح لطائرات الملك حسين بالعمل بحرية في ظل تأهب أميركي - إسرائيلي واضح.

(٢) M. et B. KALB. Kissinger. op. cit. p.188-189.

□ـ أما في بيروت فما حدث ويحدث هو مجرد «مأساة حزينة» تستمر فصولها (ومطلوب لها أن تستمر في عملية التدمير الذاتي أطول مدة ممكنة) ولكنها لا تشكل **مساساً مباشراً** بالعلاقات الأميركية ـ السوفياتية «ولا تؤثر في الميزان الدقيق والخطر بينهما لأن الاتحاد السوفياتي بعيد أو مبعد عن الاهتمامات والتفاعلات اللبنانية[٣]». ولأن نوعية التركيبة اللبنانية تختلف عن نوعية التركيبة الأردنية حتى وإن كان العامل المفجّر للتركيبتين واحداً (أي الراديكاليون الفلسطينيون).

السؤال السؤال: إلى أي مدى كان هنري كيسنجر ضالعاً /في، ومسؤولاً /عن، هذه المأساة اللبنانية الحزينة المحزنة؟ بمعنى آخر: إلى أي مدى كانت المأساة اللبنانية جزءاً من استراتيجية كيسنجر بشكل عام ومن استراتيجيته في الشرق الأوسط بشكل خاص؟

... في الفصول التالية نحاول أن نقدّم جواباً علمياً على هذا السؤال.

(٣) محمد حسنين هيكل. الحل والحرب. مصدر سبق ذكره. ص ١٠١.

الفصل الأول

الجيوبوليتيك اللبناني:
كيسنجر ونظام الخطوط الحمر!

في محاضرة بعنوان «لبنان في العالم: آفاق مستقبلية[١]» شدَّد ميشال شيحا، منذ بداية الخمسينات، على الربط بين مصير لبنان ووضع جارتيه: سوريا وإسرائيل. ويرى ميشال شيحا أن على كل لبناني، يتأمل ملياً في واقع بلده وفي مصيره ومستقبله، أن يضع دائماً في اعتباره حقيقتين:

الأولى: أن سوريا تحد لبنان من الشمال ومن الشرق وأنه بحجة تكبيرها (جغرافيـاً)، «تُدعى سـوريا من وقت لآخـر إلى التخلي عن وجهها بالذات مع أن التاريخ حدد هذا الوجه وحدد مصيرها أيضاً».

الثانية: أن إسرائيل «صارت» تحد لبنان من الجنوب، «وأن تكون إسرائيل على حدودك فهذا يعني وجود قوة دولية هي مزيج

---

(١) Michel CHIHA: Le LIBAN DANS LE MONDE. Perspectives d'Avenir. Les Conférences du Cénacle n˘ 9-12. 25/12/1951. p.270.

غريب من الواقعية والمادية والتعقلية والإشراقية». وسواء نجحت إسرائيل في تحقيق مطامعها أم واجهت المصاعب فإننا (كلبنانيين) سنواجه المصاعب في الحالتين معاً لأنه مهما عملنا فلن نعرف الراحة أبداً. هذا ما ينبغي قوله بشجاعة للشعب اللبناني لأن هذا هو الحقيقة[٢]».

إن ما ذهب إليه ميشال شيحا، بفكره النيّر يشكّل في الحقيقة إحدى القواعد الهامة في الجغرافيا السياسية. «فليس من المستحب أن تقوم إلى جوارك (إلى جوار دولتك) دولة قوية[٣]» كما يقول فريدريتش راتزل خاصة إذا كانت دولتك صغيرة ووسيطة أي بمثابة دولة ـ عازلة بين دولتين قويتين. ففي جيوبوليتيك البلدان الصغيرة، إن هذه البلدان تكون أكثر استقراراً إذا كانت الدول المحيطة بها أقل قوة. ولكنها تصبح مهددة ومعرّضة للأخطار بمقدار ما تتعاظم قوة الدول المحيطة بها (مثال ذلك: لبنان والكويت). السبب في ذلك واضح، وهو أن هذه البلدان الصغيرة «تشكل حاجزاً بين دول هي في طور التمدّد والنمو» باعتبار أن النمو «هو دلالة حيوية الدولة»، وكل تمدد (كل نمو) سيكون بالدرجة الأولى على حساب الدولة (أو الدول) المجاورة الأقل قوة. وسيصبح من الصعب، وربما من المستحيل على هذه الدول العازلة أن تحتفظ بتوازنها وبالتالي استقلاليتها إزاء جارتيها القويتين. ويذهب راتزل إلى التأكيد، بأن احتفاظ هذه الدول الصغيرة باستقلاليتها، (خاصة إذا كانت تتمتع بميزات استراتيجية

(٢) Michel CHIHA. op. cit.

(٣) F. Ratzel: op. 'cit. p.264.

مهمة تؤثر على أمن جيرانها (مثل لبنان)) مرهون بأمرين من دونهما يبقى مصير هذه الدول مهدداً، وهما:

□ـ أن تعمَّد دولاً محايدة لأن الحياد (أو التحييد) يكسبها التوازن المطلوب بالنسبة لجارتيها (أو لجيرانها) ويسحب من يد جارتيها (أو جيرانها) الحجة الدائمة المبنية على توسيع (وتمديد) مقولة أمنها القومي خارج نطاق حدودها الدولية لتشمل الدولة الصغيرة المجاورة جزئياً أو كلياً، بحيث تصبح الدولة الصغيرة حيزاً جغرافياً تتنافس وتتصادم فيه وحوله مفاهيم الأمن القومي للدولتين المجاورتين له. وليس سوى الحياد ما يسقط شرعياً ودولياً مثل هذه المقولة.

□ـ أن يحدث تقدّم واحترام وفعاليّة للقانون الدولي لأن هذا القانون (بفعل المؤسسات الدولية) هو الذي يشكّل الضمانة الأهم للدول الصغيرة.

إذا طبقت القواعد الأساسية في الجغرافيا السياسية على واقع لبنان كحيّز جغرافي استراتيجي واقع بين سوريا التي تحوّلت، مع الرئيس الأسد، منذ بداية السبعينات، من دولة يجري الصراع عليها إلى دولة يجري الصراع معها، وبين إسرائيل التي تتعاظم قدراتها وتتأكد جذريتها السياسية بمقدار ما تتجه قيادتها نحو اليمين الديني ـ القومي، لتبين لنا أمران:

١ ـ إن لبنان واقع في مركز التجاذب الاسرائيلي ـ السوري على خلفية الأمن القومي لكل من الدولتين.

٢ ـ وإن «عبقرية» كيسنجر الستراتيجية تمثلت في مخططه القائم على تشريع وتنظيم هذا التجاذب وفقاً لقاعدة «الخطوط

الحمر»، وفي إطار الأهداف والمصالح الأميركية في منطقة الشرق الأوسط.

أولاً ـ السوريون: أمن سوريا من أمن لبنان

إن مقولة «أمن سوريا من أمن لبنان» هي إحدى المقولات المركزية في الستراتيجية السورية إزاء لبنان. وقد شدد عليها جميع المسؤولين السوريين وعلى كافة المستويات.

□ـ الرئيس حافظ الأسد صرّح بأن «الجميع يعرفون حرصنا في سوريا على سلامة لبنان وعلى أمنه. فمن الصعب الفصل بين أمن لبنان بمعناه الواسع وبين أمن سورية[٤]». وبالتحديد «فإن لبنان والبقاع بكامله ضروري للدفاع عن سورية[٥]». «وارتباط أمن البلدين هو ارتباط وثيق[٦]».

□ـ السيد عبد الحليم خدام «يربط بين الأمن اللبناني والأمن القومي للأمة العربية عامة وسورية خاصة[٧]» ورسم خطاً أحمر سورياً (جغرافياً) «يمتد من جزين إلى شتوره فزحلة بعلبك الهرمل[٨]».

□ـ اللواء مصطفى طلاس رأى «أن لبنان هو البلد التوأم

(٤) الحوادث عدد ٩٧٢. ١٩٧٥/٦/٢٧.
(٥) الأوبزرڤر ٩٨٢/٣/٦.
(٦) البعث ١٩٧٧/٤/١٩.
(٧) البعث ١٩٧٨/٧/٣٠.
(٨) العلاقات اللبنانية السورية ـ الجزء الأول ـ سادر (Cedre) بيروت ١٩٨٦. ٩٨١/٤/٧.

لسورية وهو يمثل جغرافياً الجانب الغربي للقطر العربي السوري. وهذا يعني بالضرورة أن ما يمس لبنان وأمنه يمس أمن سورية[٩]».

□ـ وزير الإعلام السوري أحمد اسكندر أحمد قال: «إن أمن لبنان وأمن سوريا مرتبطان أحدهما بالآخر ارتباط مصير. ولا يمكن أن نتساهل تجاه أي حدث أو موقف يستهدف الإخلال بأمن لبنان لأننا لا نريد أن نتساهل تجاه أي موقف يستهدف الإخلال بأمن سورية مباشرة[١٠]».

ثانياً ـ الإسرائيليون: أمن إسرائيل من أمن لبنان.

غداة إدخال صواريخ سام (٢، ٣، و٦) سورية إلى لبنان في أوائل أيار ١٩٨١[١١] عقدت الكنيست اجتماعاً (١٩٨١/٥/١١) ألقى فيه رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن بياناً شاملاً طلب فيه الموافقة على تدخل إسرائيلي في لبنان لضرب بطاريات الصواريخ السورية. وكشف بيغن (وهو يعرض مبررات التدخل الإسرائيلي) الأهمية الستراتيجية للبنان بالنسبة لإسرائيل. قال:

«إن من يسيطر على جبل صنين، وسماء لبنان، سيسيطر على لبنان كله حتى الحدود اللبنانية الإسرائيلية. وليس في ذلك أدنى شك. وعندئذ **ستواجه إسرائيل خطر الوجود**. وستصبح

(٩) الشراع عدد ٣٠٦، ١٩٨٦/٣/١٧.
(١٠) النهار ١٩٧٨/٧/٣.
(١١) تم إدخال الصواريخ بعد إسقاط الطيران الإسرائيلي طائرتي هليوكوبتر سوريتين في البقاع (إبان حرب زحلة) في ١٩٨١/٤/٢٨.

الحرب أمراً محتماً إنما في أسوأ الظروف بالنسبة لإسرائيل». وأضاف مناحيم بيغن يقول: «إننا لن نسلِّم، في أي حال من الأحوال، باحتلال الجبل الذي تعتبر السيطرة عليه، سيطرة على لبنان كله. وكل من يلقي نظرة على الخريطة يتبين ذلك. ومن هنا قلقنا. وكذلك قراراتنا في الماضي وفي المستقبل، إذا دعت الضرورة[١٢]».

هذه النظرة (على الخريطة) إلى الجيوبوليتيك اللبناني وتأثيره على الأمن القومي لإسرائيل تعفي من إيراد العديد من الآراء المشابهة لدى القادة والستراتيجيين الإسرائيليين الذين بلسان إيتهار رابينوفيتش يعتبرون «أن الصراع في لبنان يعنينا لأن نتائجه سوف تؤثر، بالضرورة، في أمننا القومي[١٣]». وبلسان آرييل شارون يؤكدون: «إن أمننا وثيق الصلة بأمن لبنان[١٤]».

ثالثاً ـ كيسنجر: مصلحة أميركا وأمن إسرائيل وسوريا من «لا أمن» لبنان!

تتمثل «عبقرية» كيسنجر الستراتيجية (باعتباره من صانعي التاريخ وليس من مدوّنيه) في مقدرته على الجمع بين حلم سوريا التاريخي في لبنان من جهة، ومطامع إسرائيل المعروفة من عهد بن غوريون وموشه شاريت في لبنان من جهة ثانية، ومصالح

(١٢) العمل ١٩٨١/٥/١٧.
(١٣) مدير مركز ديان في: إسرائيل وتجربة حرب لبنان. م.د.ف. نيقوسيا ١٩٨٦. ص ٢٣٢.
(١٤) شيمون شيفر. كرة الثلج. الطبعة العربية ١٩٨٤. ص ٢٦٠.

أميركا الإقليمية من خلال إعطاء الكيان اللبناني وظيفة جديدة في المنطقة في مرحلة تاريخية معيّنة، أي تحويله من سوق قطع مالي الى «سوق قطع سياسي أي ساحة لتسويق المشاريع وتبادلها[١٥]» كما يقول كيسنجر، من جهة ثالثة. وهذه الجميعة (Synthèse) البراغماتية والمتوازنة بالنسبة للدول الثلاث جعلت، وإلى حد كبير، من الستراتيجيتين الإقليميتين: الإسرائيلية والسورية جزءاً من الستراتيجية الأميركية في المنطقة وذلك بالنسبة للوضعية اللبنانية على الأقل... وهذا ما أكده مسار الحرب اللبنانية منذ العام ١٩٧٦ حتى الآن!.

قلنا العام ١٩٧٦ (ولم نقل العام ١٩٧٥) لأن خطة كيسنجر في وضع لبنان تحت الكوندومينيوم[١٦] السوري ـ الإسرائيلي غير المعلن، (برعاية أميركية) تم تظهيرها والنقاش حولها والاتفاق بشأنها ومن ثم وضعها موضع التنفيذ خلال العام ١٩٧٦. لقد كانت أحداث العام ١٩٧٥ مدخلاً ومبرراً للوصول إلى خطة العام ١٩٧٦ والتي هي بدورها جزء من استراتيجية كيسنجر العامة في المنطقة كونها تمثل حلقة أساسية (مأساوية) من حلقات الصراع العربي ـ الإسرائيلي كما يراه ويريده وينفذه هنري كيسنجر بأدوات لبنانية وإقليمية[١٧].

(١٥) النهار العربي والدولي. عدد ٦٢٦. ١٩٨٩/٥/١٤.
(١٦) الكوندومينيوم هو نظام الحكم المشترك حيث تشترك دولتان أو أكثر في ممارسة السلطة داخل بلد ثالث.
(١٧) سنناقش في فصل لاحق مدى الصحة في وجود خطة كيسنجر. (البعض يسميها مؤامرة كيسنجر على لبنان) وفي استهدافات هذه الخطة ونتناولها في هذا الفصل من زاوية جيوبوليتيكية فقط.

فمع انحسار سلطة الدولة المركزية في بيروت بفعل أحداث العام ١٩٧٥، بدأت تنداح وتكبر دائرة التدخل الإسرائيلي (في الجنوب) والسوري (في البقاع والشمال) بشكل غير مباشر ثم بشكل مباشر. فقد تطوّرت الدائرة «الأمنية» في جنوب لبنان، وبمحاذاة حدود إسرائيل الشمالية: من «الجدار الطيب» إلى «الحزام الأمني» لتصبح بعد الاجتياح الإسرائيلي للجنوب (آذار ١٩٧٨) «دولة لبنان الحر» كما أعلنها «رسمياً» قائد «جيش لبنان الجنوبي» سعد حداد (١٩/٤/١٩٧٩). بالمقابل كان الجيش السوري يدخل لبنان من الشرق والشمال ابتداء من أول حزيران ١٩٧٦. وكان الهدف المعلن لكلتي الدولتين (سوريا وإسرائيل) من التدخل في لبنان هو الحفاظ على أمنهما ووقف سفك الدماء وذلك «استجابة لاستغاثة اللبنانيين من مسيحيين أو مسلمين أو الاثنين معاً»!

لكن دخول الجيش السوري إلى لبنان (عام ١٩٧٦)، وقبل الجيش الإسرائيلي بسنتين، لم يكن عملية بسيطة وسهلة. بل هو تم بطلب وموافقة ظاهرية عربية. وأيضاً بطلب وموافقة دولية رعتها الولايات المتحدة ونسقها هنري كيسنجر بالذات وأقنع إسرائيل بها. لقد ظلت إسرائيل حتى اللحظة الأخيرة تعارض أي دخول عسكري سوري إلى لبنان طوال العام ١٩٧٥:

□ـ شمعون بيريز اعتبر هذا الدخول تهديداً، «ليس لتوازن لبنان وسلامته فحسب وإنما لأمن الحدود الشمالية لإسرائيل وسلامتها أيضاً[١٨]».

---

(١٨) الكتاب السنوي الفلسطيني لعام ١٩٧٥ مركز الدراسات الفلسطيني. ص ٤١٣.

□ـ موردخاي غور رأى في ذلك «تحويلاً للبنان إلى دولة مواجهة[١٩]».

□ـ والمعلق العسكري المعروف زئيف شيف «رأى في الدخول السوري إلى لبنان تسلطاً على ممرات، شمالي إسرائيل، مريحة أكثر ومحاولة لتطويقها من جهة ثانية[٢٠]».

ولكن «في أوائل ١٩٧٦، وكنتيجة للاتصالات الأميركية بالإسرائيليين بدأ القادة الإسرائيليون يغيرون نظرتهم تجاه النوايا السورية في لبنان[٢١]» «وهذه الاتصالات الأميركية - الإسرائيلية كانت بقيادة وإشراف هنري كيسنجر نفسه مباشرة أو بواسطة السفارة الإسرائيلية في واشنطن. أو السفارة الأميركية في تل أبيب[٢٢]». «وفي آذار ١٩٧٦نقل كيسنجر للإسرائيليين نوايا السوريين بخصوص التدخل في لبنان» وفي تقديره «أن لدى سوريا مصالح أكثر من إسرائيل في لبنان» وأن التدخل السوري سيشكل قوة رادعة لمنظمة التحرير الفلسطينية[٢٣]» حتى أن كيسنجر «حاول أن يقنع إسرائيل بدخول الجيش السوري إلى جنوب لبنان في سبيل نزع سلاح منظمة التحرير وتدميرها ولكن إسرائيل كانت تخشى أن يتحوّل الجنوب إلى قاعدة سورية[٢٤]».

---

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) المصدر السابق.

(٢١) YAIR EVRON: WAR AND INTERVENTION IN LEBANON. Croom Helm London. 1987. p.202.

(٢٢) المصدر السابق. ص ٥٩.

(٢٣) المصدر السابق ص ٤٦.

(٢٤) المصدر السابق ص ٥٥ - ٥٦.

مارس هنري كيسنجر، على طريقته المعروفة، الضغط على كل من سوريا وإسرائيل في آن للتوصل إلى نوع من (Modus Vivendi) عبر لبنان يتمثل بما وصف «بالستاتيكو» القائم على ثلاثة قوائم هي أميركا وإسرائيل وسوريا بالتفاهم فيما بينها وذلك على ضوء الحوار الثلاثي الذي أجري في نيسان ١٩٧٦ بين أميركا من جهة وكل من سوريا وإسرائيل من جهة ثانية وأصبح القاعدة الأساسية للتطوّرات الجارية في لبنان منذ ذلك التاريخ. لقد كان كيسنجر يهدد إسرائيل «بأن ينقلب لبنان إلى دولة مواجهة مع وجود هذا العدد الكبير من الفلسطينيين الذين يعيشون فيه[٢٥]» وكان «يحذر بشدة جميع الدول الخارجية، بما فيها إسرائيل وسورية. من اتخاذ أية خطوات عسكرية متهورة... فالولايات المتحدة تعارض التدخل (في لبنان) من طرف واحد[٢٦]». وواضح من كلام كيسنجر أنه لا يعارض الخطوات العسكرية المدروسة «والمتفق عليها»... كما أنه لا يعارض التدخل من طرفين اثنين!!

وفي الوقت الذي كانت فيه سورية مهيأة ومتحفزة للتدخل عسكرياً في لبنان لأسباب «قومية وإنسانية»، كان كيسنجر (ومعه مساعداه جوزف سيسكو وموريس دريبر) يمهّدان الطريق ويستعجلان هذا التدخل وذلك في ضوء التطورات التي حصلت في

(٢٥) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٦. م.د.ف ١٩٧٩. ص ٣٥٣. نقلاً عن المنشورات الأميركية (DSB LXXIV, 1914, 1/3/76 p.267-269).

(٦٢) المصدر السابق (Ibid. 1920, 12/4/76 p.478.

لبنان والتي كادت أن تجمد خطة كيسنجر المرسومة وهو ما اعترف به كيسنجر إذ قال: «مرة واحدة حدث خطأ عربي - أوربي كاد يجمد حركة العملية. وسارعت بإرسال دين براون - وهو مهندس سياسي اختصاصي بعمليات الشرق الأوسط - ولقد كشف بسرعة عن موضع الخلل، ثم أعاد ضبط الجهاز الكبير الذي يحرك الأمور حسب الأهداف المطلوبة والخطة المرسومة[٢٧]».

و«الخطأ العربي - الأوربي الذي يشير إليه كيسنجر يتمثل بسعي التحالف الفلسطيني - اليساري وبدعم أوربي (فرنسي) إلى قلب التوازن في لبنان (معركة الجبل) والمجيء برئيس جمهورية برو - فرنسي (العميد ريمون إده) إلى سدة الرئاسة. لهذا دعّم دين براون السيد الياس سركيس لرئاسة الجمهورية وسعى للتقرّب من السيد كمال جنبلاط وتقريبه من أميركا. كما عمل على فتح قنوات اتصال بين قائد اليسار (السيد جنبلاط) من جهة وبين قادة من اليمين المسيحي (الشيخ بشير الجميل والأباتي شربل قسيس) من جهة ثانية... وأوصى بالتأكيد بضرورة دخول الجيش السوري إلى لبنان في أسرع وقت، لكي يشكل صمام الأمان ضد أية إمكانية لنجاح التحالف اليساري - الفلسطيني من جهة... ولقطع الطريق على اقتراح الرئيس المصري أنور السادات «بإرسال قوة عربية مشتركة إلى لبنان»، من جهة ثانية.

لقد كانت التعليمات التي أعطاها كيسنجر لبراون «هي في

(٢٧) راجع نص جواب كيسنجر على كتاب العميد إده في الملحق رقم III

أن يتصل بالأطراف كافة في لبنان وخصوصاً بالسيد كمال جنبلاط[٢٨]». ولدى اجتماعه بكيسنجر في لندن (في طريق عودته من بيروت ٢٣/٤/١٩٧٦) وخلال المؤتمر الصحفي المشترك الذي عقداه في العاصمة البريطانية «عبّر السيد براون عن شعوره بأن الولايات المتحدة قد ارتكبت خطأ حين ضغطت بشدة على سورية لمنعها من إرسال جنودها إلى لبنان للفصل بين المتقاتلين[٢٩]» هذا يعني أن على الولايات المتحدة بعد الآن أن تبادر هي إلى دعوة القوات السورية للدخول إلى لبنان بعد قيام تنسيق أميركي - سوري، وأميركي - إسرائيلي في هذا المجال. لقد وصف كيسنجر «دور براون في العملية الديبلوماسية بأنه دور حاسم[٣٠]». ولقد اختصرت مجلة «الحوادث» هذا الدور بعنوان معبّر وبليغ: «براون يقترح وضع لبنان تحت الوصاية[٣١]». كما اختصر موريس درير الموقف الأميركي (كمساعد لكيسنجر) في أيار ١٩٧٦ بالقول: «نحن الذين دعونا السوريين إلى دخول لبنان، ولولا أميركا لما استطاعوا أن يدخلوا... لقد شاركت في صنع هذا القرار والاتفاقية التي دخلوا بموجبها[٣٢]».

ما هي هذه الاتفاقية التي «دخلوا بموجبها» والتي يشير إليها موريس درير؟

---

(٢٨) الكتاب السنوي ص ٣٥٤ نقلاً عن «التايم» ١٢/٤/١٩٧٦.
(٢٩) المصدر السابق ص ٣٥٥.
(٣٠) المصدر السابق.
(٣١) الحوادث عدد ١٠١٤، ١٦/٤/١٩٧٦.
(٣٢) الوطن العربي عدد ٣٦٠، ١٢/٨/١٩٨٤.

- إنها الاتفاقية الشهيرة المعروفة «بنظام الخطوط الحمر» والتي كانت ثمرة جهود كيسنجر لترتيب الوجودين السوري والإسرائيلي فوق الخريطة اللبنانية.

رابعاً: كيسنجر يرسم «نظام الخطوط الحمر» «RED LINES SYSTEM»

بعد إقناع إسرائيل (على يد كيسنجر) بفائدة الدخول العسكري السوري إلى لبنان، وبعد قبول سوريا بمبدأ «الستاتيكو» وتقاسم النفوذ في لبنان (بمسعى كيسنجر)، سعت الإدارة الأميركية (بقيادة وتوجيه كيسنجر) إلى صياغة «اتفاقية» ترعاها الولايات المتحدة وتلتزم بها كل من سوريا وإسرائيل. وهذه الإتفاقية تحدد لكل من سوريا وإسرائيل الحدود القصوى لتحركها العسكري فوق الخريطة اللبنانية منعاً لحدوث صدام بينهما وضماناً لكل منهما بأن وجود أحدهما لا يهدد أمن الآخر انطلاقاً من الأراضي اللبنانية. وبما أن الجيش السوري النظامي هو الذي سيتدخل في لبنان أولاً[٣٣]، فإن نظرية «الخطوط الحمر» كانت تعني ثلاثة أمور أساسية.

- ☐ حجم القوة العسكرية المتدخلة في لبنان.
- ☐ نظام الأسلحة المستعملة لدى هذه القوة.
- ☐ انتشارها الجغرافي على الخريطة اللبنانية.

---

(٣٣) جرت المفاوضات خلال آذار، نيسان وأيار ١٩٧٦. ودخل الجيش السوري إلى لبنان في أول حزيران ١٩٧٦. وهي مفاوضات غير مباشرة لأنها جرت بواسطة الولايات المتحدة.

في ٢٤ آذار ١٩٧٦ سلمت إسرائيل للإدارة الأميركية مذكرة تحدد فيها شروطها للموافقة على دخول الجيش السوري إلى لبنان وقد سميت هذه الشروط «بالخطوط الحمر» وهي خمسة:

١ - يتم هذا التدخل بشكل ضمني ومن دون إعلان رسمي.
٢ - لا يجوز لسورية إدخال أكثر من لواء واحد إلى لبنان.
٣ - لا يحق لقوة التدخل أن تستعمل الدبابات والمدفعية وصواريخ أرض - جو.
٤ - لا يحق للطيران السوري استعمال الأجواء اللبنانية وكذلك البحرية السورية لا يحق لها استعمال المياه الإقليمية اللبنانية.
٥ - لا يحق للقوات السورية تجاوز مسافة عشرة كيلومترات جنوب طريق بيروت - دمشق الدولية[٣٤]».

ومع أن البعض ذهب إلى حد اعتبار هذه الشروط الإسرائيلية بأنها هي «الخطوط الحمر[٣٥]» فإنها لم تكن كذلك لأنها تمثل وجهة نظر واحدة. فقد أطلق عليها الإسرائيليون تسمية «الخطوط الحمر» كما يرونها هم ولكن محتواها تعدّل من خلال المفاوضات. لقد كان الرد السوري على هذه الشروط مرناً ومبهماً ولم يلتزم بشيء إلا بالقول «إن سوريا ليست مستعدة لإرسال قواتها إلى الجنوب اللبناني[٣٦]». لقد طلبت إسرائيل في شروطها هذه، الحد الأقصى. ولكن ديبلوماسية كيسنجر استطاعت أن تجد حلاً وسطاً وفقاً لطريقته المعروفة «بإعطاء شيء ما لكل من طرفي

(٣٤) YAIR EVRON. op. cit. p.46.
(٣٥) منهم الرئيس أمين الجميل في مذكراته، الحياة ١٩٩٠/١٢/١٠.
(٣٦) YAIR EVRON. op. cit. p. 47.

الصراع يجعلهما في وضع أفضل من استمرار الصراع ذاته». لقد كان من السهل على كيسنجر تليين الموقف الإسرائيلي بوجود أحد أقرب «تلامذته» اليهود إليه وهو إيغال ألون في منصب وزارة الخارجية الإسرائيلية. ولقد كشف شمعون بيريز (وزير الدفاع الإسرائيلي عام ١٩٧٦) عن اتفاقية الخطوط الحمر «النهائية التي تم التوصل إليها» والتي تتضمن ثلاثة أمور:

١ - لن تتجاوز القوات السورية خطاً أبعد من نهر الزهراني وقرية كفرمشكي التي تبعد ٤٠ كيلومتراً عن الحدود الإسرائيلية.
٢ - تمنح سوريا سلاح الجو الإسرائيلي حرية الحركة في الأجواء اللبنانية ولا تدخل إلى لبنان صواريخ أرض - جو.
٣ - تمتنع سوريا عن توجيه ضربات جوية إلى أهداف أرضية مسيحية[٣٧]».

في ضوء ما قاله مسؤولون أميركيون وإسرائيليون، أي في ضوء مسار الحرب اللبنانية، منذ العام ١٩٧٦ حتى الآن، يمكن استخلاص النتائج التالية:

١ - إن «نظام الخطوط الحمر» بين سوريا وإسرائيل في لبنان هو نظام قائم وأكيد وقد تم الاتفاق بصدده برعاية وتخطيط هنري كيسنجر. وآلية صياغة هذا النظام، «هذا التفاهم»، «هذه الاتفاقية»، شرحها جوزيف سيسكو (مساعد كيسنجر) بقوله «تم **التوصل في عام ١٩٧٦ إلى «صيغة تفاهم» مع سوريا وإسرائيل حول لبنان. وهذه الصيغة رسمت حدود التحرك السوري - الإسرائيلي في الأراضي اللبنانية... نحن الذين دفعنا الطرفين إلى**

(٣٧) النهار ١٩٨١/٥/٢ نقلاً عن (Reuter - AFP. AP, UP).

هذا التفاهم بواسطة الأساليب الديبلوماسية... نعم. إن سهل البقاع مهم جداً لأمن سورية وهذا ما جرى الاعتراف به في التفاهم الضمني. وأهمية هذا السهل بالنسبة لسورية هي كأهمية الحزام الأمني بالنسبة لإسرائيل». وأضاف سيسكو محدداً طبيعة هذا «التفاهم»: «**فهو مدوّن ولا أعني أن هناك وثيقة ما، بل كان الأمر عبارة عن تفاهم تم تطويره على أساس الاستشارات التي اشتركت فيها الولايات المتحدة ولبنان وإسرائيل وسورية**». «**ومع ان لبنان كان على علم بذلك، فإن اطار التفاهم الضمني كان طرفاه الرئيسيان: سورية واسرائيل**[٣٨]» وحول اتهامه، مع أستاذه هنري كيسنجر، من جانب بعض الشخصيات اللبنانية، بالتآمر على لبنان، لم ينفِ ولم يؤكد «ولكنه تحدث عن صيغة التفاهم التي حققتها أميركا مع سورية وإسرائيل حول لبنان في عهد كيسنجر بهدف وضع حد للحرب الأهلية وفرض درجة من الاستقرار[٣٩]» في بلد الأرز.

٢ ـ إن «نظام الخطوط الحمر» قام على قاعدة التوازن التي اشتهر بها كيسنجر. ويمكن تحليل هذا التوازن على الشكل التالي:

□ـ حصلت سوريا على مكاسب جغرافية (في البر) منها:

● حقها في التواجد عسكرياً على مساحة نحو ٥٢٪ من الأراضي

(٣٨) عن محضر تقرير سري قدمه سيسكو في لقاء عمل عقد في نيويورك في النصف الثاني من أيار ١٩٨١ ونشرته مجلة «المجلة» التي تصدر في لندن مع حديث أجرته مع جوزف سيسكو ونقلتها صحيفة «العمل» بتاريخ ٤/٦/١٩٨١.

(٣٩) المصدر السابق.

اللبنانية (البقاع ٤٢٨٠كلم^2 + عكار ١٠٠٠كلم^2) في حين أن إسرائيل تتواجد على مساحة نحو ٢٠٪ منها فقط. (الجنوب ٩٤٢كلم^2 + النبطية ١٠٥٨كلم^2) ويبقى الجبل من زغرتا الى جزين (+بيروت) منطقة رمادية = ٢٨٪ (١٩٥٠كلم^2 + ١٠٠٠كلم^2 + ١٨كلم^2).

● إن الخط الشهير الذي يفصل بين النفوذين، أو الخطر الأحمر للانتشار الجغرافي هو الذي يبعد مسافة ٤٠ كيلومتراً داخل حدود لبنان بالنسبة للحدود الإسرائيلية. وتشير مختلف المصادر إلى أن هذا الخط يبدأ عند نقطة الزهراني (أو صيدا) على الساحل وهما متقاربان جداً، ويمر عبر مدينة جزين ليصل إلى بلدة كفرمشكي (أو بلدة راشيا) المتقاربتين أيضاً في البقاع الغربي. والواقع إن خط صيدا جزين كفرمشكي هو خط مستقيم على الخريطة اللبنانية ويقطع الجغرافية اللبنانية على مسافة ٤٠ كيلومتراً من الحدود شاملاً ما يقارب ٢٠٠٠ كيلومتراً مربعاً من الأراضي اللبنانية. وبالإضافة إلى ما ذكره شمعون بيريز عن هذا الخط، فإن البروفسور موشه ماعوز المتخصص في شؤون سورية في الجامعة العبرية، كتب مقالاً في صحيفة الجيروزاليم بوست أشار فيه إلى «وجود تفاهم تم التوصل إليه بين سوريا وإسرائيل عام ١٩٧٦ على أن لا تتقدم القوات السورية وراء الخط الأحمر الممتد بين جزين وصيدا ولا يزال هذا التفاهم صامداً[٤٠]». «ونظراً لتعدد

(٤٠) الحياة ١٤/١١/١٩٩٠.

التعاريف بهذا الخط الجغرافي المهم فإن التعريف الصحيح به هو الخط الممتد من راشيا مروراً بجزين حتى صيدا. ولقد كان هذا هو الخط الأقصى الذي وافقت الحكومة الإسرائيلية عليه وأبلغه اسحق رابين رئيس الوزراء إلى واشنطن قبل الدخول السوري إلى لبنان في ٣١ أيار ١٩٧٦[41]». وليس من قبيل الصدف أن تحدد إسرائيل مسافة ٤٠ كيلومتراً كمدى لعملية «سلامة الجليل» عام ١٩٨٢ حتى وإن تخطى شارون هذا المدى من بعد!

● كبر حجم القوة العسكرية السورية (والعربية) المتدخلة في لبنان. ففي حين وضعت إسرائيل في شروطها دخول لواء واحد، فإن القوات المقاتلة التي دخلت لبنان تألفت من «ثلاثة ألوية مشاة وأربعة ألوية ميكانيكية (مؤللة) ولوائين مدرّعين وأربع كتائب خاصة[42]».

● تنوع نظام الأسلحة المستعملة لدى هذه القوات: مدرعات وآليات عسكرية ومدفعية من مختلف الأحجام.

□ـ بالمقابل حصلت إسرائيل على مكاسب في الجو.

● يكون للطيران الإسرائيلي حرية استعمال الأجواء اللبنانية مما يستتبع ضرب أهداف فلسطينية ولبنانية عند الضرورة.

● لا يكون لسورية الحق في نصب صواريخ أرض - جو في لبنان لأنها ستعيق حتماً مهمة الطيران الإسرائيلي.

● لا يمكن لسورية استعمال الطيران لضرب أهداف أرضية

(٤١) YAIR EVRON. op. cit. p. 59.

(٤٢) العميد الركن فؤاد عون «قوات الردع العربية في لبنان، بيروت ١٩٨٩. ص ٢٤١.

وخاصة مسيحية داخل لبنان[43]».

□ـ أما في البحر فيبدو (من خلال الممارسة) أن التفاهم تم على شبه تحييد الواجهة البحرية في حين يكون لكل من الدولتين حق مراقبة الشواطىء القريبة من حدودها. إسرائيل من الناقورة حتى صيدا، وسوريا من النهر الكبير حتى طرابلس مع إمكانية التمدد (من الجنوب والشمال باتجاه بيروت في حالات عسكرية خاصة (إسرائيل في حرب سلامة الجليل ١٩٨٢، وسوريا إبان «حرب التحرير» ١٩٨٩).

خامساً - انتهاك «الخطوط الحمر»

يمكن القول إن «نظام الخطوط الحمر» الذي رتّبه كيسنجر، ووضع بموجبه لبنان (بشكل فعلي وإن لم يكن بشكل رسمي) تحت الكوندومينيوم السوري - الإسرائيلي، هذا النظام لا يزال حتى تاريخه ساري المفعول. وبالرغم من حصول بعض الخروقات لهذا النظام، من جانب هذا الفريق أو ذاك، وبفعل التطورات التي تنشأ عن مواقف القوى الداخلية اللبنانية المؤيدة والمرتبطة بسوريا أو بإسرائيل، فإن «ما يعزز حكم الدولتين الضمني، ولكن المشترك على لبنان، هو احترامها المتبادل لقوتيهما العسكريتين، كما أنه قد يعزز، رغم بعض الاعتراضات،

(٤٣) استعملت سورية هذا الأسلوب مرتين: الأولى في ٢٨ آذار ١٩٨١ في حرب زحلة - صنين لقصف القوات اللبنانية مما أدى إلى تدخل إسرائيل ونشوء أزمة الصواريخ المعروفة. ومرة ثانية في ضرب القصر الجمهوري في بعبدا في ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠ لإزاحة العماد ميشال عون لصالح شرعية الرئيس الياس الهراوي بموافقة اميركية!

محافظتها على ستاتيكو قائم[٤٤]» بحسب كلام الستراتيجي الأميركي (اليهودي الأصل) عاموس برلموتر (Amos Perlmuter).

لكن أخطر انتهاك «للخطوط الحمر» هو الذي حدث عامي ١٩٨١ - ١٩٨٢ فخلال «حرب زحلة» بين الجيش السوري والقوات اللبنانية بقيادة الشيخ بشير الجميل قامت طائرات هليوكوبتر سورية بالإغارة على مراكز القوات اللبنانية وخاصة في تحصينات جبل صنين المنيعة والتي كانت تربط زحلة بالمنطقة المسيحية في جبل لبنان. اعتبر مناحيم بيغن الإجراء السوري بأنه انتهاك للخطوط الحمر وقامت طائرات إسرائيلية (في ١٩٨١/٤/٢٨) بإسقاط طائرتي هليوكوبتر سوريتين على التلال ما بين زحلة وصنين. عندها اتخذ الرئيس الأسد قراره بإدخال صواريخ أرض - جو إلى سهل البقاع ورفض إنذاراً إسرائيلياً بإخراجها وتطوّر الوضع باتجاه أزمة إقليمية (بين سوريا وإسرائيل) ودولية (بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة). «لقد ألغى إسقاط الطوافتين سياسة الخطوط الحمر التي ظلت قائمة منذ سنة ١٩٧٦[٤٤]».

وكشف مناحيم بيغن أمام الكنيست أن العدد الإجمالي لبطاريات أرض - جو التي أدخلها السوريون إلى لبنان هو ١٤ بطارية (سام - ٢ وسام - ٣ وسام - ٦) وأنه أمر بتدميرها يوم ١٩٨١/٤/٣٠ ولم يسمح بذلك سوء الأحوال الجوية. وخاطب الرئيس الأسد بقوله «انسحب من الخط الأحمر وأخرج الصواريخ

(٤٤) من دراسة كتبت عام ١٩٨٣ ونشرت مترجمة في الديار ٩٩٠/٤/١١.

(٤٤) مكرّر شيمون شيفر: كرة الثلج. الترجمة العربية. ص ٧٣.

التي دفعتها إليها، وأعدها إلى الأماكن السابقة[٤٥]». وصرح مسؤول إسرائيلي «بأن إسرائيل لا يمكن أن تسمح بهذا الانتهاك للخط الأحمر[٤٦]». في حين اعتبر مسؤولون أميركيون ما يجري بمثابة «خرق للخطوط الحمر وتعد لحدود الستاتيكو[٤٧]». وقد أرسل الرئيس ريغان مبعوثه فيليب حبيب إلى المنطقة لحل عقدة الصواريخ.

في ١٩٨١/٥/٣ كتبتُ دراسة أساسية تحت عنوان: «حرب الكبار ووكلائهم عبر لبنان... الجبال اللبنانية ومبدأ الستراتيجية الدولية[٤٨]» حددت فيها أهداف كل من سوريا وإسرائيل في لبنان على مختلف الأصعدة: الجغرافية - الطبيعية والسياسية والأيديولوجية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية. وهي أهداف تلتقي على «إيجاد نوع من التفاهم المشترك بالنسبة للبنان واللبنانيين وذلك من ضمن خطوط حمر ترسم ما هو مقبول وما هو غير مقبول سواء على صعيد الوضع الجغرافي أم على صعيد الوضع البشري بين الدولتين عبر لبنان. وتعبّر هذه الخطوط الحمر عن مناطق نفوذ تدخل في استراتيجية كل من الدولتين، وتشكّل ما يسمّى المدى الحيوي أو نطاق الأمن القومي لكل منهما». وقلت «إن الولايات المتحدة هي العراب المزدوج لكل من سوريا وإسرائيل في لبنان، وهي التي رسمت بالاتفاق مع الدولتين،

(٤٥) العمل ١٩٨١/٥/١٧.

(٤٦) العمل ١٩٨١/٥/١.

(٤٧) العمل ١٩٨١/٥/٦.

(٤٨) العمل ١٩٨١/٥/٣ وعلى خلفية هذه الدراسة تلقيت دعوة لزيارة الولايات المتحدة فاعتذرت. وأبلغني قائد عسكري حزبي بأن السلطات الإسرائيلية احتجت لديه رسمياً على ما ورد في هذه الدراسة».

الخطوط الحمر على خريطة لبنان وهي التي تولت مهمة التنسيق لمنع وقوع أي صدام بينهما». وإن بشير الجميل «من خلال حرب زحلة «خربط» نظام الخطوط الحمر الذي رسمته القوى الإقليمية والدولية على صدر لبنان» وتساءلت في الدرَاسة (على خلفية إدخال صواريخ سام السوفياتية إلى لبنان» عما إذا كان هناك «خطة سوفياتية لزرع قمم الجبال اللبنانية ابتداء من الباروك فصنين (خصوصاً صنين) الى العاقورة والأرز امتداداً إلى سوريا الشمالية بأجهزة صواريخ متطوّرة هدفها الأقرب الدفاع السوري ضد إسرائيل ولكن قد تتحول لهدف أبعد ألا وهو تشكيل حاجز دفاعي صاروخي متطور قادر على فصل أوروبا والمتوسط (الأسطول السادس) عن منطقة الخليج مما يشكل إفشالاً وإرباكاً لمشروع الجنرال هيغ بتمديد الحلف الأطلسي باتجاه الخليج(٤٩)».

هذه النظرة الجيوبوليتيكية للوضعية اللبنانية آنذاك سرعان ما تعزّزت بالأنباء الواردة من واشنطن والتي تتحدث عن «مواجهة أميركية ـ سوفياتية فوق القمم اللبنانية». فقد أكدت تقارير الخبراء الأميركيين في الستراتيجية العسكرية أن قمم صنين. ومعظم قمم السلسلة الغربية لجبال لبنان تشكل أهم مراكز للمراقبة والتنصت والمواجهة الصاروخية في الشرق الأوسط وأن سلسلة من الرادارات السوفياتية المسنودة بشبكات من الصواريخ (أرض ـ

(٤٩) المصدر السابق مع الإشارة إلى أن وزير الخارجية الأميركي الجنرال ألكسندر هيغ هو أحد التلامذة المعروفين لهنري كيسنجر وعمل فترة مساعداً له لشؤون الأمن القومي. وكان هيغ قد زار المنطقة وطرح فكرة تمديد الحلف الأطلسي باتجاه الخليج ولاقى استجابة من بعض دول المنطقة.

جو) يمكنها أن تشكل تحدياً خطيراً لمصالح الغرب وأمنه(٥٠)». وعلى سبيل المثال فإن السوفيات إذا ركزوا راداراتهم في الجبال اللبنانية أمكنهم «أن يحصوا نشاط حلف شمال الأطلسي والأسطول السادس الأميركي ضمن دائرة تمتد غرباً إلى شواطىء فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وشمالاً إلى تركيا واليونان وشرقاً إلى الخليج وساحل عمان وجنوباً إلى صحراء سيناء والدلتا مروراً بإسرائيل.. وإن تحويل لبنان إلى قاعدة سوفياتية يساوي بالنسبة لموسكو أهمية تفوق ما تساويه قاعدة أوكيناوا اليابانية بالنسبة للأميركيين(٥١)». وإذا ما أقام السوفيات شبكة صواريخ سام في أعالي الجبال اللبنانية فهذا «يشكل سداً سوفياتياً منيعاً وخط دفاع أول في وجه أي تحرك أميركي محمول جواً في اتجاه الخليج. وبين جنوب أفغانستان والجبال اللبنانية وعدن تكون موسكو قد أحكمت بفكي كماشة حول الخليج من الشرق والغرب والجنوب(٥٢)».

الجنرال الفرنسي دي شيزيل رأى «أن موسكو تحاول أن تسبق الأميركيين إلى الجبال اللبنانية» أما صحيفة الغارديان البريطانية (١٧/٥/١٩٨١) فقد وصفت جبل صنين بأنه «الزاوية الثالثة في مثلث الرادارات السوفياتي وهي: صنين في لبنان وطبرق في ليبيا وأسمره في أريتريا(٥٣)». وقالت الغارديان: «إن جهاز رادار سوفياتي على صنين يعطي السوفيات رؤية واضحة للتحركات البحرية شرقي البحر المتوسط وكشف طائرات التجسس الأميركية المتمركزة في المرافىء البريطانية في قبرص ورؤية واضحة

(٥٠) العمل ٦/٥/١٩٨١.
(٥١) المصدر السابق.
(٥٢) المصدر السابق.
(٥٣) العمل ٢٤/٥/١٩٨١.

لكل التحركات الجوية الإسرائيلية». وعندما صورت واشنطن خطورة الوضع على هذا النحو أخذت الأزمة اللبنانية حجماً جديداً». لأنها «زادت حدة التوتر بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة في سباق التفوق السياسي والستراتيجي في الشرق الأوسط». «لقد أصبح لبنان نقطة ساخنة في العالم» كما قال يفغيني بريماكوف وهذا ما دفع أميركا (وحلف الأطلسي) إلى إرسال القوات المتعددة الجنسية إلى لبنان عام ١٩٨٢.

التصور السوفياتي كان مناقضاً للتصوّر الأميركي وخلاصته أن الأميركيين يسعون لنصب صواريخ بيرشنغ في الجبال اللبنانية وبالتالي تهديد أمن الاتحاد السوفياتي. يقول بريماكوف (مدير معهد الإستشراق لأكاديمية العلوم؛ في الاتحاد السوفياتي) لصحفي لبناني، مسترجعاً أزمة ١٩٨١ - ١٩٨٢ في لبنان «لقد كانت هناك رغبة بتحويل بلدكم إلى قاعدة عسكرية أميركية. أميركا تقوم بنشر صواريخ بيرشنغ النووية في أوروبا الغربية. تصوروا ماذا يحصل إذا استيقظ اللبنانيون صبيحة أحد الأيام ليروا الصواريخ منصوبة في أراضيهم[٥٤]».

ومثل هذا الرأي أكده بوضوح أكثر، المستشرق والمعلّق السوفياتي إيغور بيلاييف قال: «نحن تعاملنا مع لبنان (في الأزمة) على أساس اقتراب خطر نصب الصواريخ الأميركية منه ورأينا أن أميركا تريد تحويله إلى نقطة توتر في العالم وإلى قاعدة عسكرية حقيقية[٥٥]». ويؤكّد بيلاييف على ما ذهب إليه عدد من الاختصاصيين العسكريين السوفيات بقولهم «إن جبال لبنان يمكن

(٥٤) السفير - من حديث مع باسم السبع في موسكو ١٢/٤/١٩٨٤.
(٥٥) المصدر السابق.

أن تستخدم لأغراض استراتيجية. فهي جبال تطل بشكل واسع على البحر المتوسط. وأميركا يمكن أن تستغلها لأهداف عسكرية واسعة النطاق قد تستهدف في المستقبل حدودنا الجنوبية[٥٦]».

إذن، وباختصار:

١ - شهدت أوائل الثمانينات (١٩٨١ - ١٩٨٢) أوسع وأخطر انتهاكات لنظام الخطوط الحمر الذي أقامه كيسنجر عام ١٩٧٦: ضم الجولان (١٩٨١) اجتياح لبنان (حزيران ١٩٨٢) نزول القوات المتعددة الجنسيات في لبنان (١٩٨٢).

٢ - توسعت الخطوط الحمر الإقليمية على خلفية الحرب الباردة بين الجبارين، إلى خطوط حمر دولية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة: محورها المباشر سلسلة جبال لبنان ذات الأهمية الستراتيجية بالنسبة لموسكو وواشنطن، ودافعها بروز قيادتين متصلبتين أيديولوجيتين آنذاك: ريغان ومفهوم أمبراطورية الشر السوفياتية، وأندروبوف ومفهوم امبراطورية الاستعمار الأميركية. إن هذا التجاذب الأميركي - السوفياتي فوق جبال لبنان أعاد إلى ذاكرة المثقفين اللبنانيين إحدى نبوءات أرنولد توينبي، أحد أبرز دارسي التاريخ والحضارات في هذا العصر، يوم ختم محاضرته في الندوة اللبنانية (في ٨/٥/١٩٥٧) وهي بعنوان «لبنان: التعبير عن التاريخ» حيث قال: «إذا أصبحت سلسلة جبال لبنان يوماً نقطة تجاذب في الصراع الأميركي - السوفياتي، فإن مصير لبنان يصبح مهدداً[٥٧]».

(٥٦) المصدر السابق.
(٥٧) ARNOLD TOYNBEE: Le Liban, Expression de l'Histoire. Conférence du cénacles 11èm année N˜6, Juin 1957. p.234.

٣ ـ كانت حرب «سلامة الجليل» أحد نتائج هذا الاحتقان الإقليمي ـ الدولي حيث سارع الإسرائيليون، وبعد ثلاثة أيام على اندلاع القتال. إلى تدمير بطاريات الصواريخ السورية المنصوبة في سهل البقاع (٩/٦/١٩٨٢). والتي هي بالنسبة لهم رمز لانتهاك سوريا للخطوط الحمر.

لكن السؤال المهم هو: إلى أي مدى كان فرقاء نظام الخطوط الحمر (أي الولايات المتحدة وإسرائيل وخاصة إسرائيل كونها هي التي أخذت المبادرة بشن الحرب، وسوريا.. وحتى لبنان) كانوا راغبين وقادرين على شطب هذا النظام الكيسنجري واستبداله بمعادلة جديدة وبنظام جديد؟

١ ـ بالنسبة للولايات المتحدة ولبنان كانت هناك محاولة (لم يكتب لها النجاح) وسنعود إليها بتفصيل في فصل لاحق بعنوان «الخروج من قدرية الفكر الكيسنجري».

٢ ـ بالنسبة لسوريا، لم تكن لها يوماً مصلحة لا في الإعلان عن نظام الخطوط الحمر ولا في الخروج عليه ما دام هذا النظام يؤمن لها النفوذ على معظم الأراضي اللبنانية. وطبيعي أن تعمل سوريا على التمسك بكامل «حصتها» بموجب «التفاهم» المعروف، وأن تزيد هذه الحصة إذا أمكن. وأن تضع يدها بشكل أكيد على كافة القوى المتواجدة في «قطاعها الجغرافي اللبناني». ومثل هذا التعامل (مع الفئات اللبنانية وغير اللبنانية) كان يقفز بعض الأحيان من مستوى تأكيد النفوذ إلى مستوى بسط الهيمنة، خاصة عندما تشعر سوريا أن جهات إقليمية أو دولية تعمل على إشغالها وربما تهديدها بواسطة فئات لبنانية (وغير لبنانية)

متواجدة في قطاع النفوذ السوري من لبنان! وهذا ما يفسر العديد من الصدامات التي وقعت بين القوات السورية وبعض الفعاليات وخاصة الفلسطينية والمسيحية.

٣ ـ أما: بالنسبة لإسرائيل فقد كان الأمر أكثر دقة وحرجاً:

□ـ إن الذين صاغوا التفاهم مع كيسنجر حول الخطوط الحمر هم ترويكا حزب العمل (المعراخ): اسحق رابين (في رئاسة الحكومة) وشمعون بيريز (في وزارة الدفاع) وإيغال ألون (في وزارة الخارجية). ولم يكن لتكتل ليكود يد في ذلك. ولكنه ورث هذا الاتفاق ومشى فيه منذ وصوله إلى الحكم عام ١٩٧٧، وحاول تنفيذه (إعطاء هيكلية شبه دولية Etatique للحزام الأمني) وحمايته وتحصينه (اجتياح الجنوب ١٩٧٨) وتوسيعه وحتى تخطّيه. (حرب سلامة الجليل ١٩٨٢).

□ـ إن إحدى النقاط الأساسية التي أشير إليها عرضاً دون تبيّن أبعادها الستراتيجية هي هذه الفجوة داخل الحكومة الإسرائيلية في تحديدها لأهداف «عملية سلامة الجليل» وبالتحديد: بين ما كان يريده رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن (ومعه معظم الوزراء) من هذه الحرب، وما كان يريده وزير دفاعه آرييل شارون (ومعه رئيس الأركان رافاييل إيتان) من هذه الحرب أي: ما تريده المؤسسة السياسية وما تريده المؤسسة العسكرية.

□ـ لقد كان قرار الحكومة الإسرائيلية «الرسمي» متوافقاً في جوهره مع مستلزمات نظام الخطوط الحمر:

- فالأربعون كيلومتر المطلوب «تنظيفها من المخربين» هي بالضبط المسافة التي حددها اتفاق ١٩٧٦ وهذا هو القيد الأول.
- والقيد الثاني الذي وضعته الحكومة هو «عدم الوصول إلى قتال السوريين» فنحن كما قال بيغن: لا نرغب في مقاتلة السوريين أبداً «وقد كلف بيغن السفير فيليب حبيب نقل رسالة للرئيس الأسد تحتوي على ٤ نقاط منها أن إسرائيل لا ترغب في خوض حرب ضد الجيش السوري وأن قرار حكومة إسرائيل هو بعدم مهاجمة الجيش السوري وأن على سوريا المساعدة في إبعاد المخربين في سهل البقاع عن حدود إسرائيل ٤٠ كلم. «حتى أن بيغن لم يطرح مع حبيب فكرة سلام مع لبنان بل فكرة تسوية مع سوريا ضمن ترتيبات سلمية يعرف كل طرف فيها الخطوط الحمر للطرف الآخر». ولقد جاء في قرار الحكومة: «ليس هناك نية في المواجهة مع السوريين، لذا يجب تحذير القوات (الإسرائيلية) من التقدّم في أي ظرف، إلى مسافة تقل عن ٤ كيلومترات من خطوط السوريين(٥٨)».
- لكن آرييل شارون لم يكن «هدفه في لبنان عملية ليطاني أخرى. ولا تدمير بنية منظمة التحرير الفلسطينية العسكرية والسياسية فقط، بل إن من اهدافه إقامة حكومة جديدة في لبنان توقع معاهدة سلام مع إسرائيل وهذا الهدف يتطلب طرد الجيش السوري من لبنان أو من معظم أراضيه(٥٩)»

(٥٨) إسرائيل وتجربة حرب لبنان، م.د.ف ص ٥٠ - ٥٣ - ٥٥.
(٥٩) المصدر السابق ص ٣٣٢.

وهذا ما جعله يندفع شمالاً متخطياً مسافة الـ ٤٠ كلم، ومتعمداً الصدام مع الجيش السوري.

في ضوء هذه الاعتبارات يمكن فهم الإشكالات التي واجهتها إسرائيل في حرب لبنان. إن نسبةً عالية منها تعود إلى هذه النقطة بالذات: وهي أن الإجماع الوطني في إسرائيل (الليكود والمعراخ) والذي هو ضروري لخوض أي حرب، كان قائماً، وظل قائماً من ضمن الأهداف المعلنة للحرب على الصعيدين البشري (تدمير منظمة التحرير) والجغرافي (إبعادها مسافة ٤٠ كيلومتراً من الحدود الإسرائيلية). وحتى في موضوع الصواريخ (أرض - جو) التي أدخلها السوريون إلى سهل البقاع (أيار ١٩٨١) كان هناك تمايز بين الحزبين: الليكود مع ضربها مباشرة وبيريز مع ضربها ولكن، بعد أن نجرب كافة الوسائل الديبلوماسية(٦٠)». هذه الأهداف تشكّل تأكيداً وتطبيقاً لنظام الخطوط الحمر الكيسنجري من جانب المؤسسة السياسية في إسرائيل. أما المؤسسة العسكرية الإسرائيلية (شارون - إيتان) فقد سعت إلى تخطي هذا النظام لإقامة نظام جديد في لبنان أحادي الجانب، (برو - إسرائيلي) بديل للتوازن الثلاثي (الإسرائيلي - السوري - الأميركي). لكن رهان فيليب حبيب على بشير الجميل، (والعكس)، همّش رهان آرييل شارون، فكانت عملية الإحباط للمؤسسة السياسية الإسرائيلية في اجتماع نهاريا بين بيغن والشيخ بشير الجميل الرئيس اللبناني المنتخب. وكانت عملية الإحباط للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية في تمنُّع القوات اللبنانية عن المشاركة في القتال ضد

(٦٠) من خطاب بيريز في الكنيست. العمل ١٧/٥/٩٨١.

المسلمين في بيروت الغربية، وعشيّة احتمال قيام نظام جديد في لبنان بديل لنظام كيسنجر بمسعى أميركي (فيليب حبيب) وعلى حساب سوريا المحبطة عسكرياً وإسرائيل المحبطة سياسياً وألكسندر هيغ المحبط استراتيجياً، «سقط بشير الجميل على خط التماس في صراع القوى الكبرى[٦١]».. وكانت وفاته وبعدها مجازر صبرا وشاتيلا تعويضاً عن الإحباط وتشويهاً للمحبطين!

(٦١) عنوان مقالتي في «العمل» غداة اغتيال بشير الجميل ١٩٨٢/٩/١٤. وعلى عكس الرأي الشائع، فإن الأميركيين كانوا منذ العام ١٩٧٩ يضعون في حسابهم وصول أحد الأخوين أمين أو بشير الجميل إلى رئاسة الجمهورية. وكان السفير الأميركي جون غنتر دين يسأل الأباتي شربل قسيس: أيهما تفضل للرئاسة بشير أم أمين؟ من حديث أجريته مع الأباتي قسيس في جبيل ١٩٩٠/١٢/١٢).

الفصل الثاني

مؤامرة كيسنجر على لبنان

بين الحقيقة والخيال!

منذ بداية الحرب اللبنانية (١٩٧٥) والجدل قائم داخل لبنان وخارجه حول دور هنري كيسنجر في إشعال هذه الحرب. ولقد انقسمت الآراء حول هذا الموضوع، إلى تيارين أساسيين:

الأول: يذهب إلى أن فكرة المؤامرة بشكل عام، والمؤامرة الكيسنجرية على لبنان، بشكل خاص، ليست سوى نظرية وهمية (خيالية) اخترعها اللبنانيون لكي يفسّروا ويبرّروا من خلالها سلسلة أخطائهم وخطاياهم: إن بالنسبة لاندلاع الحرب، أم بالنسبة لاستمرارها. أم بالنسبة لما أصاب، ولا يزال يصيب، لبنان (الدولة والكيان) واللبنانيين (الشعب والمؤسسات) من أضرار وكوارث بسببها.

والثاني: يذهب إلى أن الحرب اللبنانية حدثت بفعل مؤامرة خطط لها وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر لأسباب وأهداف كثيرة وعديدة متشعبة. وأن اللبنانيين وقعوا ضحية هذه

المؤامرة التي لم يعد لديهم القدرة على الفكاك منها.

إن مقولة «المؤامرة» (Complot, Conspiracy) بحد ذاتها ترجع في جذرها اللغوي العربي إلى الثلاثي «أ م ر» بمعنى «طلب فعل شيء أو إنشاءه» ومنه «آمره مؤامرة في أمر، أي شاوره» (المنجد) «والائتمار والمؤامرة = المشاورة» (مختار القاموس) ومنه لفظة «المؤتمر» حيث «يجتمع القوم للنظر والتشاور في أمور تهمهم» (المنجد). «وسمي التشاور ائتماراً لأن كلاً من المتشاورين يأمر ويأتمر» (محيط المحيط). «وائتمروا بفلان: أمر بعضهم بعضاً بقتله» (معجم الألفاظ القرآنية) «ويأتمرون بك: أي يؤامر بعضهم بعضاً بقتلك وفي قتلك» (لسان العرب) فالتآمر يعني التشاور في المخاصمة أو القتل أو الإيذاء. وعليه عرّف معجم «الرائد» المؤامرة بأنها «حركة سرية ضد شخص أو أشخاص أو ضد الدولة أو ضد الحكم القائم فيها».

أما معجم روبير (Robert) فقد عرّفها بأنها «مشروع منظم سرياً بين شخصين أو أكثر ضد حياة أو أمن شخص أو مؤسسة أو ضد أمن الدولة وذلك بإثارة الحرب الأهلية ودفع الناس للتسلح ضد بعضهم البعض بهدف التهاجر والتذابح والتناهب».

إن معنى المؤامرة الكيسنجرية يرتبط بالتأكيد بالمفهوم الذي وردت فيه أعلاه في معجم «روبير» على ضوء قانون الجزاء الفرنسي أي أنها «مشروع (مخطط) سري ومنظم وضعه هنري كيسنجر مع مساعديه بهدف الإخلال بأمن الدولة اللبنانية وإثارة الحرب الأهلية بين اللبنانيين ودفعهم للتناهب والتهاجر والتذابح مما يسهل على الدول المجاورة للبنان (برغبة وتشجيع أميركيين)،

وضع اليد عليه... وتعليق قدرة الدولة اللبنانية على بسط نفوذها وسيادتها على كافة أراضيها بانتظار الحلول المناسبة (أميركياً وإقليمياً) لقضايا المنطقة حتى وإن جاءت هذه الحلول على حساب لبنان بالذات.

فما هي وجهة نظر التيار القائل بالمؤامرة الخيالية؟

وما هي حجج التيار القائل بوجود مؤامرة حقيقية؟

أولاً: مؤامرة خيالية

١ - في كتابه المعروف «أميركا والعرب وإسرائيل، عشر سنوات حاسمة (١٩٦٧ - ١٩٧٦)[(١)]» يعرض وليم كوانت الخبير الأميركي المعروف بقضايا الشرق الأوسط. يعرض السياسة الأميركية في المنطقة والتي هي عملياً سياسة كيسنجر. ويتناول الأزمة اللبنانية في خمس صفحات (من أصل ٤٤٨ صفحة). ومما جاء في مقاربة كوانت للأزمة اللبنانية:

- «كثرت التفسيرات القائلة **بالتآمر** للأحداث في لبنان...[(٢)]»
- «ورأى البعض في ازدياد هجمات الجماعات المسيحية اليمينية ضد اليسار والفلسطينيين جزءاً من **خطة** رئيسية نسقت في واشنطن لتحطيم منظمة التحرير[(٣)]»
- إن الولايات المتحدة انزعجت «من توجه اليسار بقيادة كمال جنبلاط للحسم العسكري. فأوفدت دين براون إلى لبنان

---

(١) ترجمة عبد العظيم حماد. دار المعارف القاهرة. ١٩٨٠.
(٢) المصدر السابق ص ٣٩٠.
(٣) المصدر السابق.

ليحاول تشجيع تسوية سياسية، ولعبت دوراً نشطاً لحث سوريا وإسرائيل على الانضباط. وقد بدأ التقدير الأميركي لصالح سوريا في لبنان يتغير. وبتشجيع الملك حسين أصبحت تميل إلى تدخل سوري عسكري محدود في لبنان على افتراض أن الولايات المتحدة وإسرائيل لم يعودا يعارضان ذلك... وبرغم تزايد التوتر بدأت الولايات المتحدة وإسرائيل تدركان أن الدور السوري في لبنان هو عامل استقرار(٤)».

□- «فوق كل اعتبار كانت الولايات المتحدة تخشى أن يستثير تدخل سوري على نطاق واسع إلى جانب الفلسطينيين رداً عسكرياً إسرائيلياً الأمر الذي يهدد بنفض الاستقرار الهش للاتفاقات التي تم التفاوض بشأنها بمشقة بالغة بواسطة كيسنجر(٥)».

□- ولأن القتال اشتد بعد التدخل السوري «بدأت نظريات المزايدة تظهر رابطة بين الإجراء السوري وسياسات كيسنجر الشيطانية... وكانت الثغرة الوحيدة في تلك النظريات هي أنها تحمل قليلاً من التوافق مع الواقع. فالولايات المتحدة بديل أن تكون لديها سياسة شاملة للتعامل مع الأزمة اللبنانية والفلسطينيين كانت مضطربة ومتخبطة من جراء الحرب الضروس في لبنان. فلقد كان كيسنجر يعالج الأزمة بالدرجة الأولى بوصفها امتداداً للصراع العربي - الإسرائيلي... ولم يكن في ذهن أي من فورد أو كيسنجر أية لعبة اللهم إلا منع حرب عربية - إسرائيلية(٦)».

(٤) المصدر السابق. ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق. ص ٣٩٢.

٢ - مراسل صحيفة الفيغارو (Le FIGARO) في لبنان تيري دي جردان (Thierry Desjardins) قال معلقاً على مجازر لبنان «لا توجد خطة ميكيافيلية من وراء هذا الانتحار الشامل.. ولربما لعب أحدهم دور الساحرة الشريرة في إشعال هذه الحرب، إلا أن من السخف أن يؤمن الإنسان بأن كل ما حدث كان مخططاً له. حتى لو كان المخطط هو العقول الإلكترونية التي تمتلكها وكالة المخابرات المركزية الأميركية... فالمجرمون هم في بيروت لا في واشنطن والأسباب هي من صميم الحقائق اللبنانية أكثر بكثير مما هي في مخيلة وزير الخارجية الأميركي (كيسنجر)(٧)».

٣ - رونالد مكلورن (الباحث الأميركي المختص بشؤون لبنان والمنطقة) انتقد في المؤتمر السنوي للرابطة الأميركية - اللبنانية (تموز ١٩٩٠) انتقد ما أسماه «غياب الحس الواقعي لدى اللبنانيين في تعاملهم مع مشكلاتهم» وانتقد بشدة وبسخرية «ميل اللبنانيين إلى تحميل الآخرين مسؤولية ما حدث في لبنان وميلهم غير العقلاني إلى الاعتقاد بوجود الخطط والمؤامرات المحبوكة في الخارج بدءاً بما يسمى «**خطة كيسنجر**» التي يقوم كل لبناني بإعطائها تفسيره الخاص والتي لا أساس لها، ومروراً بخطط توطين الفلسطينيين، وانتهاء بالادعاءات بأن واشنطن تتواطأ مع سوريا وإسرائيل ضد لبنان(٨)».

(٧) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٦. م.د.ف بيروت ١٩٧٩ نقلاً عن مجلة ماندي مورننغ Monday Morning. Beyrut. 19-25/7/76 p. 10-11.

(٨) السفير ١٦/٧/١٩٩٠.

٤ ـ على الصعيد اللبنـانـي، يمكن اعتبار الأكـاديمي دكتور فريد الخازن من أكثر المتحمّسين لنظرية المؤامرة الخيالية. ومن اكثر المجتهدين «لإثبات» أن وجود مؤامرة كيسنجرية على لبنان هو مجرد تصوّر وهمي. وبالإضافة إلى ما ذكرناه من آرائه في القسم الأول من هذا الكتاب[٩] حول هذا الموضوع بالذات، فقد أضاف توضيحات وهوامش جديدة لنظريته تلك في نقاشه (الأحادي الجانب) معنا[١٠]:

□ـ فهو يعتبر «أن المؤامرة هي جدل حول آراء الملائكة في السياسة الدولية وهو جدل لا يهمه[١١]». وأنه «حتى لو سلمنا جدلاً بوجود مخطط جاهز للتنفيذ، فمن المستبعد جداً أن تكون شخصية عالمية ككيسنجر مولجة بالإشراف على التنفيذ. فكيسنجر مستشار رؤساء دول وأكبر الشركات العالمية. وواحد من أهم الكتّاب المعاصرين في السياسة الدولية لا يملك الوقت والاهتمام الكافيين لمتابعة تفاصيل الحرب في لبنان وحتى للتعليق عليها[١٢]»! ويتّهم القائلين بوجود مؤامرة كيسنجرية حقيقية بأنهم من جماعة «الجمود الفكري» إزاء «السياسة المتحركة»!

□ـ يحدد دكتور الخازن مفهومه للمؤامرة بأنها «خطة مبرمجة ترصد

(٩) راجع الفصل الثالث من القسم الأول...

(١٠) راجع د. فريد الخازن: من بيروت إلى عوكر: السياسة الأميركية بين الواقع وهاجس المؤامرة. مجلة الدفاع الوطني اللبناني. عدد ٣ ـ آب ١٩٩٠، ص ٩٩ ـ ١١٧.

(١١) المصدر السابق ص ١٠١.

(١٢) المصدر السابق ص ١٠٢.

لها الأموال والطاقات لافتعال حدث أو لخلق واقع معيّن ويمهد الطريق لواضعها للوصول إلى الهدف المنشود». ومن أهم مقوماتها «سرعة التنفيذ وسرعة بروز النتائج لأن دولة كأميركا لديها أجهزة مخابرات منافسة وحكم مسؤول أمام الكونغرس والشعب وولاية رئاسية قصيرة، لا تستطيع أن تدير مؤامرة تستغرق سنوات عديدة[١٣]»!

□ـ يخص دكتور خازن العميد إده (باعتباره أحد أبرز وأول القائلين بوجود المؤامرة الكيسنجرية) يخصه بنقد ساخر ولا يجد طريقة لتفسير رسالة كيسنجر إلى العميد[١٤] وفيها اعتراف صريح منه «بمؤامرته على لبنان» سوى هذا التفسير المعتمد على «التحليل العلمي الموضوعي» «الناتج عن ثقافته السياسية على الطريقة الأميركية»: «إن أسلوب ومضمون الرسالة التي بعثها كيسنجر إلى العميد إده لا يعكسان جدّية في تناول موضوع الأزمة اللبنانية. فالأسلوب فيه الكثير من التهكم والمضمون فيه الكثير من الاستخفاف بالحدث وبصورة غير مباشرة بالشخص الذي يوجه إليه الرد. وحسب كيسنجر أنه أجاب على الرسالة «من المقصورة الصغيرة بالطائرة الخاصة المعدة لرحلاتي المكوكية». وهو في رحلة إلى بلدان أميركا اللاتينية». ويضيف دكتور الخازن «محللاً» طبيعة رسالة كيسنجر إلى العميد: «نصف الرسالة مزاح وقصص حول شهرة العميد «كعازب ظريف» والنصف الآخر هو

(١٣) المصدر السابق. ص ١٠٥.

(١٤) راجع نص رسالة العميد وجواب كيسنجر عليها في ملاحق هذا الكتاب.

ملاحظات عامة غير مترابطة تعكس عدم اكتراث فكري في الموضوع(!) . . . ويستنتج دكتور الخازن: «لذلك فإننا لا نعطي هذه الرسالة صفة الوثيقة التي تكشف المؤامرة ولا تقرأ فيها أية أسرار تفضح من هم وراء المخطط[١٥]».

□ـ ويُجمل دكتور الخازن «أطروحته» بأنه «ما دام لبنان قد فقد أهميته الستراتيجية في المنطقة بالنسبة إلى واشنطن وإلى مصالحها الإقليمية» ولأنه أصبح «متنفساً للصراعات الإقليمية في ظل غياب الحل الشامل للنزاع العربي ـ الإسرائيلي» فإن دور الولايات المتحدة في تدمير وتفتيت لبنان يأتي في المرتبة **الرابعة** بعد الفلسطينيين وإسرائيل وسوريا» «ولو سلمنا بوجود المؤامرة الكبرى فعندئذ تكون المؤامرة الكيسنجرية توظيفاً مثمراً للمؤامرات الإقليمية التي كان لبنان مسرحها[١٦]».

«هذه بعض الآراء التي لا تشير، أو لا تصدق، أو ترفض أن يكون لبنان ضحية مؤامرة كيسنجرية. ومع أن باب النقاش معها واسع ورحب، فإننا نكتفي بعرض هذه الآراء من دون الدخول في سجال، خاصة وأن الفقرة التالية بعنوان «المؤامرة حقيقية» ستحمل بعض الأجوبة والتوضيحات اللازمة وتلقي الأضواء على دور كيسنجر في الحرب اللبنانية.

(١٥) د. فريد الخازن مصدر سبق ذكره. ص ١٠٨.

(١٦) المصدر السابق. ص ١١٠.

ثانياً ـ مؤامرة حقيقية

على عكس القائلين بأن مؤامرة كيسنجر على لبنان هي مؤامرة وهمية هناك كثيرون يشعرون ويرون ويصرّون أنها مؤامرة حقيقية. ويندرج هؤلاء في أربع فئات:

١ ـ فئة «المستشهدين» على يده وهم من اللبنانيون: سياسيين وعاديين.

٢ ـ فئة «الشهود عليه» وهم من السياسيين والإعلاميين الغربيين غير الأميركيين.

٣ ـ فئة «الشهود من أهله» وهم من الإدارات الأميركية والإعلام الأميركي.

٤ ـ وأخيراً «الشاهد على نفسه» بالاعتراف أي كيسنجر ذاته.

١ ـ المستشهدون على يده

وهم اللبنانيون من مختلف الاتجاهات. وتكفي العودة إلى القسم الأول من هذا الكتاب لتكوين فكرة عن مدى ونوع تعاطي القادة السياسيين مع مؤامرة كيسنجر مع إشارة إضافية وهي أن المواطنين العاديين، لديهم في غالبيتهم، شعور عفوي بوجود مؤامرة كيسنجرية حتى وإن فاتهم في كثير من الأحيان البرهان الموضوعي على ذلك. حسبهم أن يعانوا ويعاينوا ما يحصل في بلادهم وأن يسمعوا ما يقوله المسؤولون الأميركيون بصدد لبنان وأن يقارنوا ويستنتجوا[١٧]»!

(١٧) آراء العديد من الشخصيات اللبنانية حول مؤامرة كيسنجر وردت في القسم الأول من هذا الكتاب

٢ ـ الشهود عليه.

الصحافة الأوربية، وخاصة الفرنسية، أشارت بأصابع الاتهام إلى هنري كيسنجر ووصفته بأنه الرجل الخفي الذي يقف وراء المؤامرة الكبرى في لبنان وأعطته لقب الدكتور «نو» وبأنه هو الذي يذكي النار كلّما خفت وأنه هو الذي أرسل دين براون «لتضبيط» سير الخطة عندما تعثرت وأنه هو الذي أشار على (وليم) سكرانتون بوجوب بحث القضية اللبنانية قبل بحث القضية الفلسطينية[18]».

وتشرح الصحافة الأوربية خلفيات موقف كيسنجر من تأجيج الأزمة اللبنانية بالقول: «في رأي كيسنجر أنه لا يمكن تأجيل البحث في أزمة الشرق الأوسط، إلا إذا وجدت قضية مستعجلة تقف من حيث الأهمية والخطورة قبالة القضية الفلسطينية، فتعمل على امتصاصها وإرهاقها وتحويل أنظار الرأي العام الدولي عنها. وكان من الضروري أن تكون هذه القضية من صلب العالم العربي لا من خارجه». وتنقل هذه الصحافة عن ميشال دوبريه رئيس وزراء فرنسا الأسبق قوله: «إن جميع الذين لعبوا على الساحة اللبنانية قد تورطوا بخطة الدكتور «نو» دون أن يدروا وأنهم كانوا ينفذون مخططاته دون أن يشعروا». وتستند هذه الصحافة إلى ما كشفه معلق كبير في صحيفة «**الواشنطن بوست**» (المقصود نيكولاس فون هوفمان) «**من أن المأساة اللبنانية هي من تدبير وإنتاج وإخراج هنري كيسنجر مائة بالمائة لأن الحرب** اللبنانية قد أرهقت جميع الأطراف المتناحرة... كما أضعفت

(١٨) الحوادث. عدد ١٠٢٢، ١٨/٦/١٩٧٦.

بالتالي قدرة الدول العربية، وحولت أنظارها مؤقتاً عن القضية الأساسية[19]».

أحد الصحفيين الذين عايشوا حرب السنتين وناقشوا سفير أميركا في بيروت جورج غودلي حول سياسة بلاده تجاه لبنان، أعطى شهادة اتهامية عما يفكر فيه هذا السفير الذي ينفذ سياسة كيسنجر في لبنان ويبررها. يقول الصحفي «لارتيغي[20]»: «هل ينفذ غودلي (في لبنان) تعليمات كيسنجر حرفياً أم أنه يستوحي منها فقط؟ ذلك أنه بحسب غودلي وكيسنجر يوجد في الشرق الأوسط ثلاثة شعوب تطرح مشاكل: الإسرائيليون والفلسطينيون ومسيحيو لبنان:

الإسرائيليون يتمتعون بصداقات قوية في العالم وقد حزموا أمرهم فلا يمكن طردهم من فلسطين.

الفلسطينيون حصلوا على حظوة ودعم لدى جميع الدول العربية. وأن سحقهم أو إبقاءهم طويلاً في وضع الشتات (دياسبورا) سيؤثر سلباً على تزويد أميركا والغرب بالبترول.

أما مسيحيو لبنان فبقاؤهم مرتهن بدعم الغرب لهم وبخمول العالم الإسلامي المحيط بهم. وليس من بترول في جبالهم. فعلى أميركا اختيار السبيل الوحيد المتاح أمامها وهو: إيجاد أرض خاصة للفلسطينيين بمنحهم لبنان وبالتالي تحقيق سلام نهائي

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) LARTEGUY: Dieu, L'or et le sang. Presses de la cité/ Paris-Match. Paris.

للإسرائيليين[٢١]». ويضيف لارتيغي أن خطة كيسنجر ـ غودلي هذه أي خطة «الوطن البديل» فشلت مؤقتاً على الأقل، بسبب المقاومة المسيحية «وتمسك المسيحيين بأرضهم». إنها الخطة التي «رعاها كيسنجر على أن يكون منفذوها هم الفلسطينيون أنفسهم مع تغطية ودعم المسلمين اللبنانيين[٢٢]».

ولقد اعترف غودلي لممرضة في مستشفى ببوسطن بعد نقله للمعالجة (ودون أن يدري أنها من أصل لبناني) اعترف بأنه كان ضالعاً في مؤامرة لتحويل لبنان إلى وطن بديل «وأن الشعب الفلسطيني يفتش عن وطن، وبما أن الشعب اللبناني ضعيف ولا يستطيع المقاومة فإن ذلك ربما كان حلاً مقبولاً من جميع الأطراف لأزمة الشرق الأوسط وأميركا مستعدة لاستقبال مليون مهاجر جديد[٢٣]» وبالفعل، فإن الرئيس فورد أعلن في خطاب متلفز (١٩٧٦/٧/٢٧) «أن الحكومة الأميركية وضعت مشروع قانون يتعلق بلجوء اللبنانيين إلى الولايات المتحدة وتنظيم إقامتهم هناك باعتبارهم لاجئين يستفيدون من البطاقة الخضراء Green Card وليس باعتبارهم مهاجرين[٢٤]». وعلقت الصحف الأميركية على ذلك بالقول «إن ما تسعى إليه أميركا من إقرار المشروع هو إجبار المسيحيين اللبنانيين عامة على السفر[٢٥]».

---

(٢١) المصدر السابق. ص ١٥٩.

(٢٢) SELIM ABOU: Béchir Gemayel ou l'Esprit d'un peuple. Editions Anthropos. Paris 1984. p.197.

(٢٣) أنطوان خويري ـ حوادث لبنان ١٩٧٦ ـ الجزء الثالث. مصدر سبق ذكره. ص ٧٢١ و٩٣٢.

(٢٤) اللبناني. عدد ٢٨، ٧ ـ ١٣ آب ١٩٧٦.

(٢٥) المصدر السابق.

٣ ـ «شهود من أهله»

إذا كان اتهام اللبنانيين لكيسنجر نابعاً عن ظروف «ذاتية»، وإذا كان لدى الصحافة الأوربية (الفرنسية) مبرراتها السياسية (التنافس) فما الذي يمكن قوله بالنسبة للسياسيين الأميركيين والإعلام الأميركي حين يتهمون كيسنجر «فيشهد شهود من أهله»؟!

□ـ شهادة غودلي (المنفذ المباشر لأوامر كيسنجر) والواردة سابقاً، هي الأكثر بروزاً(accablante) فبعد إصابته بمرض عضال نقل إلى الولايات المتحدة. وخلفه السفير فرنسيس ميلوي الذي اغتيل في بيروت وقيل في أسباب اغتياله إنه دفع ثمن الفشل الذي مني به غودلي لأنه لم يحقق ما وعد به أي إقامة الوطن الفلسطيني البديل.

□ـ الرئيس جيمي كارتر «انتقد الأسلوب الميكيافيلي الذي اتبعه كيسنجر لافتعال أحداث لبنان ووصفه بأنه بعيد عن الأخلاق والقيم». واتهم كيسنجر أيضاً بأنه «أوصى سفراء أميركا الذين اجتمع بهم على عجل في باريس، بألا يتدخلوا لحل أزمة لبنان مهما واجهتهم ضغوط فرنسية أو عربية» وأشار إلى أن «مهمة دين براون كانت متوافقة جداً مع خطة الإبقاء على النار المستعرة، وتأمين استمرارية الذبح والتدمير وهذا ما يتوافق أيضاً مع سياسة إسرائيل التي كانت تسمح للبواخر بنقل السلاح بشكل متوازٍ وذلك بهدف تدمير لبنان كمركز مالي واقتصادي، ونسف صيغة التعايش والمحبة[٢٦]». ورأى كارتر في صمت كيسنجر على

---

(٢٦) أنطوان خويري ـ حوادث لبنان (٤) ١٩٧٦. نقلاً عن «هيرالد تريبيون». ص ٩٣٣.

المجازر في لبنان «أنه صمت مرتكز إما على تحفظ مفرط أو على اتفاق سري نجهله[٢٧]»!

□ـ اللجنة السياسية في الحزب الديمقراطي الأميركي بزعامة كبير مستشاريها ليندون لاروش أكدت في بيان رفعته إلى الرئيس ريغان (نيسان ١٩٨١) مسؤولية الإدارة الأميركية وهنري كيسنجر شخصياً عن الاضطرابات في لبنان وحذرت من استمرار سياسة الغموض واللاأخلاقية الأميركية في زمن قيام ألكسندر هيغ بمهام وزارة الخارجية «كونها سياسة ناتجة أساساً عن تأثير كيسنجر والعلاقة الطويلة والحميمة بين هيغ وكيسنجر واضحة ومعروفة[٢٨]». وتؤكد اللجنة في بيان «الاتهام» «إننا نعرف جيداً أن الاضطرابات في لبنان بدأت بصورة مفتوحة عام ١٩٧٥. فقد اعتمد هنري كيسنجر وبعض معاونيه، في وزارة الخارجية الأميركية، حيال لبنان، سياسة يمكن وصفها براحة ضمير بأنها غامضة في جوهرها ولاأخلاقية في نتائجها. وتأثير أجهزة وزارة الخارجية في مصير لبنان لم يتبدل مع الجنرال ألكسندر هيغ[٢٩]». وتدعو اللجنة الرئيس ريغان إلى «تبديل السياسة الأميركية (الكيسنجرية - الهيغية) وبسرعة، لإنصاف لبنان» بهدف تأمين «استقرار الأمة اللبنانية ذات السيادة ضمن حقوقها الطبيعية» «واعتماد سياسة واحدة في لبنان، إنها السياسة التي تتوافق مع سيادة هذا الوطن وشعبه» و«هذا يقضي بوضع حد لحلقات التأثير

(٢٧) اللبناني. عدد ٤٣، ٢٠ - ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٦.
(٢٨) العمل ٢٩/٤/١٩٨١.
(٢٩) المصدر السابق.

السورية والإسرائيلية في داخل حدود لبنان[٣٠]» وفي ختام هذا البيان، الذي يشكل في طروحاته وثيقة اتهام للخطّة الكيسنجرية، تؤكد اللجنة «على ضرورة تحويل لبنان بمستواه الثقافي والحضاري المتقدم إلى مصرف كبير لتنمية المنطقة على أن يلعب لبنان دور «الدولة - الأمان» (لا الدولة التي يمكن الاستغناء عنها) وهو دور لا بد من أخذه بالحسبان كدور أساسي في رسم أي استراتيجية أميركية في المنطقة[٣١]».

□ـ مالكوم كير (الرئيس السابق للجامعة الأميركية في بيروت) تساءل كيف أن كيسنجر والذين يرون رأيه في الخارجية الأميركية «لا يقلقهم استمرار الشلل في لبنان». وفي اعتقادهم، أن تعزيز السيطرة الكتائبية على المناطق المارونية الصميمة، وقدرة ذلك الكيان على إنشاء دولة منفصلة، يمثلان كسباً استراتيجياً مادياً، أو على الأقل كسباً سياسياً، وهذا الكسب يتجاوز في أهميته، بحسب منطقهم، إعادة الحياة إلى الدولة اللبنانية على أسس وفاق واهٍ ضعيف[٣٢]».

□ـ سكرتيرة كيسنجر التي عملت في مكتبه حتى أواخر عام ١٩٧٤، وكانت تتولى ضرب تقاريره السرية على الآلة الكاتبة، أكدت في شهادة لها «أن كيسنجر هو صاحب مخطط تمزيق العالم العربي، وضرب المنطقة بعضها ببعض والعمل على استنزاف

(٣٠) المصدر السابق.
(٣١) المصدر السابق.
(٣٢) مالكوم كير: السياسة الأميركية في الشرق الأوسط. كيسنجر كارتر والمستقبل. في: «السياسة الأميركية في الشرق الأوسط». م.د.ف نيقوسيا ١٩٨٤ ص ٢٠١ - ٢٠٢.

قواها الذاتية، والإعداد لتقسيم وحداتها الجغرافية[٣٣]». وفي استعراضه للبلاد العربية بحسب شهادتها، يصف كيسنجر لبنان بأنه «بلد هش التركيب قابل للتعدد والانقسام». «وأنه نقطة إشغال الهلال الخصيب ومركز انفجار مشكلة الأقليات». «وإن النقطتين الرئيسيتين (لتفجير العالم العربي) هما لبنان والصحراء الكبرى. ونقطة الكويت (لتفجير الخليج) تتصل بنقطة لبنان. ونقطة ليبيا تتبع نقطة الصحراء الغربية وتتأثر بها[٣٤]». «ويعترف التقرير أن قيام إسرائيل قد عجّل في انفجار مشكلة الأقليات وفي طموحها إلى الاستقلال ولا سيما الأكراد والمسيحيون والدروز والعلويون[٣٥]».

□- موريس دريبر، أحد الخبراء الأميركيين المعروفين في قضايا الشرق الأوسط والذي شارك في أكثر من قرار أميركي خفي وعلني يتعلق بالمنطقة، والذي عمل في الإدارة الأميركية زمن كيسنجر (إلى كونه عراباً لاتفاق ١٧ أيار) أكد كلام كيسنجر. «بأن الوجود السوري في لبنان لم يكن ضد مصالح أميركا في المنطقة. فنحن الذين دعونا السوريين إلى دخول لبنان (عام ١٩٧٦) ولولا أميركا لما استطاعوا أن يدخلوا» ورفض أن يكون دخولهم «أحد أخطاء السياسة الأميركية، واعترف بأنه شارك شخصياً في صنع

(٣٣) راجع صورة مترجمة عن شهادتها في الملحق رقم IV وهي شهادة تتوافق في خطوطها مع تفكير كيسنجر العام وتحتفظ بالنسبة لنا بكونها من الأصول المثبتة ما لم يثبت العكس.

(٣٤) المصدر السابق.

(٣٥) المصدر السابق.

هذا القرار وفي الاتفاقية التي دخلوا بموجبها[٣٥]» (اتفاقية الخطوط الحمر ١٩٧٦).

٤ - كيسنجر يعترف

يقول المثل الفرنسي «لماذا التفتيش عن الظهر عند الساعة الرابعة عشرة» وقياساً عليه... لماذا التفتيش عما إذا كان كيسنجر تآمر على لبنان ما دام هو قد اعترف شخصياً وصراحة بذلك: «فلبنان، يقول كيسنجر هو بلد مثالي **لتحقيق المؤامرات**، ليس ضده فقط، **وإنما ضد العالم العربي ككل أيضاً**. من هنا اكتشفت في **تناقضاته عناصر جديدة لنصب فخ كبير للعرب جميعاً**[٣٦]». فالتآمر على لبنان، في نظر كيسنجر، هو جزء من التآمر على العالم العربي، بل هو المدخل إليه وذلك وفقاً «للأهداف المطلوبة والخطة المرسومة[٣٧]».

فما هي هذه «الأهداف المطلوبة»؟

وما هي هذه «الخطة المرسومة»؟

□- نظرة كيسنجر إلى لبنان

يمكن اختصار نظرة كيسنجر إلى لبنان (الشعب - الدولة - الكيان) من خلال كتاباته ومذكراته، بالأفكار الأساسية التالية:

(٣٥) مكرر - الوطن العربي عدد ٣٦٠، ١٢/٨/١٩٨٤.

(٣٦) رد كيسنجر على كتاب للعميد إده. (راجع الملحقين رقم II و III نص كتاب العميد ورد كيسنجر عليه. وقد نشر هذا الرد في الحوادث عدد ١٠٢٢ تاريخ ١٨/٦/١٩٧٦، كما نشر في مجلة الدستور (لندن) عدد ٣٣٧ تاريخ ٢٧/٨/١٩٨٤ باعتباره «من أخطر وثائق الحرب اللبنانية..» وراجع تعليقنا على صحة هذا النص ونسبته الى كيسنجر.

(٣٧) المصدر السابق.

● «كان لبنان نموذجاً للتعاون القائم بين المؤمنين من مختلف الديانات في الشرق الأوسط. . والمناصب المهمة في الدولة موزعة بين المسيحيين والمسلمين على أساس وضعية افتراضية تخطاها الواقع الديمغرافي. وعندما كانت الديانتان تتعايشان كان لبنان يزدهر[٣٨]». إلى أن دخل عليه العامل الفلسطيني المسلح بعد أحداث الأردن عام ١٩٧٠، فأدخله في الصراع العربي - الإسرائيلي!

● «إن الحكومة اللبنانية هي من الحكومات الأكثر اعتدالاً في الشرق الأوسط» ولكنها «حكومة منقسمة على ذاتها» وجيش لبنان «جيش ضعيف ومقسم[٣٩]» ولقد حاولت «أن أمتحن مقدار السيادة اللبنانية. . وقدرة السلطة على فرض إرادتها «خلال زيارتي للبنان، وبدلاً من أن ترفض الدولة اللبنانية كل إحراج»، وتصر على الاجتماع بي في بيروت، «فقد انتقل رئيس البلاد إلى مكان خفي سري ليجتمع بي. عندئذ أدركت حقيقة أن لا وجود للدولة اللبنانية وأن السيادة معدومة. . . وإنني في وطن هارب يختبىء من واقعه المتردي[٤٠]».

● يتذكر كيسنجر «بأسى» هؤلاء اللبنانيين المشبعين

(٣٨) مذكرات كيسنجر (راجع الملحق رقم V) H. Kissinger: Les Années Orageuses. 2- Fayard. Paris 1982. p. 967-969.

(٣٩) المصدر السابق.

(٤٠) رد كيسنجر على العميد. مصدر سبق ذكره، والمقصود بالمكان الخفي القاعدة الجوية قرب مطار رياق في البقاع حيث اجتمع كيسنجر بالرئيس فرنجية ورئيس الحكومة تقي الدين الصلح ووزير الخارجية فؤاد نفاع بتاريخ ١٩٧٣/١٢/١٦.

بالثقافة، والذين تمكنوا من صياغة مجتمع ديمقراطي مبني على الاحترام الصادق لدياناتهم الخاصة في هذه البقعة المضطربة من العالم[٤١]». ومثل هذا «الأسى» الذي يشعر به كيسنجَر عائد إلى يقينه بأن «نجاح هذه التجربة (اللبنانية) لن يستمرّ[٤٢]»! ذلك أن التجربة اللبنانية، في نظره، إنما قامت واستمرت «بفضل التسويات الدستورية البارعة» والتي حققت «التوازن الدقيق للاستقرار في لبنان» ولكنها تسويات لا يمكن أن تستوعب الانفعالات الثورية التي تجتاح المنطقة والمتمثلة بالحركة الفلسطينية والتي ما أن انفجرت حتى «كان لبنان قد تناثر قطعاً». وفي الوقت الذي يكتب فيه كيسنجر مذكراته «فإن جميع الشراذم وجميع القوى التي تتواجه في الشرق الأوسط، تتابع حربها فوق جسد لبنان الضعيف المنهك لتحقيق أحلامها الأزلية وكوابيسها التي لا شفاء منها[٤٣]».

● إذن، بالنسبة لكيسنجر واستراتيجيته المبنية على مقولة «الاستقرار» وليس على مقولة العدل، فإن استقرار لبنان هو استقرار هش مبني على «تلفيقة دستورية» تعكس «التركيب الدقيق للمجتمع اللبناني» وهي من العطوبة بحيث أنها انكسرت بضغط العامل الديمغرافي (فقدان التوازن الديمغرافي لصالح المسلمين مع بقاء مفاتيح السلطة بيد المسيحيين) ومن ثمة تشظت وتطايرت بضغط العامل الفلسطيني (تحويل لبنان إلى ساحة للعمل

(٤١) مذكرات كيسنجر. مصدر سبق ذكره ص ٩٦٩.

(٤٢) المصدر السابق.

(٤٣) المصدر السابق.

الفلسطيني الثوري المسلح). وهكذا فقد لبنان «مناعته الداخلية» وأصبح حيزاً مثالياً للتآمر عليه وعلى الأنظمة العربية، لأن «الزلازل لا تحدث إلا في الأرض المشقوقة» ولهذا «نجحت خطتنا فيه». «صحيح أن مشاركة إسرائيل وسعت حجم العمل ولكن التناقضات اللبنانية هي التي كانت تؤمن لنا استمرار الخطة وسلامتها[٤٤]». ويعترف كيسنجر أن لبنان أصبح (بعد أن نجح هو في نقل الحروب العربية إلى ساحته) الحيّز الذي تتصارع فوقه جميع القوى المتواجهة في الشرق الأوسط مدفوعة بأهم عاملين: أحلامها الأزلية (أي ميتولوجياتها الدينية) وكوابيسها الدائمة (أي مطامعها الأرضية)، أي أن لبنان صار (بفضله) مستجمعاً لحروب الآلهة وحروب البشر!!

● والأهم من كل هذا، أن كيسنجر وهو ينظر إلى خريطة العالم، فإن ما يعنيه بالنسبة للبنان بالدرجة الأولى «أنه واقع على حدود إسرائيل الشمالية». وإذا كانت أهمية لبنان (الدولة - الكيان) هي (أو أنها أصبحت) مسألة ثانوية في السياسة الأميركية لألف سبب وسبب، فإن لبنان كحيز (Espace) جغرافي - أيديولوجي كان ولا يزال أولوية في الفكر الكيسنجري خاصة وفي السياسة الأميركية عامة وذلك لسببين جوهريين:

الأول: إن لبنان **كحيز جغرافي** هو الباب الوحيد المفتوح عملياً (بعد إقفال أبواب الدول العربية الأخرى تدريجياً) على الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي وبالتالي العربي - الإسرائيلي. وإن وضعية الحدود اللبنانية - الإسرائيلية هي

(٤٤) كيسنجر في رده على العميد إده مصدر سبق ذكره.

التي ربطت (ولا تزال تربط) بين الأزمة اللبنانية وأزمة الشرق الأوسط. ولن يكون فكاك لأزمة لبنان منها إلا بإيجاد حل لأزمة الحدود... وهو أمر يستحيل على لبنان (مهما كان نوع الحكم فيه) أن يجد حلاً له خارج إطار حل عربي - إسرائيلي شامل!

الثاني: إن لبنان **كحيز أيديولوجي** هو البؤرة الوحيدة التي تستجمع **الراديكالية العربية**: لبنانية وفلسطينية وعربية ويسارية وماركسية من أقصى الخليج إلى أقاصي المغرب. ودور لبنان في هذا الإطار هو دور خطير في نظر كيسنجر. لقد هضم لبنان تيارات الفكر الغربي ولقح الفكر العربي (الحركات اليسارية الراديكالية) بهذه التيارات. وبديل أن يستعمل لبنان هذه الحرية وهذه الأفكار «ضد دول المنطقة» كما يريده كيسنجر، فقد استعملها ضد دول الغرب (وأميركا بشكل خاص) «ولهذا يقول كيسنجر، قررت إلغاء هذه الحرية بالرغم من معارضة فرنسا والفاتيكان ودول أميركا اللاتينية» وأن أجعل من نظامه نظاماً ذيلياً مرتبطاً بعجلة من عجلات الأنظمة التي تضايقت من رائحة الديمقراطية في بلادكم[٤٥]» خاصة وأن «طمس النظام اللبناني ولو لمدة سنتين على الأقل - هو أمر ضروري للتسويات المطلوبة[٤٦]»...

(٤٥) المصدر السابق.

(٤٦) ليس من باب الصدف، أن الاتفاقات حول لبنان، وآخرها اتفاق الطائف، تأخذ لنفسها مهلة سنتين للتنفيذ!

إن القاعدة المحورية التي تخترق فكر كيسنجر واستراتيجيته هي القائمة على سحق الراديكالية عامة والراديكالية العربية (وواجهتها ومنبرها وقاعدتها لبنان) بشكل خاص، وإنجاح المعتدلين العرب (وهي التسمية الديبلوماسية لعرب أميركا)!

وإن لبنان من هذه الناحية، هو في نظر كيسنجر بلد ذو دور وظيفيّ سلبي (Fonctionnel négatif). فهو ليس بلداً غاية في ذاته أو أنه في عداد البلدان التي لا يمكن الاستغناء عنها (Indispensable). فأهميته ترتبط «بوظيفيّته». وليس «بكيانيّته». فهو بلد ثانوي بالنسبة لكيسنجر والسياسة الأميركية على مستوى الكيانية. وهو بلد مفتاح بالنسبة لكيسنجر والسياسة الأميركية بالوظيفة التي يمكن أن يؤديها خدمة للستراتيجية الأميركية في المنطقة. وعادة ما تكون هذه الخدمة على حساب كيانيته ووجوده وشعبه بالذات. وعندها يدخل لبنان في عداد الدول التي يمكن الاستغناء عنها! (Dispensable)[٤٧]. لقد شطب كيسنجر وظيفة لبنان المالية (المصرفية) «لأن حجم فواتير النفط العربي قد تضاعفت بسرعة لا تتلاءم مع العاصمة اللبنانية الصغيرة وباتت مليارات البترودولارات تتجه رأساً إلى البنوك الأميركية[٤٨]» واستعاض عنها بجعله.. ساحة لسوق النقد في السياسة أو

(٤٧) إن عدم التفريق بين لبنان الكيان ولبنان الوظيفة بالنسبة للسياسة الأميركية أوقع بعض الأكاديميين اللبنانيين (من الدكاترة على الطريقة الأميركية) في تحليلات بائسة حول موقع لبنان في سياسة واشنطن بين كونه بلداً مركزياً أم بلداً هامشياً!

(٤٨) جوناثان رندل ـ حرب الألف سنة. الطبعة العربية الثانية. ١٩٨٤. ص ١٥٠.

بالأحرى ساحة لتسويق المشاريع وتبادلها[٤٩]». ومثل هذه «الساحة» لا تعنيه (بل تزعجه) ككيان جغرافي ـ تاريخي لأن شرعيتها الجغرافية ـ التاريخية تعطيها المصداقية في ذاتها وتمنحها استقرارها الذاتي وهو ما يشطبه كيسنجر ليستبدله «بوظيفة» لبنان «الحيّز» لتأمين مصداقية دول المحيط واستقرارها بما يتلاءم والستراتيجية الأميركية. ولهذا وصف الشيخ محمد حسين فضل الله دور لبنان في المنظور الأميركي بأنه مركز صيرفة سياسي، و«محطة وقاعدة استكشاف وتنصّت (بوصلة) على المنطقة[٥٠]».

□ـ الخطة:

من الخطأ التصور أن هنري كيسنجر وضع خطة (أو مخططاً أو مؤامرة) خاصة بلبنان وحده. هذا التصور يناقض استراتيجية كيسنجر التي هي دائماً استراتيجية شمولية. ولكن من الصواب التصور (والقول) إن كيسنجر وضع استراتيجية معينة تؤمن مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وأن لبنان لأسباب ذاتية (يهودية) وموضوعية (تركيبته الجغرافية ـ التاريخية ـ الثقافية) اختير كنقطة ساخنة و«مجمرة حروب» لأن كيسنجر كما رأينا «لا يقارب المشاكل إلا وهي حارة» ولأن حروب لبنان «تفتح فرصاً غير عادية للديبلوماسية الأميركية الدينامية في جميع أنحاء الشرق الأوسط[٥١]».

(٤٩) من كلام لكيسنجر قاله لفرنسوا ليوتار رئيس الحزب الجمهوري الفرنسي تعليقاً على قصف السوريين لبيروت الشرقية في أثناء حرب التحرير. النهار العربي والدولي. ٦٢٦، ١٩٨٩/٥/١٤.

(٥٠) النهار ١٩٩١/٢/٩.

(٥١) كيسنجر الواشنطن بوست ١٩٨٢/٦/١٦.

● أهداف هذه الخطة تندرج إذن تحت عنوان عام هو: تحقيق مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ومن ضمنها في الدرجة الأولى ضمان وجود إسرائيل وبقائها وأمنها وسط العالم العربي. وفي خدمة هذين الهدفين الكبيرين تندرج بقية الأهداف التي يمكن (بل يجب) أن تتطوّر وتتغير بتغيّر الأحداث والمعطيات وذلك على ضوء «خصوبة الأحداث الدامية في لبنان» والتي فتحت لكيسنجر وللديبلوماسية الأميركية إمكانات متعددة ومتنوعة لم يكن هو يحلم بها من قبل ومنها[٥٢]:

- إبعاد الاتحاد السوفياتي عن المشاركة في حل أزمة الشرق الأوسط.
- تأجيل مؤتمر جنيف،
- تأجيل الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية.
- تدمير صيغة التعايش في لبنان وخلق دويلات شبيهة بإسرائيل.
- قبول إسرائيل جزءاً من المنطقة.
- توطين الفلسطينيين حيث يقيمون.
- التغطية على فض الاشتباكات بين إسرائيل ومصر وسوريا وعلى اتفاقات كامب ديفيد!
- ....

إن دور لبنان في هذه الخطة الجيو - استراتيجية الكيسنجرية للمنطقة أملته أسباب موضوعية كثيرة أشار إليها كيسنجر في كتاباته ومقالاته ومنها:

(٥٢) كيسنجر في رده على العميد إده.

● «إن نزاع لبنان يمتص طاقات الدول العربية المجاورة[٥٣]» ويؤدي إلى «توريط دول عربية في المشكلة[٥٤]».

● وهو يهدف إلى «تقوية المعتدلين العرب وإضعاف المتطرفين العرب[٥٥]».

● و«القضية اللبنانية تشكل بديلاً للقضية الفلسطينية[٥٦]».

● ولبنان مدعو ليكون نموذجاً لبدء عملية توطين الفلسطينيين «المتواجدين فيه وهو ما كشفه كيسنجر بطريقة غير مباشرة في مذكراته «كنت أحاذر أن أقول للرئيس فرنجية أنه لن يكون قريباً من تحقيق أمنياته بإراحته من ضيوفه المفترسين[٥٧]». ثم عاد فكشف الأمر بطريقة مباشرة: «إن توطين الفلسطينيين في لبنان أمر ممكن كجزء من حل للقضية الفلسطينية يقضي بتوطين الفلسطينيين في الدول العربية». ثم حدد مكان إقامتهم «الجديد» «ويمكن للفلسطينيين أن يقيموا في الجنوب اللبناني[٥٨]». فلبنان كما يقول كيسنجر في مذكراته، لم يكن لديه أي حظ بأن يتخلص عما قريب، من وجود زواره المدججين بالسلاح». لهذا «اقترح كيسنجر في السبعينات دفع تعويضات مادية كافية للمستوطنين الفلسطينيين في لبنان «١٥ ألف دولار لنازحي ١٩٤٨. ١٠ آلاف

(٥٣) كيسنجر. الكتاب السنوي الفلسطيني ١٩٧٦ م.د.ف. ص٣٥٣.
(٥٤) كيسنجر. محاضرات. مصدر سبق ذكره. ص١٠٨.
(٥٥) المصدر السابق. ص١٠٤.
(٥٦) كيسنجر. الحوادث عدد ١٠٢٢، ١٩٧٦/٦/١٨.
(٥٧) مذكرات كيسنجر راجع الملحق رقم V (وقد كان هاجس التوطين يشغل بال الرئيس فرنجية).
(٥٨) كيسنجر. السفير ١٩٨٠/٦/٢٠.

دولار لكل فلسطيني نزح بعد ذلك التاريخ». (أمين السباعي: لبنان في مهب مشاريع كيسنجر. الدولية عدد ٤١، ١٩٩١/٣/٢٥).

● ولبنان هو البلد المثالي، في رأي كيسنجر، لإشغال دول الهلال الخصيب وتفجير مشكلة الأقليات وإبراز طموحها إلى الاستقلال[٥٩]» وهو ما يفسر كلام كيسنجر ومفاوضيه حول تقاسم لبنان وتقسيمه: فمن ناحية التقاسم يطالب كيسنجر **«بجلاء جميع القوات الأجنبية عن لبنان! وإيجاد حكومة لبنانية مركزية تشمل سلطتها أراضي دولة محايدة (أي لبنان الأوسط او المنطقة الرمادية) ويبقى المبدأ سليماً مع بقاء قوات صغيرة سورية في شمال وادي البقاع وقوى صغيرة إسرائيلية تبقى على الحدود الشمالية من منطقة الجليل[٦٠]».**

● هذا التقاسم للبنان: قسم من البقاع لسوريا وقسم من الجنوب لإسرائيل ودولة محايدة في الوسط، لا يلطفه لفظ «قوات صغيرة» هنا وهناك. إنه التعبير المعلن والرسمي عن مضمون «نظام الخطوط الحمر» الذي شرحناه بتفصيل من قبل. إنه دعوة كيسنجرية واضحة لتغيير واقع لبنان الجغرافي بتغيير حدوده الدولية

(٥٩) راجع الملحق رقم IV

(٦٠) من مقال لكيسنجر في الواشنطن بوست ١٩٨٢/٦/١٦ ونشرته أنترناشيونال هيرالد تريبيون، وهناك بعض الاختلاف في الترجمة بين كتاب هنري كيسنجر. محاضرات ومقالات مختارة ١٩٨٢ - ١٩٨٤ الصادر عن دار قتيبة بيروت ١٩٨٨ ص٦٣ وبين ترجمة «العمل» تاريخ ١٩٨٢/٦/١٨ في ما يتعلق بهذه الفقرة بالذات. أحد الدكاترة (على الطريقة الأميركية) يضع هذه الفقرة في هامش كتاباته دون المتن لكي «يهمّش» أهميتها الأساسية بالنسبة للمؤامرة الكيسنجرية على لبنان!. فهي تختصر مخطط كيسنجر تجاه لبنان.

وتجيير حقوقه في أرضه ومياهه (خاصة مياهه) لكل من سوريا (العاصي) وإسرائيل (الليطاني)! ويقول موريس دريبر في هذا المجال «إن بعض اللبنانيين، على ما فهمنا مستعدون لمنح جزء من لبنان إلى سورية مثل البقاع الشمالي. والمشكلة الصعبة الآن هي مشكلة طرابلس التي تغيرت ديمغرافياً[٦١]».

أما من ناحية التقسيم فنلاحظ أن آراء كيسنجر ومعانيه تتدرج كما يلي:

● يعيد كيسنجر إلى الأذهان محاورات مناحيم بن غوريون وموشه شاريت حول قيام وطن قومي ماروني في لبنان[٦٢].

● دين براون مبعوثه إلى لبنان عام ١٩٧٦ يتحدث عن «حل سويسري للمسألة اللبنانية[٦٣]».

● مبعوثا كيسنجر إلى لبنان بعد اغتيال السفير الأميركي في بيروت (فرنسيس ميلوي) وهما روبرت هوتن ودافيد ماك حملا للزعماء اللبنانيين سؤالين:

١ - هل تعتبر أن نظام الكانتونات هو الأفضل للبنان المستقبل.

٢ - هل توافق على مشروع الكونفدراسيون[٦٤]»؟

● مساعد كيسنجر موريس درايبر قال: «إن الكانتون كلمة سيئة يمكن أن يساء فهمها. وقد تعني التقسيم. لكن اللامركزية ليست كلمة رديئة». ويضيف درايبر وما هي المشكلة عندما يقوم

(٦١) الوطن العربي عدد ٣٦٠، ١٩٨٤/٨/١٢.

(٦٢) كيسنجر في رده على العميد إده. ملحق رقم III.

(٦٣) الكتاب السنوي الفلسطيني لعام ١٩٧٦. ص ٣٥٥.

(٦٤) الحوادث ١٠٣٥، ١٩٧٦/٩/١٧.

الدروز بجمع الضرائب وإدارة أمورهم المحلية ما داموا خاضعين لتوجيهات الحكومة المركزية[٦٥]»؟

هذه التلميحات الأميركية لكيسنجر ومبعوثيه ومعاونيه، تعبّر عن نظرة معينة إلى تركيبة لبنان تتراوح بين التقسيم كحد أقصى واللامركزية الملطفة كحد أدنى!

● **إن مستلزمات الخطة الكيسنجرية أربعة:**

أ ـ أن تبقى الحرب اللبنانية مشتعلة ما دام الصراع العربي الإسرائيلي لم يجد له حلاً. ولكي تستمر هذه الحرب يجب أن يستمر فرقاؤها أو أنه يجب إدخال فرقاء جدد فيها لتأمين «التوازن» المطلوب! (من حرب لبنانية ـ فلسطينية إلى حرب أهلية وإقليمية إلى حرب كوسموبوليتية...). وبالتالي يمنع الحسم فيها من أي فريق على فريق. فالحرب مسموحة ومطلوبة ولكن الحسم ممنوع (لأنه يخرّب الخطة).

ب ـ أن تتحكم الولايات المتحدة بمسار الحرب اللبنانية بالاستناد إلى «نظام الخطوط الحمر» الكيسنجري. والذي وضعت أميركا لبنان بموجبه تحت سلطة الكوندومينيوم السوري ـ الإسرائيلي بحيث لا يستطيع لبنان الفكاك منه، ولا تستطيع أية قوة رابعة أن تزحزح هذا المثلث عنه.

جـ ـ أن تستغل أميركا حرب لبنان المستمرة لتنفيذ ما تريد وتقدر على تنفيذه، داخل لبنان، وفي المنطقة، وتأجيل وتغطية

(٦٥) الوطن العربي. مصدر سبق ذكره.

ومعارضة ما لا تقر، أو لا ترغب في تنفيذه سواء على الصعد السياسية أم العسكرية أم الاقتصادية.

د ـ أن يكون لبنان (في ظل البراغماتية الكيسنجرية ودون الأخذ بعين الاعتبار المفاهيم المثالية كالأخلاق والعدالة والسيادة...) أن يكون رأس حربة لطعن الراديكالية العربية من جهة ومدخلاً لصراعات عقائدية يأتي في مقدمها صراع الأقليات والهويات والثقافات ابتداء من بيروت وصولاً إلى «البلطيق» بحيث أن كل تفكك دولي (بتسكين الواو) صار يأخذ اليوم صفة «اللبننة»!

الخلل في الخطة: بعثة دين براون

إن أفضل طريقة لمعرفة طبيعة خطة كيسنجر هي في اكتشاف الخلل فيها «بعدما تعثرت وإرسال دين براون لتطبيقها من جديد[٦٦]» وذلك عندما «حدث خطأ عربي ـ أوربي، وقد أرسلت دين براون وهو مهندس سياسي اختصاصي بعمليات الشرق الأوسط، ولقد كشف بسرعة عن موضع الخلل، ثم أعاد ضبط الجهاز الكبير الذي يحرك الأمور حسب الأهداف المطلوبة والخطة المرسومة[٦٧]». وهو ما أكدته وكالة الصحافة الفرنسية (١٩٧٣/٤/١٩).

لقد وصل دين براون إلى لبنان بتاريخ ١٩٧٦/٣/٣١. أي في وقت شهد: عسكرياً: هجوماً يسارياً ـ فلسطينياً كبيراً على

(٦٦) الحوادث ١٠٢٢، ١٩٧٦/٦/١٨.
(٦٧) كيسنجر في رده على "عميد إده. مصدر سبق ذكره.

جبهتي الجبل والأسواق حقق تقدماً على الجبهتين المذكورتين وتشديداً للضغط على زحلة وزغرتا.

سياسياً: دعوة لاستقالة الرئيس فرنجية بعد اضطراره لترك القصر الجمهوري إلى المجلس البلدي في ذوق مكايل (بكسروان) وتهديد من جانب جنبلاط يؤكد فيه «أن قرار الحسم قد اتخذ ولا مجال لوقف النار[٦٨]». وعريضة نيابية موقعة من ٦٦ نائباً تطالب الرئيس فرنجية بالاستقالة[٦٩]». (١٣/٣/١٩٧٦). ومطالبة جنبلاطية واضحة «بتبديل النظام اللبناني بنظام يتبنى البرنامج المرحلي للأحزاب اليسارية[٧٠]». وأعطى جنبلاط ملامح الرئيس المقبل للجمهورية (كبديل لفرنجية) «بأنه شخص علماني يؤمن بالديمقراطية» ولّمح إلى أنه «تكلم مع السوريين في قضية العميد إده[٧١]». أما هنري كيسنجر فقد صرح في مأدبة غداء أقامها للديبلوماسيين الأجانب (٢٢/٧/١٩٧٦) «أن المشكلة الأساسية في لبنان هي أن التوازن التقليدي بين المسيحيين والمسلمين قد بدأ ينهار بسبب تزايد النفوذ الفلسطيني... والولايات المتحدة لا تؤيد أي تدخل فردي (سوري أو إسرائيلي) أو بالأحرى تعارض أي تدخل فردي[٧٢]»!!

إن الخلل في خطة «التذابح المتبادل والمتوازن» نتج عن قيام

(٦٨) يوميات الحرب اللبنانية. منظمة التحرير الفلسطينية. الجزء الثاني. بيروت ١٩٧٧. ص ١٥٣

(٦٩) أنطوان خويري ـ حوادث لبنان ١٩٧٦ ـ الجزء الأول ص ٣٣٥.

(٧٠) المصدر السابق. ص ٤٨١.

(٧١) المصدر السابق ص ٤٤٥.

(٧٢) يوميات الحرب اللبنانية. مصدر سبق ذكره. ص ١٤٥.

تحالف يساري (لبناني) ـ فلسطيني ذي أفق أوربي (فرنسي) قرر (وبدأ ينفذ) الحسم العسكري في لبنان مما يهدد الخطة الكيسنجرية جدياً بثلاثة «أخطار»:

- سقوط لبنان (المحسوب على الغرب) في المعسكر اليساري.
- وصول رئيس جمهورية غير محسوب على أميركا بل هو برو ـ أوربي (فرنسي) إلى الرئاسة (العميد ريمون إده).
- حصول حسم ينهي الحرب في حين أن المطلوب هو استمرار التذابح.

ماذا فعل دين براون؟

- عمل على تشليع اليسار بجذب جنبلاط نحو أميركا وفتح قنوات اتصال بينه وبين القيادات الراديكالية المارونية (الأباتي شربل قسيس والشيخ بشير الجميل) والسعي لرأب الصدع بينه وبين سوريا ولذا قال جنبلاط «فاتحني أحد المسؤولين الأميركيين إذا كان هناك مجال لتسوية الخلاف بيننا وبين سوريا. إننا نخاف أن يحصل عندنا ما حصل في تشيكوسلوفاكيا قبل سنوات[٧٣]».

- عمل على تأمين وصول الياس سركيس إلى الرئاسة كبديل للعميد إده على أساس أن سياسة كيسنجر «هي إلى جانب أهل الحظوظ لا إلى جانب أهل العقول[٧٤]».

- عمل على إقناع المسيحيين بالهجرة إلى الغرب[٧٥] (بعد

(٧٣) النهار ١٣/٤/١٩٧٦.

(٧٤) راجع كتاب كيسنجر إلى العميد.

(٧٥) راجع في هذا الموضوع شهادة حية من الأباتي شربل قسيس ومحضر اجتماعه على رأس المؤتمر الدائم للرهبانيات اللبنانية، بدين براون في الكسليك. في القسم الأول ـ من هذا الكتاب.

أن قاموا بدورهم في المرحلة الأولى من الحرب. وأثبتوا جدارتهم في المقاومة بأكثر مما كان متوقعاً). لتوطين الفلسطينيين في لبنان على أن يقوم مقامهم وبشكل أكثر فعالية، في عملية التوازن، الجيش السوري. وبما أن دخول الجيش السوري إلى لبنان يخلق عدم توازن إقليمي كان لا بد من هندسة الخطة بشكل لا يسمح بأي خلل في المستقبل. وهذا ما فعله كيسنجر بواسطة «نظام الخطوط الحمر» وبناء على تقرير دين براون لأنه «على رغم الكراهية المتبادلة بين إسرائيل وسوريا، كما يقول كيسنجر، فإن وجودهما في لبنان يرمي إلى الغاية نفسها: منع منظمة التحرير الفلسطينية من السيطرة على لبنان[٧٦]». ولهذا رأينا كيسنجر «لا يؤيد أي تدخل فردي، بل يعارض أي تدخل فردي» مما يعني ضمناً أنه يحبّذ ويؤيد أي تدخل ثنائي ولا يعارض أي تدخل ثنائي (سوري - إسرائيلي) في لبنان!!

ترك براون لبنان في ٢٠/٤/١٩٧٦،.. ثم كانت المفاوضات بين الولايات المتحدة وكل من سوريا وإسرائيل (أيار ١٩٧٦) لترتيب الخطوط الحمر. وفي أول حزيران ١٩٧٦ دخل الجيش السوري النظامي إلى لبنان. وخلال أسبوع اندلعت المعارك بينه وبين القوات المشتركة (اليسارية - الفلسطينية)، بأشد عنفاً مما كانت عليه قبل مجيء المبعوث الأميركي. مما يعني أن الخلل في الخطة قد تم «تضبيطه»، ليس على المستوى اللبناني الداخلي فقط، بل على المستوى الإقليمي أيضاً!

(٧٦) كيسنجر. مقالة في أنترناشيونال هيرالد تريبيون نقلته العمل ١٨/٦/١٩٨٢. وفي كتاب كيسنجرات. محاضرات مختارة. مصدر سبق ذكره. ص ٦١.

الفصل الثالث

لبنان
بين أميركا... وفرنسا!

إذا كان لبنان في المفهوم الكيسنجري الخاص (والمفهوم الأميركي العام) هو مجرد «ساحة» تنماز بأهمية جيو - استراتيجية من حيث الموقع «ووجهة التوظيف والاستعمال». فإن لبنان في المفهوم الديغولي الخاص (والمفهوم الفرنسي العام) هو «دولة» ذات كيان خاص ومميّز تستقي شرعيّتها وغائيّتها من العمق الأيديولوجي (والشعوري) للأمة الفرنسية. وضمن هذين الخطين شبه المتوازيين في النظرة إلى لبنان (الدولة والكيان) تتدرج الاختلافات السياسية بين واشنطن وباريس في مقاربتهما للمسألة اللبنانية. بمعنى آخر، إن فرنسا التي تعتبر نفسها «الأم الحنون» التاريخية للبنان عامة والموارنة خاصة، لن تقف موقف اللامبالاة من خطة كيسنجر «ونظام الخطوط الحمر». لخمسة أسباب جوهرية:

١ - لأنها تعتبر نفسها الدولة الأقرب إلى لبنان دينياً وتاريخياً وثقافياً وبالتالي فهي معنية بمصيره نظراً للعلاقات بين البلدين والتي «بوشر بها عند فجر الألف الثاني فأوثقت عراها وتنوعت وتشعبت طوال القرون السبعة الماضية فمزجت بين الروابط

الروحية والسياسية والثقافية والاقتصادية وتركت شيئاً فشيئاً أثرها على صورة لبنان[1]».

٢ ـ لأنها تعتبر لبنان إحدى نقاط الارتكاز لسياستها ومصالحها المتوسطيّة والشرق ـ أدنوية.

٣ ـ لأن لبنان هو عضو عامل في مجموعة الدول الفرنكوفونية.

٤ ـ لأنها ترى أن انهيار لبنان أو أي تغيير في واقعه الجغرافي سيؤدي إلى انهيار التوازن الدقيق في الشرق الأوسط. ولطالما ردد أستاذنا دومينك شيفاليه[2] في أكثر من حوار له حول لبنان. «إن أي تغيير في حدود لبنان سيستتبع حكماً تغييراً في حدود دول المنطقة».

٥ ـ لأن «نظام الخطوط الحمر» الذي صاغه كيسنجر وضع لبنان تحت حكم المثلث الأميركي ـ السوري ـ الإسرائيلي وأقصى بالفعل ذاته فرنسا وهمّش وجودها ونفوذها التاريخيين في لبنان وهو أمر يصعب على فرنسا، بل يستحيل عليها، القبول به، خاصة وأنها تتمتع بتيار شعبي لبناني مهم (وماروني بالتخصيص) يتعاطف معها. ولهذا استعملت فرنسا الشارع الماروني «بمثابة رافعة تاريخية» لكسر المثلث الأميركي ـ السوري ـ الإسرائيلي[3].

لقد شكّل لبنان شاغلاً فرنسياً بامتياز. فهو البلد الذي يشعر الفرنسيون حياله بالتعاطف والتضامن أكثر من أي بلد في

(١) محاضرة للسفير الفرنسي في لبنان پول بلان حول العلاقات اللبنانية ـ الفرنسية من عام ١٢٨٠. حتى الآن. العمل والنهار ١٩٨٨/٣/٥.

(٢) أستاذ في جامعة السوربون وأحد كبار المتخصصين الفرنسيين في موضوع لبنان.

(٣) تجربة العماد ميشال عون ١٩٨٩.

العالم[4]. ومثل هذا الشعور جرى التعبير عنه، في أكثر من مناسبة، على لسان المسؤولين الفرنسيين: السياسيين والدينيين والثقافيين.

□ـ الجنرال شارل ديغول لم يكن يكنّ احتراماً فائقاً للبنان فقط، بل كان يرى في لبنان «إحدى الركائز الأساسية لسياسته العربية» فالسياسة الديغولية تجاه الشرق الأوسط لم تكن مجرد موقف مصلحي (براغماتي) بل خلاصة معادلة موضوعية بين واقع فرنسا الجغرافي ـ السياسي ومصالحها الستراتيجية والاقتصادية. ولعل الإنجاز السياسي الرئيسي للجنرال ديغول يتمثل في إعادته فرنسا إلى إطارها الجغرافي ـ السياسي ـ الطبيعي كدولة أوروبية ـ متوسطية ذات وجود مادي ومعنوي في حوض المتوسط مرتبط ارتباطاً عضوياً بالعالم العربي المتوسطي عبر محور قطبه الغربي في المغرب وقطبه الشرقي في لبنان. لقد رأى ديغول في العالم الثالث قاعدة ودعامة لاستقلالية فرنسا (وأوربا) خارج النفوذ الأنكلو ـ سكسوني ـ الأطلسي، كما رأى في العالم العربي مفتاح العالم الثالث وقلبه الاقتصادي والستراتيجي دون منازع ورأى في لبنان مفتاح العالم العربي المشرقي. ولهذا التزم ديغول «بأن تقيم فرنسا أفضل علاقات مع العالم العربي وهو عالم مجاور لفرنسا التي عقدت الآمال على تطوره وتوازنه وليس على انقساماته وتخلفه الاقتصادي». ومثل هذه السياسة تتناقض «والسياسة الأميركية

(٤) في استطلاع للرأي الفرنسي أجري عام ١٩٨٨ (إبان معركة الانتخابات الرئاسية) حصل لبنان على ٤٧٪ من أصوات الفرنسيين كبلد خارجي يتعاطفون معه.

التي أدت إلى تثبيت لبنان على صليبه[٥]».

□ـ جاك شيراك يعترف «إنني متعلق بلبنان تعلقاً عميقاً مثل كل الشعب الفرنسي. هذا البلد الصديق.. الذي يربطنا به التاريخ ومشاعر القلب[٦]».

□ـ ريمون بار يؤكد «إن العلاقات بين فرنسا ولبنان هي أبعد من العلاقات التقليدية بين دولة ودولة. فهي تتغذى من الروابط الوثيقة التي نسجها التاريخ بين الشعبين. وقضية لبنان الغالية على قلب الفرنسيين يجب أن تساهم فرنسا في حلها[٧]».

□ـ أما الرئيس فرنسوا ميتران فيرى «أن بيننا وبين لبنان روابط إنسانية ومادية وتاريخية[٨]».. ويذهب أبعد من ذلك إلى حد القول: «نحن متضامنون غريزياً مع لبنان[٩]». ويبلغ ذروة تعلقه كرئيس لفرنسا بلبنان عندما يؤكد للرئيسين الأميركي (بوش) والسوفياتي (غورباتشوف) «أن وجود لبنان ووحدته وسيادته **هدف دولي**[١٠]» وأن فرنسا «لن تخضع لا لتفتيت لبنان ولا لاستعباده[١١]». «وأن ثلاثة جيوش تحتل لبنان: السوري - الفلسطيني والإسرائيلي» (٩/٦/١٩٨٢).

□ـ المجلس الدائم لأساقفة فرنسا أعلن «أن كنيستنا قررت تحمل

(٥) ميشال جوبير. السفير ٦/١١/١٩٨٦.
(٦) النهار ١٤/٤/١٩٨٨.
(٧) المصدر السابق.
(٨) المصدر السابق.
(٩) السفير ٧/٤/١٩٨٩.
(١٠) النهار ١٩/٥/١٩٨٩.
(١١) الأوريان ١/٦/١٩٨٩.

مسؤولياتها حيال مسيحيي الشرق عامة ولبنان خاصة[١٢]». وإذا كان هذا الأمر طبيعياً من منظور ديني، فإن المبادرة الاستثنائية هي في قيام الأكاديمية الفرنسية، وهي أعلى مؤسسة ثقافية في فرنسا، ونادراً ما تتخذ مواقف ذات طابع سياسي، قيامها بإصدار توصية «تدعو الرئيس فرنسوا ميتران للعمل على إيجاد حل يؤمن بقاء لبنان سيداً حراً مستقلاً[١٣]».

ويختصر أحد الباحثين العلاقات الفرنسية ـ اللبنانية بالقول: «إن لبنان ظل دائماً يشكل مصدر فخر واعتزاز بالنسبة لفرنسا»، كونه يمثل دليلاً ساطعاً على الوجود التاريخي لفرنسا، وامتداداً للإشعاع الحضاري الفرنسي في الوطن العربي. فهو القلب النابض بفرنسا، وهو البلد الوحيد الذي لا تتأثر علاقاته بفرنسا، حتى في أحلك اللحظات التي مرت فيها العلاقات الفرنسية ـ العربية، كما أن اللبنانيين ولا سيما المسيحيين منهم، ظلوا دائماً يشعرون بانتمائهم «للثقافة» الفرنسية، أكثر مما هو الشأن بالنسبة لباقي العرب في المنطقة والذين خضعوا أكثر للتأثير الأنكلو ـ سكسوني[١٤]».

إزاء هاتين النظرتين (الأميركية والفرنسية) المتناقضتين إلى لبنان (الدولة والكيان) لم يعد غريباً أن نسمع مسؤولاً أميركياً كبيراً هو كسبار وينبرغر وزير الدفاع زمن ريغان يقول: «المشكلة في لبنان في رأيي، أنه ليس في الواقع بلداً، كان مجموعة من نوع

(١٢) النهار ١٤/٩/١٩٨٥.
(١٣) النهار ١٢/٤/١٩٨٩.
(١٤) د. بو قنطار الحسان. السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ ١٩٦٧. مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٨٧ ص ٥٠.

ما وشكّله خبراء. وحدوده ليست لها أية علاقة محددة بالجغرافيا أو التاريخ. وهو مليء بكل أنواع القبائل المتحاربة». (الحياة، ٩/٢/١٩٩٠)، ويعكس وينبرغر بهذا التصريح رأي العديد من رجال الإدارة الأميركية الذين ينظرون إلى لبنان كدولة على أنه (Irrelevant) أي لا معنى له. ولقد شرحنا هذه النظرة في كتابنا: «مجالس التعاون وعروبة القرن ٢١» وهي نظرة تصل إلى حد «الاحتقار» كما يقول جوناثان راندل مراسل الواشنطن بوست في بيروت والذي يضيف) «لماذا تنبغي حماية هذا الكيان من هزات لا بد لكيان بهذه الغرابة أن يتعرض لها. إن لبنان اختراع فرنسي، وتقليدياً، لا تتحمس واشنطن كثيراً لمنتجات الاستعمار الفرنسي[١٥]».

المسؤول في الخارجية الفرنسية رد بشكل غير مباشر على الطرح الأميركي بخصوص لبنان كاشفاً عناصر الأزمة اللبنانية بالقول: «إن بين سوريا وإسرائيل تواطؤ قديم للسيطرة على لبنان لتقييد حرية الفلسطينيين فيه.. وفي الإدارة الأميركية إعجاب بشخص الرئيس الأسد موروث عن عهد كيسنجر، لهذا، فإن لبنان مسألة ثانوية بالنسبة للأميركيين، والمسألة الأساسية هي المسألة الفلسطينية، ولبنان يزعجهم إذا كان من شأنه أن يعقّد العلاقات مع سوريا التي يعتبرونها عاملاً أساسياً في التسوية. لذلك كان الأميركيون يسعون دائماً إلى حلول لا يراعون فيها مصير لبنان[١٦]».

(١٥) جوناثان رندل ـ حرب الألف سنة. الطبعة الثانية ١٩٨٤. ص ١٤٩.
(١٦) الحياة ١٥/١١/١٩٨٩.

الوزير الفرنسي كوشنير اختصر الموقفين الأميركي والفرنسي من لبنان بالقول: «إن موقف الولايات المتحدة من لبنان واضح وهو يأخذ بعين الاعتبار دور سوريا في المنطقة وتصفية النزاع الفلسطيني ـ الإسرائيلي. ولهذا فنحن أقرب من الأميركيين إلى لبنان وأكثر تمسكاً بوجوده لأسباب تاريخية وعاطفية وسياسية[١٧]». وزير الخارجية الفرنسي كلود شيسون كان أكثر وضوحاً وصراحة فأعلن: «أن فرنسا ستكافح بكل الوسائل المتاحة لها وبكل نفوذها في العالم لمنع تحقيق مشروع إسرائيل الكبرى وسوريا الكبرى ولبنان الصغير». (النهار ٨/٣/١٩٨٣). وضمن هذا السجال الأميركي ـ الفرنسي حول لبنان، قال مساعد وزير الخارجية الأميركي جون كيلي (سفير سابق في لبنان) «إن علاقات الولايات المتحدة مع الدول الأخرى في المنطقة لن تكون على حساب لبنان ولن تساوم عليه لا مع سوريا ولا مع إسرائيل». وفي رد مباشر على الفرنسيين قال: «مثلما دعت واشنطن في الأربعينات إلى خروج القوات الفرنسية والبريطانية من أجل تأمين استقلال لبنان فهي تدعو في التسعينات إلى خروج كل القوات غير اللبنانية بحيث تتمكن الحكومة اللبنانية من تأكيد استقلالها». (الحياة ١٨/١١/١٩٩٠).

إن شعور فرنسا بعجزها عن القيام بدور مؤثر في لبنان باحتيازه إلى الهيمنة الأميركية ـ السورية ـ الإسرائيلية، جعلها تطرح مبدأ «تحييد لبنان» باعتباره المخرج الوحيد الممكن من هذه الهيمنة. وهذا ما دعا إليه، في أكثر من مناسبة، وزير الخارجية

(١٧) السفير ٢٥/٧/١٩٨٩.

الفرنسي الأسبق كلود شيسون والناطق باسم الحزب الاشتراكي الفرنسي جاك هوتزينغر والأمين العام للحزب الاشتراكي الفرنسي ليونيل جوسبان.

الصراع على الموارنة

إذا كانت الحرب اللبنانية هي في التعريف الأخير «الصراع على السلطة» (صراع داخلي وصراع داخلي وخارجي). فإن جدلية هذا الصراع تتمثل أول ما تتمثل، وأكثر ما تتمثل، «بالصراع على الموارنة». وبعيداً عن «الأحكام القيمية» فإن ما يؤكد هذه الحقيقة السياسو - تاريخية كون الموارنة.

- □ في أساس النواة التي زرعت ببروتوكول ١٨٦٤ لقيام شرعية ذات وجه مسيحي في الشرق الأدنى.
- □ في أساس قيام لبنان الكبير عام ١٩٢٠ بإصرار البطريرك الحويك على حدود لبنان التاريخية(١٨).
- □ في أساس السلطة منذ دستور ١٩٢٦ والميثاق الوطني (١٩٤٣) حيث تولّى الموارنة المناصب - المفاتيح: رئاسة الجمهورية وقيادة الجيش ومديرية الأمن. ورئاسة مجلس القضاء الأعلى... لأن «لبنان الكبير» هو حيّز (ESPACE) جيوبوليتيكي وديمغرافي واقتصادي وثقافي واستراتيجي مختلف جداً عن حيّز «جبل لبنان» الذي عرف الإمارة والمتصرفية.

(١٨) هذا لم يمنع أن تنشأ في لبنان وفرنسا والمغتربات تيارات مناهضة لهذا التوجّه داخل الموارنة ولدى بقية الطوائف اللبنانية وبين المسؤولين الفرنسيين المعنيين بالمسألة اللبنانية... وهو هذا التوجه الماروني العام ما جعل البعض يرى في قيام لبنان الكبير ١٩٢٠. خطأ تاريخياً وجغرافياً».

ولكي يشعر الموارنة بالأمان في هذا الحيّز الجديد، فقد أصرّوا، في عملية التوزيع الطوائفي للمناصب المفاتيح في الدولة، أن تسند إليهم، بين مناصب أخرى، رئاسة الجمهورية وقيادة الجيش(١٩)».

معنى هذا على المستوى الستراتيجي: أن كل سيطرة على السلطة في لبنان تمر حتماً بالسيطرة على الموارنة في لبنان. وهذا ما سعت إليه القوى الأربع الكبرى المتصارعة في لبنان: الولايات المتحدة وسوريا وإسرائيل... وفرنسا!

كيف نختزل هذا الصراع؟

وأين هو موقع الموارنة في خطة كيسنجر؟

الأيديولوجية المارونية: ثلاثة تيارات(٢٠)

لا يمكن فهم التعاطي الماروني (بشكل عام) مع القوى الدولية الأساسية الأربع، وتعاطي هذه القوى الدولية مع الموارنة إلا في ضوء التوجهات الأساسية للأيديولوجية المارونية التي هي

(١٩) Nassif Nassar: Espaces et Identités Collectives au Liban - Défense Nationale Libanaise N°4. 1990. p.213.

(٢٠) الموضوع يشكل بذاته أطروحة ونحن هنا لا نحلل هذه الأيديولوجية بل نكتفي بملامحها العامة فقط. وقد عرّف إيليا حريق الأيديولوجية المارونية بالقول: «يمكن اعتبار الموارنة شعباً قائماً بذاته، يتميز بخصائص أتنية، ومذهب واحد، وتاريخ قديم. فهم عاشوا على مدى اجيال في بقعة محصورة واحدة، وتكلموا في حين من الزمن لغة مميزة ما زال لها أثر في كتبهم الدينية واحتفظوا بذكريات تاريخية تتصل بالماضي القريب. وكان لهم تاريخ سياسي وحياة سياسية مستقلة تحولت في ذاكرتهم إلى أسطورة وطنية. ولعبت الكنيسة =

أيديولوجية أقلوية بامتياز بمعنى أنها «تسترجع باستمرار مراحل اضطهادها وقهرها ولا يمكن أن تفكر في الأمور السياسية بدون التأثر بعقدة الخوف والحذر». وهذه التوجهات تندرج ضمن ثلاثة خطوط رئيسية (ثلاثة تيارات) تميز الفاعلية التاريخية (الخيارات التاريخية) للأقليات عامة وذلك ضمن جدلية الأقلية ـ الأكثرية:

١ ـ الخط الأول وهو الخط الاندماجي (Courant d'intégration) والذي يرى أن مصلحة ومصير وقيم الجماعة المارونية ترتبط بمحيطها السوري ـ العربي. وهذه الرؤية تطال مروحة تشمل في حدها الأدنى مفهوم التعاون اللبناني ـ العربي، وفي حدها الأعلى مفهوم الاندماج بآفاقه الأيديولوجية القومية الوحدوية: السورية والعربية.

٢ ـ الخط الثاني وهو الخط الانفصالي (Courant Séparatiste) والذي يرى أن مصلحة ومصير وقيم الجماعة المارونية ترتبط أولاً وأخيراً باستقلاليتها الحياتية والفكرية والسياسية. وهذه الرؤية تطال مروحة تشمل في حدها الأدنى مفهوم الحكم الذاتي (الإمارة المارونية) وفي حدها الأعلى الكيان السياسي الماروني المستقل مروراً بكيان لبناني ذي غالبية مسيحية كبيرة. ولقد كانت مجازر ١٨٦٠ التي تعرض لها الموارنة المدخل «إلى تصليب وعيهم الطائفي والمنبع الذي تنطلق منه أفكارهم

= المارونية، التي هي أكثر المؤسسات صموداً واستقراراً في تاريخ الشعب الماروني دوراً خطيراً للحفاظ على فكرة الكيان الوطني وتطويره والدعوة إليه. «ـ التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث. الأهلية للنشر. بيروت ١٩٨٢. ص ٩٩.

السياسية.. وبرهنت الكارثة على الحاجة الملحة إلى كيان ماروني مستقل[٢١]».

٣ ـ الخط الثالث وهو خط الواقعية التاريخية Réalisme (Historique) أو الخط الوسطي المعتدل والذي يرى أن مصلحة ومصير وقيم الجماعة المارونية ترتبط بحسن المزاوجة بين كونها ذات خصوصية ثقافية من جهة وبين انتمائها إلى محيطها العربي وتفاعلها معه من جهة ثانية. فإذا اعتبرنا الخط الأول هو خط الفريضة (Thèse) والخط الثاني هو خط النقيضة (Antithèse)، فالخط الثالث هو خط الجميعة (Synthèse).

هذه التيارات الثلاثة تكوَّنت أول ما تكوّنت، وتجسّدت أول ما تجسّدت لدى الإكليروس الماروني إذ «كان رجال الإكليروس حملة مشعل العقيدة المارونية ومثلها العليا وأول من طوّر فكرة قيام دولة مارونيّة[٢٢]». ويذهب كسروان لبكي[٢٣] إلى حد القول إن الحركات السياسية التي نشأت تحت ظل الانتداب ،داخل الطائفة المارونية، لم تكن سوى امتداد لتيارات موجودة داخل الكنيسة المارونية: فالتيار الكتلوي الموالي لفرنسا والمناهض للعرب هو تيار المطران أغناطيوس مبارك. والتيار الدستوري البرو ـ عربي هو تيار المطران عبدالله الخوري. والتيار الكتائبي الواقع

(٢١) مائير زمير: نشوء لبنان الحديث. ترجمة سليم فارس. دار المروج، بيروت ١٩٨٦ ص ١٩.
(٢٢) إيليا حريق. مصدر سبق ذكره. ص ١١٤.
(٢٣) المدير العام السابق لوزارة الخارجية اللبنانية.

بين الاثنين هو الأقرب لتيار المطران أغسطين البستاني.

إن هذه الخطوط ليست ثابتة ونهائية بل هي متشابكة ومتحوّلة تبعاً للوضعية التاريخية (للتحديات) التي تواجهها الجماعة المارونية وتبعاً للزعامة التي تقودها علماً «أن القيادة الكاريسمية الأقلوية هي بالتعريف زعامة ذات منحى انفصالي لأنها تكتسب شرعيتها من التشديد على خصوصية الأقلية وحريّتها وعلى فرادتها وحقوقها ومنها حقّها في تقرير المصير كما تتمسك بالمواقف المبدئية في حياتها السياسية[٢٤]». إن نظرة بانورامية إلى مسار الطائفة المارونية خلال القرن الحالي تؤكد ذلك[٢٥].

□ـ الخط الماروني الأول، المتمسك بمصلحة الموارنة أولاً ضمن عروبيّتهم، يلتقي تاريخياً وموضوعياً بالمحيط العربي والتيارات العربية انطلاقاً من سوريا، دون إهمال الخلفية البريطانية في الأربعينات والخمسينات والوراثة الأميركية في أواخر الخمسينات.

□ـ الخط الماروني الثاني، المتمسك بحرية الموارنة أولاً ضمن كيانيتهم، يلتقي تاريخياً بفرنسا وموضوعياً بإسرائيل في نطاق «حلف الأقليات» و«الدولة المذهبية» أو شبه المذهبية.

(٢٤) نبيل خليفة: القضية اللبنانية في ضوء صراع الأقليات في الشرق الأدنى. العمل - من حصاد الأسبوع في ٩ حلقات من ١٨/٨/١٩٨٥ حتى ٢٠/١٠/١٩٨٥.

(٢٥) انتقلت الزعامة الكاريسمية داخل الطائفية المارونية من إميل إده في الثلاثينات وبداية الأربعينات إلى كميل شمعون أواخر الخمسينات إلى الحلف الثلاثي أواخر الستينات إلى الكتائب منتصف السبعينات وبشير الجميل أوائل الثمانينات إلى ميشال عون أواخر الثمانينات.

□ـ الخط الماروني الثالث الساعي للجمع بين مصلحة الموارنة وحريتهم ضمن خصوصيتهم، يلتقي تاريخياً (جزئياً) بفرنسا (وجزئياً) بالعرب والأقليات الشرق - أدنوية وموضوعياً (براغماتياً) بالقوى ذات التأثير على المعادلة اللبنانية (الولايات المتحدة) شريطة ألاّ يفقد استقلاليته.

وغير خافٍ أن الولايات المتحدة ورثت الكثير من التركة البريطانية والفرنسية في المنطقة بعد حرب السويس. وفي حين كان الصراع على رئاسة الجمهورية اللبنانية في الأربعينات (بين إميل إده وبشاره الخوري) وفي بداية الخمسينات (بين حميد فرنجية وكميل شمعون) هو عملياً صراع بين فرنسا وبريطانيا على لبنان، وعلى الموارنة بالذات، أصبح الأمر بيد الأميركيين منذ العام ١٩٥٨ بعد اختيار اللواء فؤاد شهاب لرئاسة الجمهورية[٢٦] وأصبحت علامة أميركا في السياسة اللبنانية «مميّزة» لدى وزراء الخارجية والمستشارين الرئاسيين[٢٧]!.. أما الكتائب، وبعد دورها في أحداث ١٩٥٨ (الثورة المضادة) فقد أصبحت الممثل شبه الدائم للموارنة في الحكومات!

الكتائب على المحك

حسمت الكتائب اللبنانية (الخط الماروني الثالث) حسمت الوضع داخل الطائفة المارونية لمصلحتها مع بداية حرب ١٩٧٥:

(٢٦) مع استثناء في انتخاب الرئيس سليمان فرنجية ١٩٧٠.

(٢٧) من شارل مالك إلى فؤاد بطرس إلى إيلي سالم إلى غسان تويني!

● **عسكرياً**: بتصديها بنجاح للوجود الفلسطيني المسلح في لبنان، ١٩٧٥ - ١٩٧٦ (على عكس ما كان متوقعاً)!

● **سياسياً**: بقيام الجبهة اللبنانية ١٩٧٦.

● **دستورياً**: بانتخاب بشير الجميل ومن ثمة أمين الجميل لرئاسة الجمهورية ١٩٨٢.

وخلال ثلاثة عشر عاماً من الحرب (١٩٧٥ - ١٩٨٨) راهنت الكتائب (وجناحها العسكري في القوات اللبنانية) على سوريا (١٩٧٦ - ١٩٧٧) ثم على إسرائيل (١٩٧٨ - ١٩٨٢) ثم على الولايات المتحدة (١٩٨٢ - ١٩٨٨).. من دون فرنسا. ومع أن باريس لم تترك مناسبة[٢٨] إلا وسعت لمساعدة اللبنانيين على الوصول إلى حل لمشكلتهم، فقد شعرت فرنسا دائماً أنها مستبعدة عن الحل سواء من جانب القوى المارونية الفاعلة (رئاسة الجمهورية، الكتائب والقوات...) أم من جانب القوى الإقليمية (سوريا وإسرائيل وامتداداتها في لبنان) أم من جانب القوة العظمى (الولايات المتحدة). وعندما شعر الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان أن طبخةً ما ترتّب بين أميركا وكل من سوريا وإسرائيل بشأن لبنان (أيار ١٩٧٦) وكان آنذاك في زيارة واشنطن، اقترح إرسال قوات فرنسية إلى لبنان خلال ٤٨ ساعة. جواب كيسنجر كان متوقعاً «نقبل أن نبحث في الأمر إذا وافقت

(٢٨) نشير فقط إلى بعثتي غورس ودي مورفيل خلال حرب السنتين ومشاركة فرنسا بشكل استثنائي في قوات حفظ السلام في الجنوب بدءاً من ١٩٧٨ ومن ثمة مشاركتها في القوات المتعددة الجنسيات ١٩٨٢. ودورها في أثناء حرب التحرير ١٩٨٩.

على ذلك كافة الأطراف[٢٩]» وهو يعرف أن الرفض سيأتي من «كافة الأطراف» لأن «التعليمات» سترسل إلى الجميع بأن يرفضوا... وهكذا كان! وكرد عليه قررت فرنسا دعم التحالف اليساري - الفلسطيني!

إن شهر العسل السوري - الماروني لم يعمّر طويلاً إذ قطعته زيارة الرئيس السادات للقدس. في هذه المرحلة ألقى الرئيس حافظ الأسد ما يمكن اعتباره أقوى مرافعة عن الموارنة يلقيها زعيم عربي مسلم. ففي خطابه الشهير (٢٠ تموز ١٩٧٦) حذّر دعاة الحسم العسكري في لبنان (الفلسطينيون واليسار) «من بروز مشكلة جديدة في لبنان والمنطقة، مشكلة شعب ما، مشكلة دين ما، مشكلة لبنان، مشكلة جزء من لبنان. مشكلة خطيرة وكبيرة تشغلنا وتشغل المنطقة وتشغل العالم. وستكون مشكلة مقهورين، وسيتعاطف العالم معها لأن العالم يتعاطف دائماً مع المقهورين... وستنشأ دولة لهؤلاء المقهورين، دولة يملؤها الحقد، ويتوارث أبناؤها الحقد نتيجة للقهر... سيكفرون بكل القيم العربية وبكل قيم الإسلام باعتبار الإسلام دين الأكثرية في الوطن العربي... ستنشأ دولة أكثر خطراً وأشد عداء من إسرائيل، لا لأن هؤلاء الناس الذين يعيشون في هذه الدولة هم إسرائيليون أو هم غرباء... إنهم جزء صميم من شعبنا، إنما سيكونون كذلك كنتيجة لمسلسل القهر الذي عانوه[٣٠]».

في خط موازٍ فإن مناحيم بيغن عبّر عن شهر العسل

(٢٩) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٧٦. مصدر سبق ذكره. ص ٣٥٦.
(٣٠) أنطوان خويري - حرب لبنان ١٩٧٦. الجزء الثاني. ص ٧٢١.

الإسرائيلي ـ الكتائبي عندما تعهّد أمام الكنيست «بالدفاع عن مسيحيي لبنان» وقال: «أطلب من الكنيست أن يسمح لي بالتعبير عن القلق العميق على مستقبلهم. كما أؤمن به.. وأعلن هنا بناء على معرفتي وواجبي أننا ملتزمون أدبياً بضمان عدم خوف المسيحيين في الشمال كما في الجنوب وبعدم تدميرهم من قبل أي عدو. أعرف أن هناك من يعارضني الرأي. لكنني متصلب عنده، وأعتقد، أننا لذلك يهود وصهاينة... نحن لا نستطيع أن نقف متفرجين على أي عمل يتعارض مع مواقفنا الإنسانية.. لذلك سنواصل الدفاع عن الأقلية المسيحية[٣١]».

من هذين المقطعين للرئيس حافظ الأسد والسيد مناحيم بيغن يتبين أن المسيحيين في لبنان ،عبر القوى الفاعلة منهم على الأقل، يتعرضون لعملية تجاذب كبرى بين سوريا وإسرائيل. وطبيعي أن يستعمل الطرفان في هذه العملية وسائل الترغيب والترهيب والإقناع. ويتبين لنا أيضاً في ضوء الخطة الكيسنجرية (نظام الخطوط الحمر) أن عملية التجاذب هذه أصبحت أمراً لا مفر منه بين الدولتين. لماذا؟

١ ـ إن التفاهم الذي تم في أيار ١٩٧٦ بين الولايات المتحدة وكل من سوريا وإسرائيل اقتطع لسوريا عملياً سهل البقاع كحيز جغرافي هو بمثابة «منطقة حيوية لأمنها القومي». كما اقتطع لإسرائيل عملياً قسماً من الجنوب (٤٠ كيلومتراً) هو

(٣١) العمل ١٩٨١/٥/١٧.

الآخر بمثابة «منطقة حيوية لأمنها القومي» (من هنا تسمية الحزام الأمني)[٣٢].

٢ ـ بقي القسم الآخر من لبنان الذي يشمل الجبل والعاصمة والذي يسميه كيسنجر «لبنان الأوسط» حيث يشكل المسيحيون قسماً مهماً منه. هذا القسم، وبالتحديد المناطق المسيحية لم تكن يد أي من الدولتين حرة فيها تماماً. وبما أن هذه المناطق أقرب إلى مناطق النفوذ السورية جغرافياً وبشرياً، فقد سعت إسرائيل لوضع ضمانات تمنع سوريا من العمل الحر داخل المناطق المسيحية، وهذا ما عكسته تصريحات موشه دايان وشمعون بيريز ومناحيم بيغن.

فقد حدد موشه دايان (وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق) المبادىء الأربعة التي توجه سياسة إسرائيل حيال لبنان بالقول إنها:

□ـ **منع السيطرة السورية على الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية وعلى المناطق المسيحية.**

□ـ **منع سحق الأقليات المسيحية[٣٣]».**

أما شمعون بيريز (وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق) فقد أشار (كما ذكرنا من قبل) إلى «عدم استعمال الطيران السوري

(٣٢) ليس المقصود بعملية الاقتطاع الضم القانوني للبقاع والجنوب إلى كل من سوريا وإسرائيل وإنما فرض أمر واقع قد يصبح (أو لا يصبح) في المستقبل أمراً قانونياً!

(٣٣) والمبدآن الآخران هما: منع سوريا من تحويل لبنان إلى جبهة جديدة ضد إسرائيل ومنع الإرهابيين الفلسطينيين من العودة إلى جنوب لبنان.. أنطوان خويري. أحداث لبنان ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ مصدر سبق ذكره. ص ٤١٢.

ضد المناطق المسيحية». باعتباره جزءاً من نظام الخطوط الحمر النهائية. رئيس الوزراء مناحيم بيغن قال: «إن إسرائيل لن تقف مكتوفة إذا تعرض المسيحيون في لبنان للخطر... وهذا التعهد بمساعدة المسيحيين في لبنان ينطبق على لبنان كله وليس على جنوب لبنان وحده. ساعدناهم... وسنساعدهم ولن نسمح بتعرضهم لمذابح(٣٤)». هذه «الخصوصية» النسبية للمناطق المسيحية تأكدت من خلال التوافق عام ١٩٧٦ على دخول سوريا المناطق المسيحية حفاظاً على ميزان القوى المختلّ لصالح التحالف اليساري - الفلسطيني. ومن ثمة انسحابها من معظم هذه المناطق (١٩٧٨) بعد حرب المئة يوم. ومنذ ذلك التاريخ أدى التجاذب السوري - الإسرائيلي على الكتلة المسيحية إلى انقسامها وتفتيتها بشكل منهجي وتدريجي. أما الولايات المتحدة فقد كانت معنية، في الدرجة الأولى، بضبط هذا الصراع ضمن حدود وضوابط معينة كي لا يؤدي اندلاعه إلى وقوع مواجهة سورية - إسرائيلية مباشرة.

وهذا ما حصل في حرب زحلة عام ١٩٨١ وكاد أن ينسف نظام الخطوط الحمر عام ١٩٨٢.

ظاهرة ميشال عون: ذروة الصراع الأميركي - الفرنسي على لبنان

يمكن تفسير ظاهرة العماد ميشال عون(٣٤) العسكرية - الشعبية بأنها أشبه بانتفاضة مثلثة الأهداف:

---

(٣٤) أنطون خويري. أحداث لبنان - الجزء ٩ - ١٩٨٠ ص ٨٩.

(٣٤) قائد الجيش اللبناني السابق عينه الرئيس أمين الجميل رئيساً لحكومة عسكرية انتقالية في ٢٢/٩/١٩٨٨ بعد تعذر انتخاب رئيس جمهورية لبناني جديد.

□- الثأر من التيار الماروني الثالث (الكتائبي - القواتي) الذي احتكر، عملياً، تمثيل المسيحيين طوال زمن الحرب، على يد التيار الماروني الثاني، الذي ينتسب إليه العماد عون، والذي كان في شبه إقصاء عن مراكز القرار منذ زمن بعيد... منذ الأربعينات.

□- الثأر من القوى الإقليمية (خاصة سوريا) بأسلوب حرب التحرير.

□- الثأر من السياسة الأميركية في لبنان (سياسة الخطوط الحمر) بدعم ورعاية وتشجيع فرنسا التي أقصيت عن «الساحة المارونية واللبنانية» بفعل السياسة الأميركية وحلفائها اللبنانيين والإقليميين.

إن العماد عون شكّل أول إمكانية حقيقية لقلب التوازن داخل الكتلة المسيحية لغير صالح الخط الكتائبي - القواتي:

شرعياً: هو رئيس حكومة دستورية يجمع بين يديه كل السلطة الإجرائية.

عسكرياً: هو القائد العام للجيش ولديه القسم الأكثر فاعلية فيه.

وطنياً: من خلال إعلانه «حرب التحرير» ضد القوى الأجنبية وهو توجه ماروني بامتياز!

وشعبياً: بفضل التعبئة التي أطلقها بين المواطنين والتي أعاد فيها صياغة الخطاب الماروني التاريخي بما فيه من: هوية وخصوصية. وطوباوية!

ويمكن اختزال تجربة العماد عون بمرحلتين:

١ - مرحلة الصعود (١٩٨٨ - أيار ١٩٨٩) وشهدت التعبئة

الشعبية وإعلان حرب التحرير (١٤/٣/١٩٨٩) وتميّزت على المستوى الدولي بعملية استغلال مزدوج:

● استغلال فرنسي لحركة العماد عون لتأكيد دور ونفوذ فرنسا في لبنان.

● استغلال أميركي لحركة العماد عون لدفع الرئيس حافظ الأسد لتقديم تنازلات في موضوع الصراع العربي - الإسرائيلي إزاء التنازلات التي قدمتها منظمة التحرير الفلسطينية من خلال الحوار الأميركي - الفلسطيني وذلك مقابل تثبيت أميركا للدور السوري في لبنان. وقد تم ذلك في مؤتمر القمة في الدار البيضاء (٢٣/٥/١٩٨٩) الذي وصفه جورج حبش بأنه مؤتمر «انهيار النظام العربي واستسلامه بالكامل[٣٥]».

٢ - مرحلة التراجع (أيار ١٩٨٩ - تشرين الأول ١٩٩٠) وقد شهدت بالإضافة إلى مؤتمر القمة العربي، أول بيان رسمي بين الجبارين حول لبنان منذ اندلاع الحرب عام ١٩٧٥[٣٦]» وبروز تفاهم أميركي - سوفياتي في لقاء دنيس روس مدير التخطيط في الخارجية الأميركية وغينادي تاراسوف نائب وزير الخارجية السوفياتي (أيلول ١٩٨٩). في إحدى العواصم الأوربية[٣٧].

وبعد أن «كوّعت» أميركا لأن «مشوارنا مع العماد مرحلي

(٣٥) السفير ٢٤/٥/١٩٨٩.
(٣٦) البيان الأميركي - السوفياتي حول لبنان ١٢/٥/١٩٨٩ (بيكر - شيفارنادزه). السفير ١٣ - ٥ - ٩٨٩
(٣٧) السفير ١٢/٩/١٩٨٩.

فقط[٣٨]» كما صرّح السفير الأميركي مكارثي في بيروت استمرّ العماد في خطه مدعوماً من فرنسا ومتّكلاً على «الرافعة المارونية» - في ظل اختلال كامل لميزان القوى الدولية. وفي حين عادت فرنسا فعدَّلت موقفها العملي إزاء الأزمة اللبنانية، في ضوء ميزان القوى الجديد، حتى وإن لم تستطع تعديل موقفها العاطفي، استمر العماد عون في خطه المبدئي - الطوباوي. وكان طبيعياً أن تصل الأمور به إلى مأزقين (إلى طريقين مسدودين):

مأزق سياسي: من خلال اتفاق الطائف باعتباره إعادة صياغة لاتفاق كيسنجر ١٩٧٦ في طبعته الأولى وبمباركة سوفياتية هذه المرة، أي: إعادة سوريا وإسرائيل إلى «مناطقهما الأمنية» في كل من البقاع والجنوب... بانتظار حل الصراع العربي - الإسرائيلي مع توزيع جديد للسلطة بين الطوائف اللبنانية في لبنان الأوسط انطلاقاً من «بيروت الكبرى». أليس من المفارقات في اتفاق كهذا أن تكون سفيرة أميركية (غلاسبي) وراء توزيع السلطات اللبنانية في الثمانينات... وهي التي تم توزيعها على اللبنانيين بواسطة الفرنسيين في العشرينات!

مأزق عسكري: تمثل في وجهه الأول بما عرف «بحرب الإلغاء» بين الجيش و«القوات اللبنانية باعتبارها إمكانية الثأر الوحيدة المتاحة والممكنة ربّما، لدى تيار العماد عون من الخط الماروني الآخر، (الكتائبي - القواتي) بعد الوصول إلى حائطين مسدودين: تجاه سوريا وتجاه الولايات المتحدة.

(٣٨) السفير ١٤/٩/١٩٨٩.

وهذا المأزق انتهى بأحداث ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠ المفجعة، حين سمحت أميركا لسوريا وبإغضاء إسرائيلي، بتجاوز الخطوط الحمر واستعمال الطيران ضد القصر الجمهوري. ومن ثمة لجوء العماد عون إلى السفارة الفرنسية في لبنان.

الخلاصة: إن أفضل تقييم لسياسة فرنسا في لبنان والمنطقة هو قول إليزابيت بيكار (Elizabet Picard) «إن تناقضات السياسة الفرنسية في لبنان والمنطقة ناشئة عن رغبة القادة الفرنسيين بالحفاظ على كل شيء والتوفيق بين ما ليس متوافقاً (Reconcilier L'inconciliable): علاقة مميزة مع الفلسطينيين وصداقة حميمة لإسرائيل، وحماية المسيحيين في لبنان، وعلاقة جيدة مع سوريا والعرب عموماً. إنهم يتجنبون الخيار بين هذه المتناقضات وهو خيار لا مفر منه. لأن فرنسا تحاول دائماً أن تتمايز عن سياسة أميركا المسيطرة لتبرهن لأوربا وأميركا أن لها سياسة خاصة في الشرق الأوسط وأنها قوة عظمى.. وغالباً ما يدفع أصدقاؤها ثمن هذه السياسات(٣٩)».

فهل إن سياسة فرنسا البرو ـ أطلسية الجديدة، والتي برزت ملامحها خلال وبعد حرب الخليج، ستلغي الثمن الذي دفعه ويدفعه أصدقاؤها حتى الآن؟ أم أن قول رولان دوما «بأن سياسة الجنرال ديغول العربية لم تكن سوى مجموعة من الأوهام(٤٠)» هو إيذان بتدفيع هؤلاء الأصدقاء وخاصة اللبنانيين، الثمن مضاعفاً؟!

---

(٣٩) من حديث الباحثة المتخصصة في شؤون لبنان وسوريا للدكتور عصام خليفة الديار ١٧/٥/١٩٩٠.

(٤٠) تصريح لصحيفة لوموند ١٢/٣/١٩٩١. Le Monde 12/3/91.

الفصل الرابع

الخروج من «قدريّة» النظام الكيسنجري!

«القدرية هي القوة الفوق ـ طبيعية التي ترسم مسار الأحداث»(١). ليس كيسنجر بالتأكيد «سوبرماناً» صاحب قوة فوق ـ طبيعية، ولكنه بالتأكيد رجل فكر استراتيجي غير عادي وهذه حقيقة يعترف بها أصدقاؤه وخصومه على السواء. واستراتيجية كيسنجر ليست «القضاء والقدر» ولكنها من التماسك والثبات والفعالية بحيث يبدو من الصعب جداً اختراقها أو استبدالها أو تخطيها بسهولة. إن المصداقية في استراتيجية كيسنجر عامة، وفي موضوع لبنان خاصة، تنطلق من اجتماع ثلاثة عناصر جوهرية:

- □ـ البعد الفلسفي الذي التزم به والذي يخضع قدرية التاريخ ذاتها لإرادة القيادة الفذة التي تصنع قدر الشعوب والتاريخ.
- □ـ البعد الجيو ـ استراتيجي الذي يشدد على الترابط الجدلي بين الجغرافيا والتاريخ.
- □ـ البعد السياسي كجامع بين البعدين السابقين من خلال «البحث عن الجديد ورؤيته بالبصيرة» بحسب تعريف كيسنجر للسياسة(٢).

---

(١) تعريف معجم لاروس LAROUSSE.

(٢) راجع كلامنا على فكره السياسي: استراتيجيته السياسية.

متى يبلغ رجل الدولة ذروة التبصّر السياسي (Prévoyance Politique)؟ يقول فريدريك راتزل: «إنه من الضروري التفريق في موضوع الأهمية السياسو - جغرافية للحيزات (Espace) الستراتيجية بين نوعين من القيم: القيم الكامنة (Latente) والمستمرة (Permanente) (من جهة) والقيم المحققة (Réalisée) والمحيّنة (Actualisée) (من جهة ثانية). ويجب على التحليل الجغرافي أن يحسن فصل العامل التاريخي من ضمن هذه القيم بحيث أن ما هو مرتبط بعصر معيّن وبمستلزماته، وبمستواه الثقافي يهمل ويسقط (ويُتمسّك بما هو كامن وثابت). أن نحسن القيام بعملية الفصل هذه بشكل عملي، ففي مثل هذا تكمن ذروة البصيرة السياسية[٣] (Le Sommet de la Prevoyance Politique).

ما يقوله راتزل باختصار، هو أن جغرافية الدول والعالم تحوي نقاطاً متنوّعة ومختلفة ليست كلها بذات الأهمية السياسو - جغرافية. فبعضها وهو الأهم، له، بسبب موقعه وشكله وثرواته... قيم كامنة وثابتة. وبعضها الآخر وهو الأقل أهمية يتّخذ له في ظروف تاريخية معينة أهمية محققة (مصنوعة وغير كامنة) ومحينة (أي حالية وغير ثابتة) بحيث إذا تغيرت هذه الظروف، فقدت هذه النقاط الارتكازية أهميتها. وفي رأي راتزل أن رجل السياسة أو رجل الدولة الناجح: بمقدار ما يستطيع التفريق بين هذين النوعين من القيم وبالتالي بمقدار ما يربط خياراته (سياسته) بما هو ثابت، يكون رجل رؤية سياسية ناجحة ورجل تبصر

(٣) F. Ratzel. op. cit. p.113.

سياسي فعّال إذ بمثل هذه «العملية» يكون قد جمع في آن: فلسفته التاريخية ومعرفته الجغرافية وحنكته السياسية.

وإذا فكرنا ملياً في استراتيجية كيسنجر (أو في الجزء من استراتيجيته) الخاص بلبنان، لوجدنا أن التعبير العملي عن هذه الستراتيجية في «نظام الخطوط الحمر» يستجيب لهذه المستلزمات. فهو لم يحاول أن «يغري» كلاً من سوريا وإسرائيل بأمور ثانوية ومرحلية وعارضة في لبنان. بل أنه ربط وجودهما فيه بقيم سياسو - جغرافية تتعلق بصميم مصالحهما الستراتيجية وهي قيم ثابتة ومستمرة: الأرض والمياه (خاصة المياه) والأمن والنفوذ الإقليمي (على أن يبقى للولايات المتحدة دور المشرف والحَكَم) بحيث أصبحت كل من سوريا وإسرائيل تعتبر أو وجودها في لبنان هو تعبير عن مصالحها الستراتيجية (الحيوية) وأن خروجها من لبنان هو طعنة في صميم هذه المصالح. ومما زاد في تجذير وتبرير الوجودين السوري والإسرائيلي في لبنان أنه بالإضافة إلى «الشرعية» الأميركية لهذا الوجود أضيفت الشرعية العربية إلى الوجود السوري من خلال الجامعة العربية وعكست مفاعيلها بشكل غير مقصود على الوجود الإسرائيلي لأن كيسنجر الخبير بأصول التوازن السياسي (توازن المصالح) ربط بشكل جدلي بين الوجودين السوري والإسرائيلي في لبنان: يبقيان فيه سوية أو يخرجان سوية. وكل إخلال بهذه المعادلة هو إخلال بنظامه المتوازن. (نظام الخطوط الحمر). وهذا التوازن يزيدهما إصراراً على البقاء فيه وبالتالي يجعل من نظام كيسنجر اللبناني أشبه «بالقضاء والقدر» الذي لا مخرج منه. يضاف إليه أن هذا

«النظام» هو من القوة والفعالية السياسية بحيث صار يصعب على السياسة الأميركية ذاتها أن تجد بديلاً له خاصة وأن هذا النظام أصبح جزءاً عضوياً من السياسة الأميركية مرتبطاً بالصراع العربي ـ الإسرائيلي. ولهذا يمكن القول، بل الجزم، إن السياسة الأميركية تجاه لبنان هي منذ العام ١٩٧٦ حتى الآن (مع بعض التعديلات الشكلية البسيطة) سياسة كيسنجر أي: سياسة «نظام الخطوط الحمر».

الفرصة الوحيدة.. الضائعة!

هل تهيّأت للبنانيين فرصة (وإمكانية) للخروج من «قدرية» النظام الكيسنجري؟

هناك ثلاث إمكانيات لكسر «قدرية» النظام الكيسنجري في لبنان:

الأولى: المقاومة الفعّالة مما يفترض طرح المسألة الوطنية ببعدها التاريخي الحقيقي، وبالتالي بحدٍ أدنى من الإجماع اللبناني المدعوم عربياً ودولياً وهذا يرتبط باستقلالية القرار الوطني اللبناني. وهي أمور يصعب تحقيقها في ظل الوضعية اللبنانية إلا بشكل مجزوء وفئوي مما يجعل مردود المقاومة نسبياً ومحدوداً[٤].

الثانية: انهيار التفاهم الذي تم عام ١٩٧٦ برعاية كيسنجر، حول التواجد السوري والإسرائيلي في لبنان ذلك أن وجود هذا التفاهم لا يلغي التنافس والعداوة بين سوريا

(٤) سنعود في هذا الفصل إلى نموذج من هذه المقاومة في تجربة العماد ميشال عون.

وإسرائيل. لذلك، ولأسباب موضوعية متّصلة بمسار الصراع العربي ـ الإسرائيلي والوضع داخل لبنان، والوضعية الدولية، ونوعية السلطة في البلد (وجود شارون في حقيبة الدفاع في إسرائيل مثلاً)... كل ذلك قد يدفع بأطراف التفاهم إلى النزاع... أي إلى تخطي كل منهما (أو أحدهما) للخطوط الحمر مما يشكل مشروع حرب إسرائيلية ـ سورية انطلاقاً من لبنان. ولهذا كان كيسنجر حريصاً جداً على مراقبة هذا التواجد والحفاظ على هذا التفاهم من الانهيار. ولهذا يقول وليم كوانت: «الأميركيون يسلّمون بالتقاسم الإقليمي للبنان. ولكن المشكلة الستراتيجية التي تقلق أميركا ليست في الوضع الداخلي في لبنان، بل في التوازن بين دمشق وتل أبيب والحفاظ عليه، منعاً لنشوب الحرب[٥]».

الثالثة: وهي الإمكانية الأهم، لأنها أساس الإمكانيات، حدوث تغيير جوهري في السياسة الأميركية بالنسبة للنظرة إلى لبنان وعلاقته بمحيطه (سوريا وإسرائيل). وهذا التغيير المطلوب هو بالضبط نقيض النظرة الكيسنجرية أي أنه ينطلق من مقولة أن الاستقرار في لبنان والمنطقة ليس ممكناً إلا بإخراج كافة القوى الأجنبية من لبنان: الإسرائيليون والسوريون (وكذلك الفلسطينيون والإيرانيون...) والحقيقة أن تغييرين مُلْفِتَيْن حدثا في السياسة الأميركية حيال لبنان:

□ الأول في بداية عهد الرئيس كارتر عام ١٩٧٨ وتمثل بالقرار ٤٢٥. الصادر عن مجلس الأمن الدولي (١٩/٣/١٩٧٨).

(٥) الأسبوع العربي عدد ١٤٥٠، ٢٧/٧/١٩٨٧.

□ والثاني في بداية عهد الرئيس ريغان عام ١٩٨٢ وتمثل بمشروع فيليب حبيب.

كارتر: من القرار ٤٢٥.. إلى كامب ديفيد.

فالرئيس كارتر طالما انتقد السياسة «اللاأخلاقية» التي اعتمدها كيسنجر إزاء لبنان. حتى أن العميد إده توسم خيراً في هذا الرئيس الجديد للولايات المتحدة الذي ينام والكتاب المقدس تحت وسادته. ولدى الاجتياح الإسرائيلي للجنوب ١٩٧٨ (عملية الليطاني)، ومع أن هذه العملية تدخل ضمن منطقة النفوذ (Zone d'influence) الإسرائيلي بموجب نظام كيسنجر (لوقوعها ضمن مدى ال ٤٠ كلم عن حدود إسرائيل) فقد أصرّت إدارة كارتر على استصدار قرار سريع من مجلس الأمن (قرار رقم ٤٢٥) «باحترام وحدة وسيادة واستقلال لبنان السياسي. وأن تسحب إسرائيل قواتها دون إمهال من كامل الأراضي اللبنانية، وأن تنشأ قوة دولية مؤقتة لجنوب لبنان لتأكيد الانسحاب الإسرائيلي ومساعدة الحكومة اللبنانية على تأمين عودة سلطتها الفعلية إلى المنطقة[٦]».

لقد شكّل قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ قيداً نظرياً على إسرائيل وعلى حرية حركتها وتصرفها في قسمٍ من الجنوب بموجب اتفاق كيسنجر، كما شكّل سابقة دولية تلزم إسرائيل بالانسحاب من كامل الأراضي اللبنانية. ومما زاد في أهمية القرار مشاركة فرنسا

(٦) د. سليم حداد. قوات الأمم المتحدة المؤقتة العاملة في لبنان. المؤسسة الجامعية. بيروت ١٩٨١. ص ٧٦.

في قوات حفظ السلام. فما رفضه كيسنجر من اقتراح جيسكار ديستان عام ١٩٧٦، عاد ديستان فحققه جزئياً عام ١٩٧٨ وهو يقول: «يجب أن يعلم مواطنو لبنان الذين عانوا الكثير أنهم ليسوا وحدهم وأن الشعب الفرنسي لن يتخلى عن عطفه نحوهم[٧]».
لكن الرئيس كارتر، على عادة الرؤساء الأميركيين، ابتدأ بشيء وانتهى بنقيضه: ابتدأ بالقرار ٤٢٥ وانتهى باتفاقات كامب ديفيد... ابتدأ بمدخل للسلام الشامل من خلال القرار ٤٢٥ وانتهى بمدخل للسلام المنفرد باتفاقات كامب ديفيد التي هي ذروة التجسيد العملي لسياسة هنري كيسنجر في المنطقة. والشيء المهم في موقف كارتر (إدارته) أنه لم يكن نابعاً من «روحية الكتاب المقدس» «والعطف على الشعب اللبناني» بمقدار ما كان فرصة حاولت إدارة كارتر أن تستغلها لوضع قسم من مخططها «لإحلال السلام» في الشرق الأوسط موضع التنفيذ إذ ورد في هذا المخطط «من المحتمل أن تكون الحدود بحاجة إلى مناطق منزوعة السلاح تحت مراقبة قوات تابعة للأمم المتحدة من أجل المحافظة عليها[٨]».

غير أن تصميم كارتر، في بداية ولايته، على إيجاد حل شامل لمشكلة الشرق الأوسط (مع دفاعه عن حقوق الإنسان وفي جيبه نسخة من الكتاب المقدس كما يقول العميد إده) هذا

(٧) من رسالة الرئيس الفرنسي إلى الرئيس الياس سركيس. Le Figaro .24/3/1978

(٨) د. سليم حداد. مصدر سبق ذكره. ص ٩١. نقلاً عن:
«Report of a Study Group, Toward peace in the Middle East» .p.2

التصميم انقلب كارثة على لبنان، ويشرح جوناثان راندل (مراسل الواشنطن بوست) ذلك بالقول: «إن أميركا لا تريد أن يحصل أي تغيير هام في الشرق الأوسط، دون رضاها، كما أنها من القوة بحيث تستطيع منع لبنان من التسبب في حرب جديدة شاملة في المنطقة. إلا أن هذه السياسة تعادل القضاء على لبنان. فهذا أحد البنود السرية والأساسية لاتفاقات فصل القوات في سيناء (التي رعاها كيسنجر) ولمباحثات كامب ديفيد ١٩٧٨ (التي رعاها كارتر). وحيث أن الجهود الأميركية للتوصل إلى اتفاق شامل في المنطقة بقيت في نقطة الصفر. فقد بقي لبنان، بغياب هذا الاتفاق، ساحة تتبارى فيها القوى كافة[٩]». لهذا أمكن القول «إن استراتيجية كامب ديفيد هي في الجوهر امتداد لديبلوماسية كيسنجر[١٠]».

مشروع فيليب حبيب*: الانقلاب على كيسنجر

إذا كان الرئيس كارتر أوجد تغييراً جزئياً في السياسة الأميركية الكيسنجرية تجاه لبنان، في أول ولايته، وسرعان ما عاد إلى تبني هذه السياسة في تكتيكها (السلام المنفرد بين إسرائيل ومصر) وفي أسلوبها (الخطوة خطوة) وفي نتائجها (تفتيت لبنان)... فإن الفرصة الوحيدة، التي شكّلت تغييراً جوهرياً في

---

(٩) جوناثان راندل. مصدر سبق ذكره. ص ١٤٩.

(١٠) مالكوم كير. السياسة الأميركية في الشرق الأوسط. مصدر سبق ذكره. ص ١٩٣.

(*) فيليب حبيب: سياسي أميركي مخضرم لبناني الأصل. ممثل شخصي للرئيس ريغان. مبعوث رئاسي. وكيل وزارة الخارجية السابق للشؤون السياسية.

السياسة الأميركية تجاه لبنان، والتي تمثّل انقلاباً حقيقياً على نظام كيسنجر، هذه الفرصة تجسّدت في مشروع فيليب حبيب (١٩٨١ - ١٩٨٢) والذي جاء إثر أزمة حقيقية (سورية - إسرائيلية) هدّدت «نظام الخطوط الحمر»:

١ - شهدت بداية الثمانينات صعوداً للقيادات الراديكالية في معظم الساحات الدولية والإقليمية والمحلية المؤثرة مباشرة على لبنان:

- ◻ـ في الولايات المتحدة ثنائي رونالد ريغان - ألكسندر هيغ.
- ◻ـ في الاتحاد السوفياتي ثنائي أندروبوف + K.G.B.
- ◻ـ في إسرائيل ثنائي مناحيم بيغن - أرييل شارون.
- ◻ـ في سوريا تصليب لموقف الرئيس الأسد مدعوماً من أندروبوف.
- ◻ـ وفي لبنان «صعود لا يقاوم للشيخ بشير الجميل» بدعم من إسرائيل.

هذا النوع من القيادات الراديكالية يرتاح عادة (ويتبنّى) السياسات الأيديولوجية أكثر مما يرتاح (ويتبنى) للسياسات البراغماتية.

٢ - في هذه المرحلة (١٩٨١ - ١٩٨٢) تعرِّض نظام الخطوط الحمر الكيسنجري لنكسة حقيقية كادت أن تودي بتفاهم ١٩٧٦. فلقد كاد لبنان أن يتسبب بحرب سورية - إسرائيلية كيف؟:

- ◻ـ حرب زحلة (١٩٨١) دفعت سوريا إلى استعمال طيران الهليوكوبتر ضد القوات اللبنانية.
- ◻ـ إسرائيل أسقطت طائرتين سوريتين. (من نوع الهليكوبتر).

□ـ أدخلت سوريا صواريخها (أرض ـ جو) إلى سهل البقاع.

□ـ هددت إسرائيل بتدمير الصواريخ ودعت لسحبها وتأزم الوضع باتجاه مجابهة حقيقية.

□ـ أرسلت الولايات المتحدة فيليب حبيب لحل النزاع وتجنُّب اندلاع حرب بين الجانبين عبر لبنان.

هذا التطور وضع نظام ١٩٧٦ على المحك وكاد أن يفرط التفاهم السوري ـ الأميركي ـ الإسرائيلي. وإذا كان فيليب حبيب قد تمكن من نزع فتيل الانفجار، فإن «المواد المشتعلة» ظلت في مكانها: الصواريخ السورية في البقاع والطائرات الإسرائيلية متأهبة في مطاراتها.

٣ ـ العامل الثالث هو حدوث الاجتياح الإسرائيلي للبنان (حزيران ١٩٨٢). وهو اجتياح عنوانه «سلامة الجليل» أي أنه حرب ضد الفلسطينيين وليس ضد سوريا. ورسالة بيغن إلى الرئيس الأسد (عبر فيليب حبيب) تؤكد التزام إسرائيل المبدئي باتفاق ١٩٧٦ (رسالة ١٩٨٢/٦/٩) وفيها «أن إسرائيل لا ترغب في خوض حرب ضد الجيش السوري وتطلب من سوريا إبعاد «المخربين إلى قطاع عمقه ٤٠ كلم من الحدود الإسرائيلية في سهل البقاع[١١]». لقد أكد بيغن لفيليب حبيب أنه لا يمانع في «استمرار الوضع السائد حالياً بين إسرائيل وسوريا: لا سلم فعلاً ولكن من دون حرب فعلية، عندها يعرف كل طرف «الخطوط

(١١) شلومو نكديمون ـ مناحيم بيغن ضلل. شارون يسيطر. إيديعوت أحرونوت ١٩٨٥/٥/٣١. وردت في «إسرائيل وتجربة حرب لبنان». مؤسسة الدراسات الفلسطينية. نيقوسيا ١٩٨٦ ص ٥٤.

الحمر» للطرف الآخر[١٢]». وتوجه بيغن في خطابه أمام الكنيست للرئيس الأسد معلناً: «إن إسرائيل لا تريد حرباً ضد سوريا. فإذا حققنا خط ٤٠ كلم إلى الشمال من حدودنا، نكون قد أنجزنا المهمة[١٣]».

لكن منذ اليوم الأول للحرب كان هناك «اتجاهان أساسيان داخل الحكومة الإسرائيلية: بيغن ومعه معظم الوزراء يدعو إلى عدم التورط في مواجهة مع السوريين، واتجاه وزير الدفاع شارون الذي كان يرى أن الصدام مع السوريين أمر لا مفر منه ولا بد منه[١٤]» وهو ما نفذه شارون «باشتباك مع الجيش السوري قرب جزين مما استدعى قراراً من الرئيس الأسد إدخال بطاريات صواريخ جديدة إلى لبنان الأمر الذي استغله شارون ليضرب البطاريات السورية في سهل البقاع المنصوبة منذ عام ١٩٨١[١٥]» بعد معركة جوية هي الأضخم في تاريخ المنطقة إذ شارك فيها نحو مايتي طائرة من الجانبين السوري والإسرائيلي. إن شارون لم يخفِ أبداً هدفه من تعمّد الصدام مع السوريين وهو «تأليف حكومة شرعية في لبنان تكون جزءاً من العالم الحر وتعيش في سلام مع إسرائيل[١٦]».

خلاصة ما ينبغي استنتاجه من ذلك، ومن التطورات العسكرية والسياسية على الأرض، هي أن الحكومة الإسرائيلية

(١٢) المصدر السابق. ص ٥٥.
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) المصدر السابق ص ٥١.
(١٥) المصدر السابق ص ٥٦.
(١٦) المصدر السابق ص ٥٤.

(تيار بيغن) وضع حرب سلامة الجليل من ضمن نظام الخطوط الحمر الكيسنجري أي في ضوء تجديد التفاهم على الكوندومينيوم الإسرائيلي - السوري في لبنان بواسطة الولايات المتحدة[١٧] وضمن مطلبين: ضرب التواجد الفلسطيني (العسكري والسياسي والفكري والإعلامي) في لبنان (لأن قطع رأس المنظمة في لبنان يؤثر على جسمها في الضفة الغربية وقطاع غزة)، وتعديل التوازن في السلطة اللبنانية نحو المزيد من اللاعدائية ضد إسرائيل. وأيّد حزب المعراخ هذا التوجه مؤمّناً «الإجماع» الضروري للحروب الإسرائيلية. أما وزير الدفاع شارون فقد جعل من حرب «سلامة الجليل» مدخلاً للخروج على نظام كيسنجر بسحق الفلسطينيين وإخراجهم من لبنان ودفع السوريين إلى الانسحاب إلى الأطراف الشمالية من البقاع والشمال والهيمنة على «لبنان الأوسط» بعد لبنان الجنوبي وإقامة سلطة مقبولة من إسرائيل وغير مقبولة من السوريين أي: وضع اليد على السلطة اللبنانية وتهميش الدور السوري في لبنان وهو أمر لا يمكن للسوريين أن يقبلوا به كما أنه لا يحظى بالإجماع داخل إسرائيل نفسها. في هذه النقطة أصبح دور الولايات المتحدة عبر موفدها فيليب حبيب حاسماً!

٤ - العامل الرابع هو عامل ذاتي متصل بفيليب حبيب ذاته: كونه مسيحياً لبنانياً له نظرته الخاصة إلى المشكلة اللبنانية وإلى طريقة حلها وكونه يحظى بثقة مطلقة من الرئيس ريغان ليحدد السياسة المناسبة التي يفترض أن تنتهجها الولايات المتحدة تجاه القضية اللبنانية. إن مشروع فيليب حبيب سيكون بالتأكيد

(١٧) راجع المصدر السابق. ص ٥١.

خلاصة قناعاته التي هي قناعات «غربية» على الإدارة الأميركية التي معظمها برو - إسرائيلي وأقلها برو - عربي وليس فيها، ربّما، سوى فيليب حبيب برو - لبناني:

□- يعتبر فيليب حبيب المشكلة اللبنانية «مشكلة هوية لبنانية يفترض إعادة بنائها بعد أن سعى البعض إلى تدميرها. واللبنانيون لن يسمحوا بتدميرها. فالعالم يعرف جيداً أن هناك بلداً اسمه لبنان وأن هناك دولة ووطناً وشعباً فيه، شعباً له مصلحة مشتركة على رغم الخلافات التي قسمته بقسوة[١٨]». «ولا سلام في لبنان إلا باستعادته سيادته وقراره المستقل».

□- ويرى فيليب حبيب «أن لبنان رغب دائماً في أن يكون دولة مستقلة وهذه حقيقة أساسية لا ينفع ولا ينبغي تجاهلها من أحد[١٩]».

□- إن السياسة الأميركية كما يراها ويفهمها وينفذها فيليب حبيب تجاه لبنان هي «سياسة مبنية على المبادىء الأساسية لاستقلال وسلامة أراضي البلاد. وما تريده أميركا دائماً هو لبنان محرَّر من كل احتلال خارجي. فأنا لم أدافع عن أطروحة إلا هذه الأطروحة[٢٠]».

□- في ضوء هذه القناعات «حدد فيليب حبيب أهدافه في لبنان منذ العام ١٩٨١ (منذ أزمة الصواريخ) واجتهد في جعلها اهدافاً اميركية ونجح في ذلك عندما اصبح مندوباً مسموع الكلمة لدى الرئيس ريغان ومطلق الصلاحية في موضوع الأزمة اللبنانية. وهذه الأهداف هي:

(١٨) النهار ١٩/١١/١٩٩٠.
(١٩) Politique Internationale. N°28 ÉTÉ 1985. p.12.
(٢٠) op. cit. p.10.

أولاً: جعل لبنان خالياً من جميع القوات الأجنبية.
ثانياً: الاعتراف بحدوده الدولية.
ثالثاً: مصالحة بين الطوائف لتقوية نفوذ السلطة المركزية اللبنانية وخاصة في موضوع الأمن.
رابعاً وأخيراً: دعم دولي واضح وإنما نزيه لا يخلق شكلاً آخر من أشكال التدخل في شؤونه الداخلية[٢١]».

□ـ عندما وقع الاجتياح الإسرائيلي للبنان ترجم فيليب حبيب هذه القناعات وهذه الأهداف في مشروعه الذي اعتبره الرئيس ريغان «**استراتيجية أميركا الجديدة في لبنان**» والقائم على:

١ ـ إقناع الفصائل المسيحية والمسلمة المتنافسة في لبنان بالاجتماع والتصالح.
٢ ـ العمل معاً على نزع سلاح منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان.
٣ ـ الطلب إلى منظمة التحرير وإسرائيل وسوريا الخروج من لبنان[٢٢].
٤ ـ تقوم الأسرة الدولية بالمساعدة على تطبيق هذا الاتفاق[٢٣]».

ويورد وزير الدفاع السوري العماد مصطفى طلاس المشروع العملي لفيليب حبيب على لسان ناطق باسم الخارجية الأميركية

(٢١) op. cit. p.13.
(٢٢) ذكر أكثر من مصدر أن فيليب حبيب حدد نهاية العام ١٩٨٢ آخر موعد لخروج كل القوات الأجنبية من لبنان ـ شيمون شيفر، كرة الثلج، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ ص ٢٥٧.
(٢٣) مذكرات ريغان «حياة أميركية» الحياة ١٩٩٠/١١/٢٩.

بتاريخ ١٩٨٢/١/٢٨ على الشكل التالي:

١ ـ نشر الجيش اللبناني في العاصمة.
٢ ـ إنهاء الوجود العسكري الفلسطيني داخل بيروت وحولها.
٣ ـ انسحاب جميع القوات الأجنبية أي القوات الإسرائيلية والسورية.
٤ ـ إقامة حكومة لبنانية قوية[٢٤]».

ولقد تمكّن فيليب حبيب، كما يقول الرئيس ريغان، من أخذ موافقة جميع الأطراف على خطتنا التي تقضي بوقف إطلاق النار وانسحاب منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان تحت إشراف دولي وانسحاب الجيشين السوري والإسرائيلي تالياً[٢٥]». «فلقد أقر بيغن وحكومته هذه الخطة التي اقترحناها عليه بعد عودته من واشنطن (حزيران ١٩٨٢)[٢٦]».

□ـ وشرح فيليب حبيب للرئيس ريغان وإدارته مبررات مشروعه بالقول: «إن الشرق الأوسط متفجر ويصعب التكهن بتطوراته. وإن الوقت ثمين جداً. فمن الضروري تحقيق انسحاب جميع القوات الأجنبية (من لبنان) بأسرع ما يمكن ـ وإلا خسرنا فرصة تاريخية لسلام دائم في الشرق الأوسط. وكلما طالت العملية

(٢٤) العماد مصطفى طلاس. الغزو الإسرائيلي للبنان. مؤسسة تشرين. دمشق ١٩٨٣. ص ٣٠٥.
(٢٥) مذكرات ريغان مصدر سبق ذكره. الحياة، ١٩٩٠/١١/٣٠.
(٢٦) المصدر السابق. الحياة ١٩٩٠/١١/٢٩.

أصبح من الصعب تحقيق السلام بسبب تعاظم نفوذ الأجنحة الراديكالية(٢٧)».

□ـ الرئيس حافظ الأسد، «أعلن موافقته على كل ما تقرره الأطراف اللبنانية بالنسبة لموضوع انسحاب قوات الردع السورية من لبنان(٢٨)». ومندوب لبنان إلى اجتماع وزراء الخارجية العرب في المغرب (جوزف أبو خاطر) «قدم ورقة عمل طالب فيها بانسحاب كل القوات الأجنبية من لبنان(٢٩)». ومؤتمر القمة العربية في فاس «أنهى مهات قوات الردع العربية في لبنان وربط انسحابها بانسحاب القوات الإسرائيلية(٣٠)».

□ـ استعان فيليب حبيب بأداة عسكرية دولية (القوات المتعددة الجنسيات) لتنفيذ مشروعه وحقق الشق الأول منه (ترحيل المقاتلين الفلسطينيين والجيش السوري من بيروت). واعتمد بالمقابل على رهان سياسي داخلي بإيصال بشير الجميل إلى رئاسة الجمهورية على قاعدة أن يتبنى بشير مشروعه (الأميركي) لا مشروع شارون (الإسرائيلي). خطأ بشير هو في اعتقاده أن بإمكانه المراهنة عسكرياً على إسرائيل والمراهنة سياسياً على الولايات المتحدة مما جعله مكشوفاً للخطر. فإسرائيل ليست من الصنف الذي يزرع ويترك غيره يقطف الثمر. وبعد لقاء نهاريا(٣١)، تأكد بيغن

(٢٧) المصدر السابق.
(٢٨) المستقبل ١٩٨٢/٥/٧.
(٢٩) العلاقات اللبنانية ـ السورية. سادر. ١٩٨٦ ص ٤٢٢.
(٣٠) المصدر السابق. (١٩٨٢/٩/١٠).
(٣١) لقاء نهاريا بين الرئيس المنتخب بشير الجميل وبيغن وشارون في أوائل أيلول ١٩٨٢.

وشارون أن بشيراً تملص، ليس فقط، من «مشروع شارون» بل حتى من نظام ١٩٧٦ (كيسنجر)، وتبنّى مشروع فيليب حبيب بالكامل. لكن نقطة ضعف بشير (بالنسبة لمصداقيته في تنفيذ مشروع حبيب) أنه كان مديناً للجانب الإسرائيلي ونقطة قوته أنه رجل كاريسمي ذي مواقف مبدئية...

□ـ باغتيال بشير الجميل أصيب مشروع فيليب حبيب بصدمة وفتح الباب أمام كل من إسرائيل وسوريا للتملص من التزاماتها بمغادرة لبنان. ولكن المبعوث الأميركي ظل على إصراره وخطته القاضية بحدوث انسحابات سورية وإسرائيلية متزامنة من لبنان لأن كل دعوة لانسحاب أحدهما قبل الآخر تعني دعوة لبقائهما في لبنان. وما لم يستطع أن يحققه مع بشير راح يسعى لتحقيقه مع الرئيس اللبناني الجديد المنتخب أمين الجميل وبدعم مجدّد من الرئيس ريغان عكسه تصريح وزير الدفاع الأميركي كسبار وينبرغر: «يمكن إخراج القوات السورية والإسرائيلية من لبنان خلال أسبوع واحد(٣٢)».

□ـ كان أمين الجميل، من الوجهة النظرية، أكثر قدرة على تنفيذ مشروع فيليب حبيب من أخيه بشير:

● فهو لاعتداله، ولميوله العربية، أكثر قبولاً وتمثيلاً للجهات الإسلامية في لبنان(٣٣)، والعالم العربي.

(٣٢) CBS ١٩٨٢/٩/٢٤.
(٣٣) في الانتخابات الرئاسية (١٩٨٢/٨/٢٣) حصل بشير الجميل على النسب التالية من أصوات النواب (بحسب الطوائف): موارنة: ٩٦،٤٢٪ أرثوذكس ٦٨،٧٥٪ كاثوليك ٨٣،٣٣٪ المجموع ٨٦٪. سنّة ٢٦٪ شيعة ٦٦٪ دروز

- وهو غير مدين بشكل مباشر، للإسرائيليين في وصوله إلى الرئاسة وغير مرتبط معهم بمشروع سياسي.
- وهو في نمط عمله السياسي البراغماتي أقرب للمفهوم الأميركي العام.

□- ولكن أمين الجميل من الوجهة العمليّة، كان في وضع أشبه ما يكون بانعدام الوزن السياسي:

- فالقاعدة المسيحية، والمارونية خاصة، كانت إلى جانب أخيه بشير.
- والقاعدة الإسلامية تعتبره أفضل لأنه «أقل خطراً» من شقيقه.
- وسوريا تأمل من خلاله أن تكسر حدة الهجوم الإسرائيلي على الوضع اللبناني.
- وإسرائيل تأمل بأسلوب التهديد أن تجعله يتبنى الحد الأدنى من مطالبها في لبنان كونها تعرف «أنه القومي العربي[٣٤]» في عائلة الجميل.
- والولايات المتحدة (فيليب حبيب) جعلته الخيار الثاني في الرئاسة. وكل خيار ثانٍ يحمل الانعكاسات الصعبة (السلبية) للخيار الأول.

٥٠٪ المجموع ٤٦و٣٤٪ وفي الانتخابات الرئاسية (٩٨٢/٩/٢١) حصل أمين الجميل على النسب التالية: موارنة ٩٢،٨٥٪ أرثوذكس ٨٧،٥٪ كاثوليك ١٠٠٪ المجموع ٩٢٪ سنة ٦٨،٤٢٪ شيعة ٨٨،٨٨٪ دروز ١٠٠٪ المجموع ٨٠،٤٨٪ ومع إضافة نائب واحد للأقليات يكون بشير قد حصل على ٥٧ صوتاً من أصل ٩٢ أي ٦١،٩٥٪ وحصل أمين على ٧٧ صوتاً أي نسبة ٨٣،٦٩٪.
(نبيل خليفة. بشير وأمين الجميل في رئاسة الجمهورية سلسلة الفكر السياسي بيروت ١٩٨٤ ص ١٩ - ٢٠).

(٣٤) صفة يطلقها أمين الجميل على نفسه. (الرهان الكبير- دار النهار ص ١٠١)

فإذا أضفنا إلى هذا التجاذب العنيف المتعدد الاتجاهات والجنسيات للرئيس (والرئاسة) نظرة الرئيس أمين الجميل «الأريستوقراطية» للعمل السياسي وأسلوبه الشكلاوي (Formaliste) وتمسّكه بمجموعة مستشارين قسم منهم برو- أميركي والآخر ترو- أميركي (Trop-Americain) وفيهم الأنتي - فيليب حبيب، وبينهم من تمرَّس «بفن تعقيم العهود» الرئاسية في لبنان منذ العام ١٩٥٢ . . . كل ذلك أدى إلى الاضطراب في المواقف السياسية. . . وخاصة في موضوع «مشروع فيليب حبيب» الذي كان الأمل، الأولى والأخير لإخراج لبنان من نظام كيسنجر. . . فجاءت وثيقة شارون المعروفة «بالاتفاق - الإطار» لتضع نهاية فعلية لجهود المبعوث الأميركي!

وثيقة شارون: الانقلاب المضادّ

دعا الرئيس ريغان العرب للضغط على سوريا كي تلتزم باتفاق فيليب حبيب للانسحاب من لبنان على أن تتكفل أميركا بالضغط على إسرائيل كي تنفذ التزامها[٣٥]. وفي ١٥ كانون الأول ١٩٨٢ وصل فيليب حبيب مع موريس دريبر إلى القدس واجتمع إلى بيغن وشارون في مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي لتجديد التزام إسرائيل بخطته المعطلة (بسبب اغتيال بشير) «ولردم الهوة بين الموقفين الإسرائيلي واللبناني بشأن جوهر الترتيبات بين البلدين كما تقترحها الولايات المتحدة[٣٦]». عندها أعلن شارون

---

(٣٥) مذكرات ريغان، الحياة ١٩٩٠/١١/٣٠.
(٣٦) شيمون شيفر. كرة الثلج. الطبعة العربية. ص ٢٩١.

أن إسرائيل أجرت اتصالات مباشرة مع اللبنانيين «وتوصلنا لاتفاق معهم» وسحب من حقيبته وثيقة وقال «سأقرأ مضمونها أمامكم» وبعد أن فعل «ساد الصمت في الغرفة وبان الذهول جيداً على محيا كل من حبيب ودريبر[٣٧]» ومنذ تلك اللحظة أدرك فيليب حبيب أنه ضُلّل «وأن اللبنانيين ضيّعوا الجميع وضيّعوا أنفسهم وأضاعوا فرصة الحل[٣٨]»... فقطع زيارته لإسرائيل وتوجه إلى بيروت!

من ضلّل من؟

هذا السؤال تاريخي جوابه حتى الآن في ثلاث روايات: واحدة إسرائيلية والثانية لبنانية والثالثة اميركية.

١ ـ الرواية الإسرائيلية تقول: كان شارون يعمل على «إبعاد الأميركيين من موقع الوسيط والأمرة في بعبدا[٣٩]» لكي يستطيع فرض شروطه على إدارة الرئيس أمين الجميل. وزاد من قلق شارون إعلان الرئيس الجميل في نيويورك (١٩٨٢/١٠/١٩) «اتفاقه مع الموقف السوري الداعي إلى انسحاب القوات الإسرائيلية قبل القوات السورية من لبنان[٤٠]» في ما اعتبر لدى

(٣٧) المصدر السابق. ص ٢٩٢.
ملاحظة: عرفت «بورقة العمل»، أو «وثيقة شارون»، أو «الاتفاق الإطار» وعنوانها: «مبادىء أساسية وخطوط مرشدة للمفاوضات بين إسرائيل ولبنان». وتتناول ثلاثة أمور: تطبيع العلاقات ـ الترتيبات الأمنية ـ انسحاب القوات الأجنبية من لبنان ومنها الجيش الإسرائيلي.
(٣٨) فيليب حبيب. العمل ١٩٨٧/٥/١٠.
(٣٩) شيمون شيفر ـ مصدر سبق ذكره. ص ٢٥٩.
(٤٠) العلاقات اللبنانية ـ السورية. سادر. ١٩٨٦. ١٩٥٢/١٠/٢٠.

الأميركيين خطأ تكتيكياً مهمّاً ولدى الإسرائيليين «دعوة لإعادة لبنان إلى وضع ما قبل ٦ حزيران ١٩٨٢[٤١]». شارون استخلص الأمثولة ورد بأسلوب التهديد العنيف للمسيحيين ولأمين الجميل شخصياً:

- بتطوير العلاقات مع الدروز ودعمهم في الجبل.
- بالإعلان عن موافقة إسرائيل على إجراء ترتيبات للسوريين في لبنان[٤٢].
- بتوجيه إنذار للرئيس اللبناني: إذا لم يوقع لبنان معاهدة معنا فسيبقى الجميل رئيساً لقصر بعبدا فقط[٤٣]».

وتضيف الرواية الإسرائيلية: «أن أمين توصل إلى خلاصة: من الضروري التوصل إلى تسوية مع إسرائيل. وفي أحد أيام تشرين الثاني ١٩٨٢، (أي بعد يومين من انذار شارون)، وصلت الرسالة. مبعوث شخصي لرئيس لبنان طلب الاجتماع بأريل شارون[٤٤]» وبدأت الاتصالات بين الجانبين. وفي الاجتماع الأخير (١٩٨٢/١٢/١٣) قال الموفد الرئاسي اللبناني لشارون: «نحن مهتمون أيضاً بالتحدث معكم مباشرة. للأميركيين مصالح أخرى في الشرق الأوسط». أجاب شارون: «فيليب حبيب ليس شريكاً في الاتفاق بيننا». الموفد: «أنا متفق معك». وفي نهاية الاجتماع كان في يد وزير الدفاع ورقة متفق عليها[٤٥]». وهي

(٤١) المصدر السابق.
(٤٢) شيمون شيفر. مصدر سبق ذكره. ص ٢٨٥.
(٤٣) النهار ١٩٨٢/١٢/١٠.
(٤٤) شيمون شيفر. ص ٢٨٥.
(٤٥) المصدر السابق ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

الوثيقة التي قرأها شارون لفيليب حبيب بعد ذلك بيومين في اجتماع القدس. . . ورددتها الصحافة الإسرائيلية ووسائل الإعلام في اليوم التالي واعتبرتها «إنجازاً مهماً لشارون». و«صادق عليها مجلس الوزراء الإسرائيلي في ١٩٨٢/١٢/١٩[٤٦]». وقال ناطق باسم الخارجية الإسرائيلية: «إذا كانت الحكومة قد تحدثت عن الوثيقة فهذا يعني أنها موجودة[٤٧]». وقام شارون بشرحها أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست[٤٨]» وإذا كان المسؤولون اللبنانيون عدلوا عن توقيع الوثيقة. . فإنهم أكدوا أنهم ما زالوا يؤيدون كل ما ورد فيها. . وحيرتهم عائدة لانتقال الاتصالات السرية إلى العلن وضغوط أميركا عليهم[٤٩]». وقد تمسكت إسرائيل بهذه الوثيقة كأساس للمفاوضات مع لبنان وهذا ما عكسه الصراع بين الجانبين على جدول أعمال المفاوضات حيث وردت معظم نقاط الوثيقة في جدول الأعمال الذي أقر بين الجانبين بتاريخ ١٩٨٣/١/١٤، فهو كما قال شارون: «يشمل معظم البنود التي تم الاتفاق عليها مع مسؤولين لبنانيين في بيروت[٥٠]». أكثر من ذلك «فقد أبلغ شارون فيليب حبيب أن ممثلي حكومة لبنان وافقوا على توقيع ورقة العمل بالأحرف الأولى لكن بيغن أراد تقديمها قبل ذلك لمصادقة الحكومة[٥١]».

(٤٦) النهار ١٩٨٢/١٢/٢٠.
(٤٧) النهار ١٩٨٢/١٢/٢١.
(٤٨) النهار ١٩٨٢/١٢/٢٢.
(٤٩) النهار ١٩٨٢/١٢/٢٧.
(٥٠) النهار ١٩٨٣/١/١٤. (شمل جدول الأعمال: إنهاء حالة الحرب ـ ترتيبات أمنية ـ إطار علاقات متبادلة ـ برنامج الانسحابات الكاملة ـ الضمانات المحتملة).
(٥١) شيمون شيفر. ص ٢٩٣.

٢ ـ الرواية اللبنانية: هي التي أوردها الرئيس أمين الجميل في مذكراته وفيها «أن الرئيس سركيس أطلعه على اقتراح فيليب حبيب ووضعه في أجواء المفاوضات في شأن خروج القوات السورية والفلسطينية والإسرائيلية من لبنان[٥٣]». ثم طلب (أمين) من الرئيس الأميركي «أن تدخل الولايات المتحدة طرفاً أساسياً في المفاوضات تجنباً لمفاوضات مباشرة مع إسرائيل». ويشرح الرئيس الجميل أسباب «لعبة شارون» بالقول: كان وزير الدفاع الإسرائيلي أرييل شارون يعاني من أزمة سياسية بسبب تورطه في مجزرة صبرا وشاتيلا وتوصّل «لجنة كاهان» إلى استنتاجات تدينه مباشرة. فأخذ يفتش عن حيلة تنقذه وتنقذ الحكومة الإسرائيلية من مستنقع الحرب اللبنانية». وبما أن شارون «كان يعرف تماماً تفاصيل التركيبة اللبنانية ولديه شبكة علاقات لبنانية متنوعة خصوصاً مع بعض القيادات داخل القوات اللبنانية، فقد حاول أن يستغلها لدفعنا إلى التفاوض المباشر وصولاً إلى اتفاق سلام بمعزل عن الوفد الأميركي». ويضيف الرئيس الجميل «أن شارون أوفد مندوباً إلى أحد أصدقائي ليبحث معه في موضوع العرقلة التي يواجهها مسعاه ودخلا في حوار عرضا فيه جملة أفكار». ويعترف الرئيس الجميل بأنه ارتكب خطأً. «ولعلي ارتكبت يومها خطأً ولو محدوداً بفتح المجال للاستماع إلى مثل هذه الأفكار». ويبرّر ذلك: «لم يكن لدي مانع من الاطلاع على النيات الإسرائيلية عبر شخص لا علاقة له بالسياسة

(٥٢) الحياة ـ الحلقة الخامسة ١٩٩٠/١٢/٨، حاوره، علي حماده.
(٥٣) المصدر السابق.

ولا موقع رسمياً له(٥٤)».

ويصف الرئيس الجميل وثيقة شارون بأنها «مسرحية» شاء أن يوهم فيها الأميركيين بأنه قادر على الاتصال المباشر بنا. فقال ذات يوم(٥٥) للمبعوث الأميركي فيليب حبيب أنه لم تعد من حاجة إلى المسعى الأميركي وادّعى أنه اتفق مع الدولة اللبنانية». «فصدم حبيب وجن جنونه فقطع زيارته لإسرائيل وتوجّه مباشرة إلى بيروت واتّصل من طوافته بسفير الولايات المتحدة طالباً منه ترتيب موعد عاجل معي». يضيف الجميل: «لم يخطر ببالي أن طلب الموعد سببه مكيدة شارونية. دخل علي حبيب يرافقه موريس دريبر وبادرني بسؤال ناري: كيف توقّعون اتفاقاً مع إسرائيل. قلت: عما تتحدث؟ قال: عندما اجتمعنا بشارون فهمنا بأن لا حاجة إلى البحث في شيء بخصوص لبنان لأن الرئيس الجميل وقّع معنا اتفاقاً. قلت: جيد أين الاتفاق الذي وقعته؟ قال: لم أطلب الاطلاع عليه لشدة صدمتي. ثم أفهمنا حبيب حقيقة الأمر فتأكد له عبر السفارة الأميركية في تل أبيب أنه لم يوقع أي اتفاق بين لبنان وإسرائيل(٥٦)».

ويختم الرئيس الجميل روايته بالقول: «هذه هي قصة ورقة شارون وأسلوبه. فهو اخترع ورقة لم تكن موجودة واخترع

(٥٤) المصدر السابق. والملفت أن اسم الرجل الوسيط لم يرد في الروايتين. (وتقول بعض المصادر انه السيد سامي مارون).

(٥٥) يقصد اجتماع القدس في ١٩٨٢/١٢/١٥ الذي أشرنا إليه في الرواية الإسرائيلية.

(٥٦) مذكرات أمين الجميل. الحلقة الخامسة، الحياة ١٩٩٠/١٢/٨.

مفاوضات لم تكن دائرة واخترع طريقة للإيقاع بيننا وبين الأميركيين فاكتشف هؤلاء حقيقة فخه ولو كان هناك أي غبار على الموقف اللبناني لما سكت الأميركيون. وفي النهاية استمرت المفاوضات المثلثة كأن شيئاً لم يكن(٥٧)».

٣ - بين رواية أرييل شارون ورواية أمين الجميل هناك مكان لرواية ثالثة: رواية فيليب حبيب التي تختصر في خطابه السياسي (في عشرات المناسبات عن لبنان) بتعبير: **الفرصة الضائعة**. من أضاعها.. ومن ضيّعها؟ المسؤولون اللبنانيون أولاً «الذين لم يتمكنوا من التقاط الفرصة التي أتيحت لهم» والأطراف الخارجيون المتدخلون في شؤون لبنان ثانياً. «الذين راح كل واحد منهم يتذرع برفض الآخر الانسحاب ليبقى» على حد قول وليم كوانت «لأن الإسرائيليين والسوريين راحوا يلعبون اللعبة نفسها...» على حد قول الرئيس ريغان (الحياة ٩٩٠/١١/٣٠). وأما ما كشفه الرئيس الجميل في مذكراته بقوله «وفور تسلمي مقاليد الحكم تبين لي أن كل الوعود التي أغدقها حبيب على الرئيس سركيس كانت واهية(٥٨)» يدل على أن الرئيس الجميل لم يكن مقتنعاً تماماً بمشروع فيليب حبيب وبقدرته على تنفيذه!

الحقيقة أن سياسة أميركا الجديدة في لبنان (سياسة فيليب حبيب) هدفت /إلى وعملت/ على «إخراج كل القوات الأجنبية من لبنان وإعادة سيادته على كل أراضيه. وهذا يشمل الفلسطيني والسوري والإسرائيلي والليبي. وأي قوة خارجية يجب أن تخرج

(٥٧) المصدر السابق.

(٥٨) المصدر السابق.

من لبنان في الماضي والحاضر والمستقبل لأن لا دور لأي أجنبي غير لبناني في لبنان[٥٩]».

هذا هو الانقلاب الذي كان يفترض أن يتم على نظام كيسنجر في لبنان والذي كان يفترض باللبنانيين أن يساعدوه على إنجازه وإنجاحه. ولكنه انقلاب لم ينجح إلا جزئياً. لأسباب موضوعية! يقول فيليب حبيب: «أقول للتاريخ هذه هي أهدافنا في لبنان» ويقول: «إن اللبنانيين ضيَّعوا الجميع وضيَّعوا أنفسهم وأضاعوا فرصة الحل[٦٠]».

... وبانتظار حكم الوثائق والتاريخ وبانتظار فرصة أخرى، قد تلوح وقد لا تلوح في أفق السياسة الأميركية، نعيش بضع عشرات من السنين الأخرى في ظل نظام كيسنجر!!

في الطريق إلى الطائف

كيف يمكن تصنيف اتفاق الطائف بالنسبة لنظام كيسنجر؟

في كلامنا على ظاهرة العماد عون كتعبير عن الصراع الفرنسي - الأميركي على لبنان عامة (والموارنة خاصة[٦١])، أشرنا إلى مرحلة التراجع التي أدت سياسياً إلى «اتفاق الطائف» وعسكرياً إلى عملية ١٣ تشرين أول ١٩٩٠ كتطبيق لاتفاق الطائف! وفي العودة إلى ظروف ونصوص اتفاق الطائف نستخلص ما يلي:

---

(٥٩) فيليب حبيب العمل ١٠/٥/١٩٨٧.
(٦٠) المصدر السابق.
(٦١) راجع الفصل السابق.

١ - تبنت الإدارة الأميركية اجتهادات السفيرة الأميركية (غلاسبي) بشأن إعادة توزيع السلطة في لبنان بين الطوائف على حساب «الامتيازات» المارونية[٦٢]».

٢ - بالمقابل وافقت الولايات المتحدة على أمرين: إعادة انتشار القوات السورية في لبنان واعتماد اللامركزية.

٣ - معنى ذلك أن اتفاق الطائف هو في المحصلة الأخيرة إعادة إنتاج نظام كيسنجر بطبيعته الأولى (Dans sa formule initiale) أي قبل «التدفق» على المنطقة الرمادية»:

- الإسرائيليون يظلون (حتى إشعار آخر) داخل قطاعهم الأمني في جنوب لبنان (ضمن الـ ٤٠ كلم).
- السوريون يتراجعون من المنطقة الرمادية إلى داخل «قطاعهم الأمني» الأساسي (إلى البقاع وعكار) ويظلون فيه حتى إشعار آخر!
- السلطة المركزية تتولى أمر «لبنان الأوسط» لبنان السلسلة الغربية «والمنطقة الرمادية» أو المستطيل الممتد من زغرتا حتى جزين... وحتى إشعار آخر! هذا الإشعار الآخر هو زمن الحل لقضية الشرق الأوسط ضمن مؤتمر دولي.. أو إقليمي.. أو مفاوضات مباشرة حيث يتحدد مصير الوجود الأجنبي في لبنان وربّما مصير الجغرافيا اللبنانية في ضوء تحديد مصير الجغرافيا الفلسطينية!

٤ - الملفت في الموقف الأميركي في هذه المرحلة، والذي

---

(٦٢) إن مراجعة صياغة اتفاق الطائف تؤكد للمدقق أنه في الأساس خلاصة مجموعة اجتهادات «لسيّد شيعي ولسفيرة أميركية وشخصية سنية ونائب ماروني مستقل ووزير سابق درزي ومسؤول سوري بارز.

يؤكد ما ذهبنا إليه، أنه أدخل الاتحاد السوفياتي طرفاً رابعاً في المثلث السوري - الأميركي - الإسرائيلي حول لبنان من خلال البيان الأميركي - السوفياتي (بيان ١٢/٥/٩٨٩) بحيث أن هذا البيان لم ينص أبداً لا على الانسحاب الإسرائيلي ولا على الانسحاب السوري من لبنان بل نص على «**أن يكون الحل السياسي في لبنان مراعياً لمصالح كل الأطراف**». وهذا يعني بالتأكيد الأطراف الداخلية والأطراف الإقليمية... وبقية ما يقال في الطائف استهلاك سياسي وتفاصيل!

خلاصة عامة

«إن وجود إسرائيل على خطوتين من لبنان له، بالإضافة إلى انعكاساته الدولية، انعكاساته السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي لا حصر لها. وجميع الأمم، حيث لإسرائيل نفوذ، وعلى رأسها الولايات المتحدة، بدأت تنظر نظرة جديدة وخاصة إلى هذه النقطة من العالم»[١].

في هذه الكلمات المعبرة عن الوعي التاريخي - الجغرافي لدى ميشال شيحا تكمن الخلفية الفكرية لموقف هنري كيسنجر من لبنان. فلبنان مهم بالنسبة لأميركا - كيسنجر بمقدار ما يتأثر ويؤثر في مصير جارته الدولة العبرية وبالتالي باعتباره طرفاً في الصراع العربي - الإسرائيلي. صحيح أن الولايات المتحدة بدأت، منذ العام ١٩٤٨، تنظر إلى هذه الناحية من العالم (إسرائيل ومحيطها) «نظرة جديدة وخاصة»، ولكنها نظرة موسومة بمزيج من عواطف

(١) Michel CHIHA: Le Liban dans le Monde.
Les conférences du cénacle Ve année. No9-12., 25-12-1951, p. 270-271.

ومساعدات (مالية وعسكرية) ومشاريع حيوية (مشاريع المياه) ودعم سياسي. مع هنري كيسنجر اليهودي الجرماني أخذت النظرة الأميركية الجديدة والخاصة بعداً جيو- استراتيجياً وجيوبوليتيكياً في آن: تجذير الكيان الإسرائيلي ببعديه الجغرافي والتاريخي أي مدّه بالوزن والتوازن اللازمين مما يستدعي حكماً إفقاد الدول العربية المحيطة، بإسرائيل، بدءاً بلبنان. مروراً بوادي النيل... وصولاً إلى الخليج (وحتّى المغرب) إفقادها وزنها وتوازنها!

إن مراجعة متأنية لطروحات هذا الكتاب في أهدافه العلمية - الوطنية ومقاربتيه (السياسية والجيو- استراتيجية) وفي أسلوبه المنفتح على كل نقد، هذه المراجعة تفضي إلى الاستنتاجات والخلاصات التالية:

١ - إن هنري كيسنجر هو أحد أبرز رجال الفكر السياسي - الاستراتيجي الذين أنجبتهم الحضارة الغربية في هذا القرن. وبهذا المعنى فإن تأثيره سيظل مؤكداً على السياسة الأميركية (وبالتالي العالمية) ابتداء من بروزه (أواخر الستينات) وربّما على امتداد نصف قرن مقبل.

٢ - لقد جمع هنري كيسنجر بين فلسفته السياسية واستراتيجيته السياسية وممارسته السياسية وخرج من هذا النسيج المتماسك بنتائج حاسمة شكّلت تحوُّلاً أساسياً في سياسة أميركا العالمية، كما شكّلت مفترقاً مهماً في الأوضاع الدولية بحيث يمكن القول وربما الجزم بأن لكيسنجر دوراً أساسياً في الزلزال الذي أصاب الكتلة الشرقية (١٩٨٩ - ١٩٩٠) وفي بروز

الولايات المتحدة كقطب شبه وحيد في النظام الدولي الجديد الحالي.

٣ - يعتبر كيسنجر منطقة الشرق الأوسط محور السياسة العالمية في النصف الثاني من القرن العشرين لأسباب موضوعية (الأهمية الاستراتيجية = الطاقة + المواصلات) ولأسباب ذاتية (وجود شعبه = الشعب اليهودي في دولة إسرائيل). ويرى بعض المحللين أن صفقة كيسنجر مع السوفيات حول فيتنام اشتملت على المقايضة: مزيد من النفوذ السوفياتي في الهند الصينية مقابل مزيد من النفوذ الأميركي في الشرق الأوسط!

٤ - إن استراتيجية كيسنجر حيال لبنان هي جزء لا يتجزأ من استراتيجيته حيال المنطقة. وهذه الستراتيجية تأخذ بعين الاعتبار وبشكل أساسي (كما بيّنا آنفاً): المحافظة على مصالح الولايات المتحدة. وهاجس مصير الشعب اليهودي ممثلاً بدولة إسرائيل. وفي هذا السياق، فإن محددات نظرته إلى لبنان داخل هذه الستراتيجية تنبني على المعطيات الجيو- استراتيجية التالية:

☐ - إن لبنان بلد مجاور جغرافياً لإسرائيل(٢).

☐ - إنه قصر المياه في الواجهة الشرقية للمتوسط.

☐ - إنه بؤرة الراديكالية العربية (بوجوهها اللبنانية والفلسطينية والعربية...)

---

(٢) طول الحدود اللبنانية الإسرائيلية ٨٢ كلم (قبل احتلال إسرائيل لجبل الشيخ في حرب حزيران ١٩٦٧) حيث أصبحت الآن ١٠٣ كلم) وهي تشكل نسبة ١٤,٣٪ من حدود لبنان البالغ طولها ٥٧٠ كم (منها ٢٧٨ كلم مع سوريا و٢١٠ كلم = الواجهة البحرية).

* - إنه منطقة عازلة بين سورية وإسرائيل.

□ - إنـه مستودع بـارود الأقليات الشرق أوسـطية ومفجّر حروبها.

□ - إنـه (بحسب وصف فيليب حبيب) «صـاعق دولي، طرفاه موصولان بالانشقاقات الداخلية».

٥ - بناءً على مفاهيم أميركية وإسرائيلية من أن لبنان «هو خطأ تاريخي وجغرافي» «وبلد لا معنى لوجوده» «ويمكن الاستغناء عنه» «ومركز دولي لقطع الغيار والمقايضة»... فقد وجد فيه كيسنجر، إمكانية هائلة، من هذه الناحية ليجعل من لبنان. وفي لبنان، وبواسطة لبنان:

□ الأزمة البديل (عن الأزمة الفلسطينية).

□ والوطن البديل (عن الوطن الفلسطيني).

□ والحرب البديل (عن الحرب العربية - الإسرائيلية).

□ والأرض البديل (عن الأرض مقابل السلام).

إنه كما وصفه كيسنجر «سوق قطع سياسي» بامتياز!

٦ - ... وبانتظار حل قضايا «الأزمة.. والـوطن.. والحرب.. والأرض» يبقى لبنان معلقاً على الخشبة أو كما يصفه أحد الصحفيين، أشبه بـداخون المحرقة في مصفـاة البترول التي يفـترض أن تبقى مشتعلة لتحـرق تسربـات الغـاز كي لا تتجمّع فتنفجر. وبهذا المعنى «فسياسة أميركا في لبنان، هي إطالة عمـر الأزمة»[٣] ومأساة لبنان أنه بلد موضوع، منذ كيسنجر، على لائحة الانتظار الأميركية وهو غارق في ظلمة

---

(٣) اليزابيت بيكارد - الديار ٧! - ٥ - ١٩٩٠.

الجراح والنار والدم. وهو لا يعرف متى سيصل قطار الحل، وليس متأكداً من أنه سيجد لنفسه مكاناً فيه. وحتى لو وجد مكاناً فيه فهو ليس متأكداً حتى تاريخه من أنه سيصعد إلى القطار سليماً معافى أم أنه سيفقد أجزاء من كيانه التاريخي والجغرافي، كما أنه لا يعرف، حتى ذلك التاريخ، ما الذي سيكون عليه وضعه ومصيره حاضراً ومستقبلاً!

٧ - انطلاقاً من مجمل هذه المعطيات، ومن ثقافته العميقة الشاملة (السياسية والستراتيجية) الخاصة بـالعلاقـات الدوليـة، رسم كيسنجر مخططه الخاص بلبنان (ضمن مخططه العام للمنطقة) وهو المعروف «بنظام الخطوط الحمـر» كي يكون، ويبقي، النظام الذي يحكم الوضع اللبناني طوال المدة اللازمة لترتّب الـولايات المتحـدة أوضاع المـنطقـة، وفي مقـدمهـا الصراع العـربي - الإسرائيـلي بـالشكـل الـذي يستجيب لـلأهـداف الأمـيركية في المنطقة. وهـذا النظام يمثـل نموذجـاً لعبقريـة كيسنجر السياسية من حيث أنه يبني استراتيجيّته على ثوابت تاريخية - جغرافية - نفسية وليس على مجرد عواطف أو مواقف سياسية عارضة، بحيث صار من الصعب، وربما المستحيل، على السياسة الأميركية، الخروج عليه!

ماذا عن موقف اللبنانيين من مخطط كيسنجر؟

١ - بدءاً، ينبغي الاعتراف أنه ليس من السهل على لبنان كسلطة وكقيادات وكدولة وكمؤسسات وكأفراد، أن يواجه ويتغلب على مخطط كيسنجر الرجل الذي يحمل بين يـديه مقـدّرات

ومقررات الأمن والمخابرات والدولارات والسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية. فإمكانات واشنطن من هذه الناحية كبيرة إلى الحد الذي يقلب الأوضاع في دول أوروبيّة متقدمة، فكيف بدولة صغيرة (لبنان) من دول العالم الثالث... واقعة على حدود دولة إسرائيل!

٢ - على أن ذلك لا يعفي القيادات اللبنانية، الرسمية وغير الرسمية، من الأخطاء الكبرى التي ارتكبت طوال الأزمة والناتجة في معظمها عن غياب الفكر الستراتيجي لدى هذه القيادات. إن الفكر الستراتيجي الكيسنجري (الأميركي) لا يرد عليه إلا بفكر استراتيجي لبناني افتقرت، ولا تزال تفتقر، إليه القيادات اللبنانية. ذلك أن مثل هذا الفكر، إذا لم يكن قادراً على الغاء مفاعيل الفكر الكيسنجري، فهو في أضعف لاحتمالات قادرعلى حصر هذه المفاعيل وإبقاء نتائجها السلبية في حدها الأدنى حتى إذا لاحت فرصة الخروج عليها اقتنصها اللبنانيون... وليس كما حصل حين ضيّعوا الفرصة التاريخية عام ١٩٨٢ وارتكبوا «أم الأخطاء» في الحرب اللبنانية!

٣ - إن مقاربة الساسة اللبنانيين لمخطط كيسنجر، تختلف بين سياسي وآخر في مدى وعيه لها وتشديده عليها وتحذيره منها وأسلوبه في معالجتها. ومع أن البارزَين في هذا المجال هما العميد ريمون إدة والرئيس سليمان فرنجيه، فإن مقاربة الساسة اللبنانيين ظلت مقاربة سياسية ولم ترتق إلى مستوى المقاربة الجيو - استراتيجية.

فكما استجمع كيسنجر العناصر البشرية والجغرافية والتاريخية (اللبنانية والإقليمية) لكي يصوغ «نظام الخطوط الحمر»، يفترض بالقيادات اللبنانية أن تستجمع العناصر اللازمة (بشرياً وجغرافياً وتاريخياً) لصياغة نظام مضاد هو «نظام الوطن الأخضر»: المتماسك داخلياً، المتفاهم مع محيطه العربي، العامل للإنماء والعدالة والتقدم، المحايد في الصراعات الإقليمية والدولية، والرابط مصيره بالقانون الدولي كضمانة له، ممثلاً على الصعيد الدولي بمؤسسات الأمم المتحدة وعلى الصعيد الإقليمي بمؤسسات الجامعة العربية. إن صياغة مثل هذا النظام تفرض في الوقت عينه صياغة نظام لبناني جديد ورؤية جديدة لدور لبنان ومصيره (الدولة والكيان) في محيطه... والعالم! وإذا كانت القيادات اللبنانية كافة تتحمل قسطها من المسؤولية في قصورها عن إنجاز هذه المهمة الوطنية الكبرى، فإن القيادات المارونية تتحمل أكثر من غيرها تبعات هذه المسؤولية. لقد حدد ارنولد توينبي (عام ١٩٥٧) المهمة الكبرى للديبلوماسيّة اللبنانية «بحثّ الحكومة الأميركية على إعادة النظر في موقفها من المسألة الفلسطينية لأنها في موقع ملائم للقيام بذلك». واعتبر توينبي «أن إنجاز هذه المهمة أو الإخفاق فيها، هو بالنسبة للبنان مسألة حياة أو موت»(٤).

إن مجرد التأمل في هذا الكلام لأحد أعظم دارس التاريخ والحضارات في هذا العصر يؤكد «بؤس الفكر السياسي الماروني المعاصر!».

(٤) Arnold TOYNBEE: Liban, Expression de l'Histoire. Conérences du Cénacle. 7-5-1957.

. . .يقول كيسنجر «إن السياسة في عصرنا ليست مسألة عواطف ولكنها حقائق القوة». وقوة لبنان في ثلاثة: التجذر في الأرض والهويّة، والتوحّد في الحرية، والتسليم للقيادات التاريخية المبدعة ذات الرؤية الستراتيجية اي القيادات التي تمتاز بثلاثة: القوة والإلهام والأمل. . . وعليه قد يكون لبنان الضعيف والمعذّب اليوم على موعد مع القيامة غداً محققاً مفهوم توينبي للتاريخ. فيكون ما نحن فيه هو «**التحدي**» وتكون لدينا في الغد القريب «الاستجابة» المناسبة!.

. . .وفي ضوء هذه الاستجابة يتقرّر مصير الجغرافيا اللبنانية، بمعنى أن تظلّ الخطوط الحمر خطوطاً ظرفيّة ومرحليّة. . . او أن تتحوّل مع الزمن (وفق مقولة كيسنجر: الارض مقابل الزمن) الى خطوط نهائية!

ملحق رقم I

رسالة بيار الجميل إلى كيسنجر

يا حضرة الوزير،

لا أدري إلى أي مدى سيكن هذا الصوت. . صوتي، مسموعاً، وسط ملايين الأصوات التي تريد هي أيضاً أن تكون مسموعة. هذا فيما مرورك ببلادنا يتم على عجلة، وهمومك هموم رجل ضرب لنفسه موعداً قريباً مهماً لا يريد أن يخطئه.

ولكنني أتوقع بأن تعتبر هذا النداء من جملة النداءات المخلصة التي توجه إليك، عبر تنقلاتك الكثيرة، من بلد إلى بلد، ومن قارة إلى قارة. . وأن تضيفه إلى الأصداء التي تحتفظ بها في ذهنك وتتذكرها في الأوقات التي تخلو فيها إلى نفسك.

وأنا أفضل لندائي هذا المصير، لأنك الآن منهمك كثيراً، وفي فترة تحرك وعمل وتنفيذ. ناهيك بأن في كتابي هذا وجهة نظر ليست بالتأكيد وجهة النظر التي تعملون بوحيها وفي إطارها الآن. فمن الطبيعي ألا يكون لرأيي القيمة التي يستحقها، إلا بعد

حين. . . أي بعد أن يتأكد لكم بأن السلام، كما خططتم له، لم يستتب، ولا بد من البحث عن خطة أخرى!

وأنا، يا حضرة الوزير، لا أقصد من رسالتي المتواضعة ثنيكم عما عقدتم العزم عليه، العكس هو الصحيح. وأتمنى من كل قلبي، لمساعيكم أن تنجح. فقد تكون وجهة نظركم هي الصواب، أو الأقرب إلى السلام. ولا مطلب لنا في أي حال، إلا السلام. فإن وصلنا إليه عبر الطريق التي رسمتموها له، فلن نرفضه، ولن يرفضه أي إنسان.

ولكن. أي سلام؟

* *

من المتفق عليه أنه حيث لا يكون عدل، لا يكون سلام بالمعنى الصحيح.

إنها الحقيقة البسيطة الواضحة التي تشكل علامة فارقة في تراث الشعب الأميركي ورسالته وحضوره في العالم. فمن المؤكد، أن السلام الذي يريده شعبكم العظيم هو هذا السلام.

فقوام الخلق الأميركي هو محبة العدل، واحترام الفرد، واحترام الغير. ولا أشك أبداً بأن نظرة الولايات المتحدة إلى النزاع المزمن في هذه المنطقة تتأثر كثيراً بهذه الخصال.

ولكن لماذا يبدو لنا موقف بلادكم من هذا النزاع بصورة أخرى؟

بسبب الاختلاف في النظرة إلى منشئه وطبيعته وجوهره ومحتواه.

أنه، بنظركم نزاع على كمية من الأرض بين العرب وإسرائيل. وهو في الحقيقة ليس كذلك.

إنكم تنطلقون من واقع وجود إسرائيل، دولة مثل سائر الدول، لها الحق بالسلامة والأمان مثل سائر الشعوب والأمم. أليست إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة؟

وبما أن العرب لا يعترفون لها بهذا الوجود، فهي التي تحتاج إلى المساعدات والضمانات والحماية، وكل ما يؤمن لها سلامة المستقبل والمصير. طبعاً دون أن تنكروا على العرب حقهم هم أيضاً في الأشياء نفسها تقريباً. وتستغربون بعد هذا كيف ينسب العرب إليكم العداء والانحياز لإسرائيل!

تريدون أن تعدلوا بين إسرائيل والعرب، والمشكلة ليست من فقدان العدل بين العرب وإسرائيل، بقدر ما هي من وجود إسرائيل بالذات، كما هي في صيغتها الراهنة.

ويهمني هنا، يا حضرة الوزير، بأن تتأكد بأنني ومن يفكر تفكيري من اللبنانيين، لا نضمر أي حقد لليهود.. أو على شعب إسرائيل.

ما الذي يؤكد لك ذلك؟

المساواة المطلقة القائمة عندنا في لبنان، بين اللبنانيين اليهود وسائر اللبنانيين.

وأيضاً، المعاملة الخاصة التي لقيها اليهود في لبنان، وبخاصة في الأوقات التي كان يحتدم فيها الصراع، وتتفلت

الغرائز، ويسود الانفعال. كنا دائماً نحرص على إبقاء المواطنين اليهود بمنأى عن هذه الأجواء.

أضف إلى ذلك، بأننا من المعجبين بذكاء اليهود، ورقيهم، ونقدر لهم أفضالهم على التقدم العلمي في عصرنا.. تقدماً يعود خيره على البشرية جمعاء. أن لهم حضوراً في المختبرات ومراكز الأبحاث العلمية، يفوق أي حضور آخر. وما زالوا كثرة بين الفائزين بالجوائز العلمية منذ سنوات.. كثرة بين المفكرين والأدباء والفنانين والعلماء... كثرة في الفعاليات الاقتصادية والمالية وفي كل مكان!

إن شعباً يختزن هذه الإمكانات، يستحق مع التقدير، المحبة أيضاً. وله في أي حال، الحق في الكرامة والحياة، مثل كل البشر على هذه الأرض.

المغامرة الخطرة

من هذا القبيل، نرانا وإياكم على قدم المساواة.

لكن هذه العاطفة تجاه اليهود شيء، ووجود إسرائيل كما هي الآن في قلب العالم العربي شيء آخر.

إسرائيل، كما هي، تشكل إساءة مزدوجة. فقد أساء وجودها إلى العرب وإلى اليهود بآن واحد.

فهي، عدا عن كونها قائمة على أنقاض وطن آخر لشعب آخر، فقد ورطت اليهود في مغامرة لا أستبعد أبداً أن تنتهي بمأساة أخرى لشعب شبع مآسي وظلامات.

هل من الضروري تذكيركم، يا حضرة الوزير، بأن ثمن قيام إسرائيل، كان محو اسم فلسطين، وتشريد شعبها كما لم يشرد أي شعب آخر ربما على الأرض، بعد قتل المئات منه والألوف؟

فأية شرعة، أو قانون، أو دستور، يجيز أو يبرر اقتلاع شعب كامل من أرضه من أجل توطين شعب آخر؟!

«حق» اليهود التاريخي في فلسطين؟

بنظرنا، لا وجود لهذا «الحق» إلا في معتقد اليهودي ودينه. إنه تماماً «كالحق» الذي قد يدعيه المسيحي الكاثوليكي في عاصمة الكثلكة.. في مدينة روما مثلاً!

وهي مسألة إيمان.

ولكن، إذا كان الإيمان شأناً من شؤون الفرد وحده، ولا شأن للآخرين فيه، فليس من حق صاحبه أن يفرض على الآخرين.!

لليهودي، أن يؤمن بفلسطين، كما يحلو له الإيمان..

وللكاثوليكي، أن يؤمن بروما كما يحلو له الإيمان أيضاً...

ولكن لا يحق لهذا وذاك إخضاع الآخرين لهذا الإيمان. وإسرائيل، كما هي عملية إخضاع صريحة من هذا النوع.

ثم إذا كان لليهود حقوق صحيحة في فلسطين.. فأين حقوق الفلسطينيين، من مسيحيين ومسلمين في الأرض التي هي مهد المسيحية والإسلام أيضاً؟

هذه الرابطة الدينية، لماذا تعطي اليهود من الحقوق ما لا تعطيه للمسلمين والمسيحيين؟

وهكذا يتبين لكم، يا حضرة الوزير، كم هو واه هذا المبرر الديني.. وكم هو ظالم في الوقت عينه فيما لو تكرَّس قاعدة ومقياساً لاقتسام الأرض بين الشعوب، أو لتوزيع الشعوب على هذه الأرض!!

نجاحنا وفشلهم

أما إذا كانت سلامة اليهود هي مبرر وجود إسرائيل، فاعتقادنا الراسخ أنه ليس ما يهدد هذه السلامة مثل وجود إسرائيل في صيغتها الحاضرة. وهذا ما يزال يغيب عن أذهان الناس في العالم، وفي الولايات المتحدة بنوع خاص. لماذا؟

لأنكم، يا حضرة الوزير، لا تعرفون العالم العربي كما نعرفه نحن.

الفارق بيننا وبينكم من هذا القبيل، أنكم تعيشون خارج هذه المنطقة، فيما نعيش نحن في صميمها منذ أجيال، ولنا خبرة طويلة مع شعوبها لم تتيسر لكم.

ولا أدري إذا كان من المناسب هنا، تذكيركم ببعض فترات تاريخ المنطقة.. وتاريخ لبنان في هذه المنطقة.

فقبل أن تكون قضية إسرائيل التي تشغلكم الآن، كانت هناك قضية لبنان.

وتذكر، يا حضرة الوزير، بطبيعة الحال، المسألة الشرقية..

مسألة الأقليات وكيف حاولت السياسة الدولية أن تحلّها عن طريق «وطن قومي مسيحي» في لبنان!

كان مصير المسيحيين يطرح عهد ذاك كما يطرح اليوم مصير اليهود. وربما طرحت القضيتان بآن واحد، باعتبار أن بناء إسرائيل بدأ في القرن السابق، أيام كان لبنان نفسه يتساءل هو أيضاً عن مستقبله ومصيره.

كان كل شيء يدعو المسيحيين في لبنان ويشجعهم على نشدان وطن يكون لهم وحدهم، ويكونون فيه اسياداً.

هل تعرف، يا حضرة الوزير، لماذا رفضوا هذه الصيغة؟

في البداية، لأنهم كانوا طلاب حرية، ومن يؤمن بالحرية، يؤمن بها حقاً لكل إنسان. ومن يطلب الحرية لنفسه، مفروض أن يطلبها لسواه، وإلا لا يعد حراً. وبما أن الوطن الديني.. أو الدولة الدينية التيوقراطية هي من المنطلق النقيض للحرّية... وبما أن الظلم الذي حل بالمسيحيين في الشرق كان كله تقريباً على يد الدولة التيوقراطية، فقد كان من الطبيعي أن يرفضوا حلاً لمشكلتهم كان هو نفسه سببها وسبب كل المتاعب التي عانت منها هذه المنطقة على مدى أجيال.

ثم لأنهم أرادوا ألا يكونوا غرباء عن العالم العربي، كما كانت إسرائيل غريبة عن هذا العالم ولا تزال.

فكانت هذه التجربة الإنسانية التي تجري على أرض لبنان، والتجربة الأخرى التي فرضت على فلسطين.

والتجربتان من عمر واحد: ربع قرن!

وأترك لك، يا حضرة الوزير، أن تقارن، وأن تحكم على هذه وتلك.

إسرائيل، لا تزال مرفوضة في هذه المنطقة، فيما لبنان أصبح جزءاً منها لا يتجزأ.

لقد لقيت إسرائيل دعماً ومساعدة من العالم كله.. ومن الولايات المتحدة بالدرجة الأولى، ما لم ينعم به أي شعب على الأرض...

وخاضت أربع حروب كان تفوّقها العسكري فيها بالغاً خارقاً.

واحتلت أراضي وممتلكات، باسطة نفوذها وسيطرتها العسكرية على المنطقة كلها تقريباً...

ومع ذلك، فما تقدمت خطوة واحدة على صعيد انتمائها إلى محيطها. والأرجح أنها تراجعت كثيراً من هذا القبيل.

فالرفض العربي ازداد شدة وعمقاً ورسوخاً.

ودول كثيرة كانت تعترف بها وتقيم معها أفضل العلائق وأوثقها، تراجعت، أو بدأت تتراجع، ومنها من قطع كل صلة له معها.

هلا تساءلتم، يا حضرة الوزير، لماذا عجزت إسرائيل عما حققه لبنان رغم الفوارق الهائلة في القدرة الذاتية والإمكانات؟

السبب واضح بسيط: فلبنان بنى مصيره ووجوده على طبيعته الإنسانية وطبيعة المنطقة، فيما كان بناء إسرائيل على القاعدة

العنصرية والدينية.. وعلى طبيعة أخرى.

فلهذا السبب ان لبنان من العالم العربي وفي صميمه، وبقيت إسرائيل عضواً غريباً.. وستبقى كذلك.

القوة لزمن مضى

وعبثاً تحاول إسرائيل فرض وجودها على المنطقة بالقوة.

بوسعها أن تكسب المزيد من الحروب مع العرب، وأن تستولي على المزيد من الأراضي العربية، ولكنّها لن تتمكن من إقامة علاقة طبيعية مع شعوب هذه المنطقة.

ثم، إن حرباً واحدة وتخسرها إسرائيل مع العرب تكفي للقضاء عليها. أما العرب فبوسعهم أن يخسروا عشرات الحروب، ومساحات شاسعة من الأرض، وأن يظلوا في الوقت نفسه، سيفاً مسلطاً فوق رأس إسرائيل يحرمها الهناء والاستقرار.

فلماذا يفرض على الشعب اليهودي، الذي نريد كلنا إنصافه، مثل هذه المأساة الدائمة؟

إن ثمة اعتقاداً بأن التفوق الإسرائيلي، والضغوط الدولية، والخسائر المادية والمعنوية التي يتحملها العرب منذ ربع قرن، وعزم إسرائيل المدعوم بعزم الولايات المتحدة وبعض الدول الكبرى في الشرق والغرب، أمور كفيلة بحمل العرب على طلب حل وسط... على الأقل، على التسليم بوجود الدولة العبرية.. فإذا أضيف عامل الزمن إلى كل هذه العوامل تآلفت المنطقة مع

الواقع الإسرائيلي، وتعايشت معه وتفاعلت وانتقلت من حال الهدنة الموقتة الى حال السلام الحقيقي.

ربما يكون هذا الاعتقاد منطقياً. ومن المؤكد، أن الدول العربية، لم تعد تطرح مسألة وجود إسرائيل. هي ترضى الآن بانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية.. منها كلها، أو من بعضها على الأقل. فإذا اقترن ذلك بإقامة دولة فلسطينية، هنا أو هناك، تجمع الفلسطينيين على أرض واحدة مهما كانت صغيرة، وتضع حداً لتشردهم وإحساسهم بالغربة والضياع، فقد يساعد ذلك كثيراً على تهدئة الوضع، ووقف كل أنواع القتال.

ولكننا، يا حضرة الوزير، نشك كثيراً في فائدة هذه المحاولة التي لا نعترض عليها في أي حال، ولا نرفضها إلا إذا رفضها الفلسطينيون وسائر أصحاب الحقوق.

نشك في فائدتها، أولاً، لأنها تجري في هذا العصر وليس في العصور القديمة.

نقصد بذلك، أنه كان من المستطاع، فرض كيان كالكيان الإسرائيلي على العالم العربي، وذلك قبل أجيال، وفي القرن الذي سبق على الأقل، أيام كان العالم يجهل نفسه.. والشعوب تجهل بعضها بعضاً. والصلات في ما بينها صلات غرباء مع غرباء.. فلا راديو، ولا تلفزيون، ولا طائرات تختصر المسافات.. ولا كان الإنسان بعد قد وصل إلى القمر.

كان ذلك ممكناً عهد كان يُفتك بشعب كامل فلا يدري بمصيره أحد في سائر أنحاء الأرض.. في أقرب أرض إليه!

كانت الدول الاستعمارية مثلاً، تأخذ من ممتلكات الشعوب ما يحلو لها الأخذ، تستولي على قارة كاملة، فلا يعترض معترض، ولا يرتفع صوت إلا بعد سنوات.

هذا في الماضي!

أما اليوم، وبعد أن اقتحمتم أنتم الأميركيون أنفسكم مجاهل الفضاء والكواكب، وفجرتم الذرة، وأنشأتم الروابط بين الشعوب عبر الأقمار الاصطناعية، فجعلتم من السنين أياماً، ومن الأيام ساعات ودقائق وثوان.. بعد هذه الثورة التقنية تنتقل بالبشرية من عهد إلى عهد.. بل من تاريخ إلى تاريخ آخر، وهي حالة تراها الإنسانية مرّة أو مرتين أو ثلاث في عمرها المديد الطويل.. بعد هذا الانقلاب التاريخي، لم يعد ممكناً ما كان مستطاعاً قبله. وإسرائيل بصيغتها الحاضرة، وكما تريدون أنتم أيضاً أن تكون، محاولة ليست من هذا العصر.

ولا نعتقد، يا حضرة الوزير، أن اتكالكم على فعل الزمن اتكال في محله.

وإذا قلتم، إن خمساً وعشرين عاماً، ليست شيئاً يذكر في بناء دولة... وإن فترة مماثلة، تصمد فيها إسرائيل، بدعم منكم ومن بعض الدول الكبرى، كفيلة بصهر إسرائيل في محيطها، قلنا: الربع قرن الذي مضى، ليس قصيراً كما قد تتصورون. إنه بنظري، وقياساً على ما تم بخلاله من تغييرات واكتشافات وفتوحات في الفضاء، بحجم الأربعمائة سنة التي قضيناها نحن هنا في الشرق أو في لبنان بنوع خاص، نتساءل، ونكافح، وندرس، حتى كانت لنا هذه الصيغة السعيدة!

وهل من الضروري أن يبقى اليهود، والعرب، وأنتم أيضاً مسمرين هكذا على الصليب ربع قرن آخر.. بل قل، أربعمائة سنة أخرى؟!

فلسطين وليس أي وطن كان

ثم، يا حضرة الوزير، إنّ مسألة الشعب الفلسطيني، ليست فقط أن يكون له دولة. إنها أيضاً وبالدرجة الأولى، مسألة وطن. والوطن هو فلسطين.. هو حيفا، ويافا، والقدس، والجليل.. في المكان الذي تقوم عليه إسرائيل بالذات.

لقد رفضت الحركة الصهيونية في الماضي، أن تكون «دولة إسرائيل» في أي مكان آخر غير «أرض الميعاد». كما أنها لم ترض أيضاً بالجزء.. بأي جزء منها. وهي بذلك تتذرع «بحق» يعود إلى ألفي سنة!

فكيف نطلب من الفلسطينيين، أصحاب الأرض التي حملت اسمهم وحملوا اسمها، ولهم فيها أمواتهم، وتاريخهم، وتراثهم، ودماءهم، وعرق جباههم، أن يقيموا لأنفسهم «دولة» في مكان آخر.. أي أن يقبلوا بما كان ينبغي أن تقبل به الحركة الصهيونية وإسرائيل؟!

عندما تتحدثون، يا حضرة الوزير، عن حقوق الفلسطينيين، وتعدون بإعادة هذه الحقوق إليهم. فماذا تقصدون؟

حق تقرير المصير؟

عبارة مطاطة، وهي، في أي حال، تطرح عادة على شعب ما زال على أرضه ولم يطرد منها ويشرد.

وبالنسبة للفلسطينيين، الشعب الذي اقتلع من أرضه ووطنه، هذه العبارة لا معنى لها.

ثم إن قضية الفلسطينيين ليست قضية شعور بالحاجة إلى بيت وسقف، بل أيضاً مسألة «البيت» الذي ولد فيه الفلسطيني وعاش، بيت الآباء والأجداد.

هذه الرابطة الروحية، هي أقوى من كل إرادة ومن كل تسمية أو اتفاق.

إنّها، على الأقل، مثل الرابطة الأخرى، الدينية، التي بقيت تشد اليهود منذ ألفي عام، إلى أرض الميعاد.

فإذا كانت علاقة اليهود بفلسطين لم تقو عليها السنون، فمن الطبيعي أن تكون علاقة الفلسطينيين بأرضهم، ومعظمهم ولد فيها وعاش، أيام كان اليهود يولدون ويعيشون في أوربا وأميركا، وسائر أنحاء الأرض.. من الطبيعي أن تكون هذه العلاقة أقوى هي أيضاً من الزمن.. من السنين القليلة التي مضت على تشردهم.

الأجيال الجديدة؟

إنها أشد حنيناً لفلسطين وتمسكاً بالعودة من الأجيال السابقة.

المتقدمون في السن من الفلسطينيين تعايشوا بعض الوقت مع اليهود على الأرض المشتركة، قبل إسرائيل. وبوسعهم أن

يصفحوا وينسوا الماضي، وهم في أي حال، يترقبون الموت ولا ينتظرون حياة جديدة.

لكن الشباب الذين ولدوا بعد النكبة، أو في أثنائها، وتربوا على الصراع الدائم مع إسرائيل.. على النقمة المتزايدة مع الأيام...

فهؤلاء، وهم أصحاب المستقبل، لن يجدوا راحة لأنفسهم إلا بالعودة الكاملة. لأن فلسطين أصبحت بالنسبة إليهم إيديولوجية وعقيدة وديناً، ونوعاً من الصوفية، وروحاً، وشيئاً أساسياً من كيانهم ووجودهم.

الحل العملي

كل هذا، يا حضرة الوزير، يحملنا على الاعتقاد بأن ما يعمل له الآن، قد يؤدي إلى تسوية.. إلى هدنة موقتة، تمتد على بضع سنوات.. وربما جيلٌ بكامله. ولكنها لا تؤدي، بالتأكيد إلى سلام حقيقي دائم.

كيف نصل إلى هذا السلام الحقيقي؟

ليس من الضروري معاملة الإسرائيليين، كما عومل الفلسطينيون في بداية الأزمة والنكبة.

لا، ليس من الضروري، تشريد اليهود مرة أخرى.

فهل من الصعب أن يبقى اليهود في فلسطين، ولكن لقاء عودة الفلسطينيين أبنائها الأصليين إليها، وإقامة وطن مشترك بين

اليهود والمسلمين والمسيحيين. وطن لا يميز بين الناس بسبب انتماءاتهم الدينية؟

هذا التمييز، كان ممكناً ومقبولاً في العصور القديمة.. أيام الظلم الذي كان سيرة وقاعدة.

في أيامنا أصبح الشذوذ بعينه.

فالإيمان.. الإيمان يا حضرة الوزير، شأن من شؤون الفرد، يتصل بحياته الجوانية. والله، ليس سلعة يمتلكها هذا الشعب دون ذاك. الله روح. إنه الخير المطلق والعدل المطلق والجمال المطلق. فمن الطبيعي ألا يكون حكراً على اليهودي. أو المسلم أو المسيحي، أو أي صاحب إيمان آخر.

فما شأن الدولة والسلطة في معتقدات الناس الدينية؟

وهل يجوز، في هذا العصر أن تبنى الدول والمجتمعات السياسية على المعتقد الديني.. أن يكون للسلطة إيمان تبغي فرضه على الناس؟

وكيف تبررون أنتم.. أنتم الشعب الذي ندب نفسه لتحرير سائر الشعوب، وأراد لنفسه ديمقراطية هي بالفعل نادرة ومثالية.. كيف توفقون بين إيمانكم هذا بالحرية والديمقراطية والعلمانية، وإصراركم على الدولة التيوقراطية العبرية؟!

إن دولة علمانية، ووطناً مشتركاً لليهودية والمسيحية والاسلام، في مهد اليهودية والمسيحية والإسلام، هما أقرب إلى إيمانكم ونظرتكم للحياة. فلماذا تعملون عكس هذه النظرة وهذا الإيمان؟

نحن، يا حضرة الوزير، بما لنا من خبرة بعيدة وعميقة في طبيعة هذه المنطقة،

وقياساً على نجاح تجربتنا في لبنان، وفشل تجربة إسرائيل، والتجربتان كما قلت قبل قليل، من عمر واحد.

نرى، مع تأكيدنا على ضرورة المضي في مساعي التهدئة التي تبذلونها الآن، أن نبدأ. . وتبدأوا معنا، حواراً منطقياً محباً مع اليهود في كل مكان، وأن نتعاون مع كل من يريد التعاون في سبيل السلام الحقيقي، على إقناع اليهود، بأن خمساً وعشرين عاماً كافية للحكم على المغامرة التي تطوعوا لها.

فطموحهم كان أن يأتوا عملاً مستحيلاً. . أن يحققوا معجزة. وقد ضحوا كثيراً في سبيل هذا الطموح، وحققوا بطولات. وفرضوا إسرائيل على العرب بتفوقهم في شتى المجالات. وتمتعوا بعطف ومساعدة دوليين قل نظيرهما. ماذا لو تساءلوا معنا إذا لم يكن قد آن الأوان لاستخلاص العبر، والحكم على التجربة من خلال نتائجها الحسية؟

إنها تجربة فاشلة رغم ثمنها الباهظ على اليهود والعرب والإنسانية جمعاء.

ثمنها كان دموعاً ودماء ومآسي، وويلات، وسلاماً مفقوداً، وسيبقى مفقوداً إلى أجل غير مسمى.

التجربة الأخرى في لبنان، نجحت، وقد بدأ العالم يأخذ بها مقياساً لحل المشكلات الأخرى. . في إيرلندا الشمالية قبل أيام قليلة. وفي قبرص، وفي كل مكان تكثر فيه الفوارق الدينية والأثنية.

إنها تجربة لا يستطيع أحد أن ينكر عليها إنسانيتها ومساواتها بين الناس، ونجاحها في الاندماج بمحيطها حتى باتت جزءاً منه لا يتجزأ، ودليلاً حسياً على أن التعايش والتفاعل بين المسيحية، والإسلام، والإلحاد كذلك، لأنه دين هو أيضاً، ليس أمراً مستحيلاً. فلماذا يكون مستحيلاً بين اليهودية والمسيحية والإسلام في أرض اليهودية والمسيحية والإسلام؟!

هل نحلم؟

اعتقادنا أن الأمر ليس سهلاً.

ولكنه أقل صعوبة بكثير مما تعملون له الآن. . أقل صعوبة من جعل إسرائيل مقبولة كما هي، في العالم العربي.

واعتقادنا أيضاً، أنه لو سعيتم إلى بناء فلسطين جديدة تشبه لبنا، لما كلفكم ذلك نصف ما تبذلونه على تدعيم إسرائيل، منذ ربع قرن. . وربما ربع قرن آخر. وهيهات أن يكون لهذا الجهد فائدة!

وفي مطلق الأحوال، لن أكون حزيناً إدا نجحتم في ما أتصوره مستحيلاً.

والكلمة الأخيرة، بنظرنا، تبقى للفلسطينيين، وللتاريخ!.

بيروت في ١٦ كانون الأول ١٩٧٣

بيار الجميل
رئيس الكتائب اللبنانية

المصدر (العمل ١٦ - ١٢ - ١٩٧٣)

ملحق رقم II

كتاب العميد ريمون أده إلى كيسنجر

ليس لي شرف معرفتك. لكنني أعرف ما تقدر عليه، خصوصاً منذ أن أصبح هذا الجزء من العالم حقل صيد مخفوراً لك تستطيع أن تختار فيه من الطرائد ما يروقك. كذلك أعرف الصبر الأيوبي الذي يتجسد فيك والذي أتاح لك الوصول خطوة خطوة إلى تسوية موقتة كما هو مفروض، بين مصر وإسرائيل وبين سورية وإسرائيل.

إن لبنان الذي تعتبره، على حد قولك، بلداً صديقاً ترى ماذا كان حل به أكثر لو لم يكن كذلك؟- والذي يكاد يكون على صورة بلدك الكبير، بمعنى أن لا إشارة في دستوره إلى دين الدولة أو إلى دين رئيس الدولة والذي يحترم كل الحريات الديمقراطية والذي كان ينعم باقتصاد ليبرالي جعل من بيروت مركزاً مالياً من مرتبة دولية، والذي كان - هاأنذا أستعمل صيغة الماضي!

أرض استقبال، وصداقة، والذي أعطى العالم مثلاً فريداً في التعايش السلمي بين ديانتين كبيرتين: المسيحية والإسلام.

هذا اللبنان الذي يعيش أكثر من نصف مليون من أبنائه في أميركا حيث قاتل كثيرون منهم، وقد أصبحوا مواطنين أميركيين، في صفوف قواتكم مساهمين في ضمان عظمة بلدكم وتفوقه. هذا اللبنان الذي أعطاكم علماء وأساتذة وصناعيين كباراً ورجال أعمال بارزين وشيوخاً وأعضاء في الكونغرس وموظفي دولة كباراً وأخيراً شاعراً كبيراً هو جبران خليل جبران الذي استأثر بإعجاب الشعب الأميركي والذي أصبح لـ«نبيه» مكان إلى جانب كل سرير.

إن لبنان هذا، يا سيد كيسنجر، صائر اليوم إلى الزوال بسببك.

لا تلمني إذا كنت على هذا المقدار من الصراحة والقسوة: إنني أدافع عن بلدي.

في حين أن الكل يعرف مدى اهتمامك بالدفاع عن إسرائيل، كما أعرف أن أبناء دينك يأخذون عليك كونك لا تفعل ما فيه الكفاية.

أما اللبنانيون فهم يعرفون أن إسرائيل أوجدت لتبقى، لكنهم لا يستطيعون أو يقبلون أن يكون الفلسطينيون شعباً تائهاً مسلوباً وطنه، كذلك لا يستطيعون أن يقبلوا أن يفنى لبنان لتعيش إسرائيل.

والواقع أنه كان من نتائج السياسة التي اتبعتها حتى الآن باسم الولايات المتحدة الأميركية:

١ ـ ضمان الوصول إلى حال اللاحرب بين سورية ومصر

من جهة وإسرائيل من الجهة الأخرى.

٢ ـ جعل لبنان ميدان القتال الوحيد في المنطقة.

٣ ـ تأجيل حل المشكلة الفلسطينية إلى أجل غير مسمى.

٤ ـ إبقاء نحو ٤٠٠ ألف فلسطيني في لبنان لأن أياً من الدول العربية، إضافة إلى إسرائيل، لا ترغب في استقبالهم وفي إعطائهم حرية التعبير عن مطالبهم المشروعة.

وما هو أسوأ أنه نسب إليك قولك لبعض أصدقائك ـ ولا يديِّن إلا الأغنياء (!) ـ (إذا أردتم السلم فأعطوا لبنان لسورية).

فإذا صح أنك قلت ذلك، وإذا كانت تلك هي خطتك السرية، يصبح كل ما يجري في لبنان مفهوماً. وإني لأجد نفسي مضطراً في كل حال إلى الملاحظة أن الجيش السوري الذي دخل لبنان من غير إذن السلطات المختصة وفي غير الشكل المقتضى، ما كان ليفعل لولا موافقة الحكومة الأميركية، ولا أستطيع أن أتصور للحظة أن صديقكم الجديد حافظ الأسد سمح لنفسه باحتلالنا من غير أن يحصل من واشنطن على الضوء الأخضر. وتدعي السنة السوء أن خطتك لا تقضي بإعطاء كل لبنان لسورية بل جزء منه فحسب: البقاع وطرابلس وسهل عكار التي أعادتها فرنسا إلى لبنان بناء على طلب اللبنانيين في العام ١٩٢٠، ويكون ضم هذه الأراضي إلى سورية تعويضاً للجولان الذي لن تتنازل عنه إسرائيل على رغم كل الجهود التي يمكن أن تبذلها.

كذلك تدَّعي ألسنة السوء إياها أنك قررت تقسيم لبنان

ثلاثة أجزاء: الأول شمال طريق بيروت - شتورة، يخصص للمسيحيين.

الثاني: ويقع جنوب الطريق المذكورة حتى نهر الليطاني، يعطى للبنانيين المسلمين وللفلسطينيين.

والثالث، ويقع بين الليطاني والحدود اللبنانية - الإسرائيلية، تحتله إسرائيل من أجل مسألة مياه.

قد لا يكون كل هذا سوى افتراء. لكن الافتراء ما تلبّس قط وجه الحقيقة كما هذه المرة.

على أنه من أجل تحقيق هذا المشروع الظريف، كان لا بد أولاً من إبادة لبنان، وتجويع سكانه وتعييشهم في الظلام والرعب، وهذا ما يكاد يتم فعلاً.

ومنذ أكثر من سنة انصرفت شقيقتنا الكبرى، سورية حافظ الأسد إلى العمل وهي قررّت كما يفترض أن تعرف إزالة لبنان سياسياً وإدارياً واقتصادياً وعسكرياً، وقريباً جغرافياً.

وإلا فكيف تفسر، يا سيد كيسنجر، القصف الكثيف لبيروت وطرابلس وصيدا وزحله ولبعض قرانا، واجتياح عاصمتنا والنهب المنظم لمصارفنا وتهديم وسطها التجاري والمجلس النيابي والسرايا الكبير مقر الحكومة ومراكز وزاراتنا، ومكاتبنا العقارية ومصانعنا والآبار الارتوازية ومنشآتنا المرفئية.. واليوم، مطارنا لعزلنا كلياً عن العالم؟

إنك بالتأكيد لم تنس، يا سيد كيسنجر ووترغيت.

فهلا قلتَ لنا، إذاً، من المسؤول عن اغتيال لبنان؟

هل يزعجك هذا؟

فلندع ذلك.

وأمس أيضاً - إذ يبدو أن الأمر تغير اليوم - كانت واشنطن تبدي ارتياحها إلى تدخل سورية التي كانت تراها تسرع إلى نجدة لبنان، وفي يدها غصن زيتون، من أجل إشاعة الأمن وإعادة مؤسساتنا الوطنية وربما، من يدري؟ رد كل ما سرق وإعادة بناء كل ما تهدم.

لماذا، يا سيد كيسنجر لا تأتي لتمضية ليلة أو نهار في بيروت أنت الذي يهوى الانتقال ولا ينزعج من الطائرة ويعز الإسرائيليين ويحب العرب، فتنزل في السفارة الأميركية التي لها إطلالة بالغة الروعة على البحر، ذلك البحر الازرق الذي لم تسلبنا سورية إياه بعد، صحيح أني لا أستطيع أن أضمن لك ليلة هادئة أو أن أضمن سلامتك ما لم تعمد واشنطن في هذه الأثناء وبعد إمعان التفكير إلى تغيير سياستها، ولكن حتى إذا حدث ذلك، فستتحاشى أن تأتي إلى لبنان.

هذا أمر يؤسف له، إذ لو فعلت لاستطعت أن تقدّر عن كثب منافع التدخل السوري في كل الميادين، ولكنت ربما أسفت لهول الكارثة التي حملتنا إياها.

على أنك قد تستطيع أن تفتدي نفسك حيال بلدك الكبير، بإيجادك وسيلة لإنقاذ لبنان كما فعلت لدول أخرى هي في الحقيقة أكثر منه أهمية.

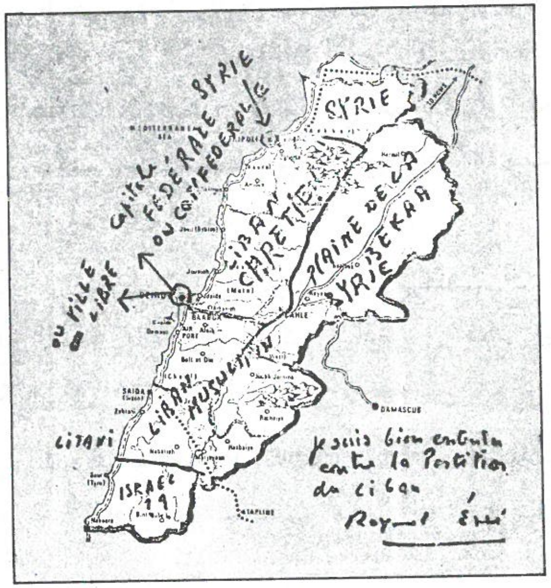
أنت تعرف يا سيد كيسنجر، أن لبنان ما أساء قط إلى أي

بلد وما هاجم قط جيرانه حتى إسرائيل، مع أنه كان عليه أن يفعل، إنقاذاً للشرف على الأقل، خصوصاً بعد الهجوم على مطار بيروت في كانون الأول ١٩٦٨. لكنه لم يتجرأ. واليوم من الواجب مساعدة لبنان، من الواجب إنقاذ استقلاله وسيادته، لأن وجوده لا يزال ذا نفع للعالم.

أرجو أن تثق، يا سيد كيسنجر، في الصداقة المخلصة التي أكنها للشعب الأميركي.

المصدر (الصحف اللبنانية ١٢ ـ ٦ ـ ١٩٧٦
وأعيد نشره في الدستور عدد ٣٣٧ ـ ٢٧ ـ ٨ ـ ١٩٨٤)

خريطة تقسيم لبنان بموجب مخطط كيسنجر كما رسمها العميد اده



المصدر: صحيفة «الشمس» عدد ٢٤ تاريخ ٧ ـ ٦ ـ ١٩٨٧

ملحق رقم III

رد كيسنجر على العميد ريمون إده*

«نيو مكسيكوُ في ١٤ ـ ٦ ـ ١٩٧٦»

وصلني النص الحرفي لترجمة كتابك المفتوح المؤرخ في ١٢ ـ ٦ ـ ١٩٧٦، عن طريق سفارة الولايات المتحدة في بيروت، وخيل إلي للوهلة الأولى، أن شيئاً خطيراً قد حدث في لبنان لأن السفير الجديد مستر فرنسيس ميلوي نقله إلى واشنطن مع إشارة «عاجل جداً» لذلك تسلمته في مكسيكو خلال رحلتي إلى بلدان أميركا اللاتينية، وأنا الآن أجيب عليه من المقصورة الصغيرة بالطائرة الخاصة المعدة لرحلاتي المكوكية.

* **ملاحظة**: لقد سمعت رأيين (من زميلين) يشككان في نسبة هذا الكتاب إلى كيسنجر. أحدهما نسبه إلى صحافي لبناني معروف وصاحب مجلة سياسية (اغتيل في الأحداث) والثاني نسبة إلى محلل صحافي كان يعمل في المجلة ذاتها. إننا نخضع في تناول هذا الكتاب إلى ما سيقرره مصطلح التاريخ بشأنه أو ما كان يسميه أستاذنا المرحوم أسد رستم «تأصيل الأصول» حسبنا الإشارة إلى ما يلي:

١ ـ أنه نسب لشخصين وحتى تاريخه لم يتبيّن أحد خطياً نسبته إليه.

٢ ـ إن العديد من رجال الفكر استشهدوا به كنص موثوق منسوب إلى كيسنجر. نشير في هذا السياق على سبيل المثال لا الحصر إلى مقال السيد عمر حلمي

لهذا أعتذر عن «المطبات» التي سأقع فيها لأن انشغالي بأمور كثيرة يجعلني عرضة لأخطاء غير مقصودة.

أحب قبل كل شيء أن أهنئك لأنك سلمت بطريقة عجائبية، من محاولة اغتيال، وهذا ثمن يدفعه كل سياسي في العالم، حتى في بلادنا، وقد تستغرب ما نتكلفه - مادياً وأمنياً - على حماية الرؤساء والمرشحين بعد مقتل الأخوين كندي.. وبعد المحاولات المتكررة التي تعرض لها الرئيس الحالي مستر فورد، كما أشكرك هذه المرة بالذات لأنك رفضت أن تجعلني مسؤولاً عن محاولة اغتيالك، بعد سلسلة الاتهامات التي ألصقتها بي، بحيث صورتني للرأي العام إلهاً صغيراً أعطي من القدرة والسلطان ما لم يعطه في الماضي الفراعنة والقياصرة!

لقد اكتشفت في العبارة الأولى التي افتتحت بها رسالتك كثيراً من النبل. عندما قلت «ليس لي شرف معرفتك» وأنا أيضاً ليس لي شرف معرفتك، مع أنك حسب التقارير التي تصلني من ديبلوماسيينا في بيروت من أكثر السياسيين اللبنانيين شهرة وسط

(السفير ١٨ - ٣ - ١٩٨٨) ومقال السيّد بشير العريضي (النهار ٢٩ - ١ - ١٩٩٠).

٣ - إن رد كيسنجر على العميد سواء كان صحيحاً أم منحولاً هو مفيد كشهادة، ولكنه لا يشكل الحجة الدامغة على وجود مخطط كيسنجر. المخطط ليس في جواب على كتاب بل المخطط هو في «**نظام الخطوط الحمر**» والثابت **نظرياً وكتابياً وفعلياً**.

٤ - في أقصى الحالات، وعلى افتراض أن جواب كيسنجر على العميد منحول... فهو في كل حال (ودراسة النص تثبت ذلك) منسوب إلى ذات «**المطبخ» الذي كان يرعاه ويديره ويوجهه هنري كيسنجر!!**

الجاليات الأجنبية، فأنت حسبما أقرأ عنك، تتمتع بشهرة خاصة كعازب ظريف، ومعارض محترف، ودون جوان وهذه صفات أحبها، وإنما أستغرب ما سجله عنك سفراؤنا السابقون، ابتداء بماكلنتوك وانتهاء بغودلي فالكل يقول إنك مرشح دائم لرئاسة الجمهورية، ثم يضع ملاحظة مهمة لاجتهاد خاص: «ولكن حظه في الوصول إلى سدة الرئاسة صعب».

من هنا كان ترددي المبدئي للاجتماع بك عندما طلبت موعداً من معاوني السابق مستر سيسكو، فنحن كما تعرف، نحب أن نتعاون مع أصحاب الحظوظ لا مع أصحاب العقول! ومع أن سيسكو قدَّم لي مذكرة بخلاصة حديثك الظريف معه، إلا أن صراحتك زادتني فضولاً وتشوقاً لفتح حوار مطول معك حول الأمور التي طرحتها، وفي مقدمتها ما قلته بأنني شخصياً أخطط لتقسيم لبنان، وإعطاء قسم من جنوب بلادكم لإسرائيل ثم السعي لتقسيم سورية، وأخبرني سيسكو بأنك سألته «هل تقبل أن يتآمر اللبنانيون لإقامة دولة زنجية انفصالية داخل الولايات المتحدة؟ هذا ما يفعله كيسنجر في لبنان عندما يتآمر لإقامة دولة مسيحية ونسف صيغة التعايش»!

قبل أن أجيب على هذه الاتهامات يجب أن أعتذر لك مرة ثانية لأنني تركت مكتبي عندما كنت أنت مجتمعاً مع سيسكو في الجناح الآخر من وزارة الخارجية. ونزلت إلى المدخل الرئيسي لأستقبل السيدة غولدا مائير، إني أعرف رأيك فيها كامرأة، وأعتقد أني سمعت رأياً مشابهاً لرأيك عندما تناولت طعام الغداء في منطقة نائية عن بيروت مع رئيس جمهوريتكم مستر فرنجية،

يومها سألني وزير خاركيتكم ـ أعتقد أن اسمه يبدأ بحرف الفاء، لقد سقط اسمه من ذاكرتي ـ لماذا لا أزور هياكل الأعمدة الضخمة، وأجبته بأنني على موعد مع غولدا مائير في تل أبيب، ولا أستطيع أن أتأخر عن لقاء هذه العجوز لئلا أدفع ثمناً لا أريده. وسألني وزيركم عن الثمن فقلت له ضاحكاً: إنها تجبرني على تقبيلها ـ وأذكر أنه قال لي بحسرة: وأنا لا أريد زيارتك للهياكل أن تكون سبباً في عذابك ـ وأعجبني جوابه.

وفي المرة الثانية علمت بأنك عدت إلى الولايات المتحدة لتجتمع بي، بناء على وعد قطعته لك الآنسة ـ م ـ. ولقد أخبرتك في باريس بأنها تعرفني جيداً وأنها كانت صديقتي. هذا صحيح أنا لا أنكر ذلك ولكنها نسيت أن زوجتي تملك جهاز مراقبة يعمل لصالحها في مكتبي مع أنني بحكم مركزي أراقب كل العالم، لذلك أفضل في المرة المقبلة إذا أنت قررت المجيء إلى أميركا، ألا تطلب موعداً عن طريق النساء!

والآن مستر إده، لننتقل إلى صلب الموضوع في كتابك المفتوح فأنت تقول: «بأن لبنان سائر إلى الزوال بسببي.. وأن شعبه لا يقبل بالفناء لكي تعيش إسرائيل.. وأن خطتي السريعة تقوم على منح لبنان لسورية ـ، كما نسبت اليّ قوله لبعض الأصدقاء ـ كحل لتوفير السلم في المنطقة».

قبل أن أدافع عن نفسي أحب أن أذكرك بزيارتي للبنان. يومها طلبت شخصياً من سفارتنا في بيروت أن تتصل بأجهزة الأمن عندكم وتلح عليها بوجوب تغيير مكان الاجتماع برئيس جمهوريتكم لأسباب تتعلق بسلامتي. وذكر المسؤولون عن الأمن

في السفارة الأميركية ببيروت، أن معلوماتهم تشير إلى أن وجود صواريخ أرض ـ جو سوفياتية الصنع، تتوجه إلى طائرتي قبل هبوطها في مطار بيروت. وكنت بهذا العمل أحاول أن أمتحن مقدار السيادة اللبنانية.. وقدرة السلطة على فرض إرادتها، وبدلاً من أن ترفض الدولة اللبنانية هذا الإحراج فقد انتقل رئيس البلاد إلى مكان خفي سري، ليجتمع بي، عندئذ أدركت حقيقة أنْ لا وجود للدولة اللبنانية وأن السيادة معدومة. وصدقني أن اللقاء القصير كان مضيعة لوقتي الثمين.

فقد سئلت أكثر من عشرات المرّات عن الضمانات الأميركية لاستقلال لبنان وسيادته. ولم أجد لدى المسؤولين أية رغبة وطنية في تأمين هذه الضمانات. ولا أكتمك أنني أجريت امتحانات عديدة من هذا النوع مع حكومات عربية أخرى. ولكن جميع المسؤولين في الأردن أو سورية أو مصر أو غيرها، رفضوا تغيير بند واحد في برنامج الزيارة واعتبروا أن الدفاع عن أي زائر رسمي هومسؤولية داخلية لذلك اكتشفت خلال الساعات القلائل التي أمضيتها في ثكنة عسكرية عندكم، أنني في وطن هارب يختبئ من واقعه المتردي!.

طبعاً، أنا أعرف جوابك على هذه الصورة. فالمسؤولية دائماً وأبداً تقع على الولايات المتحدة. وإنما ثق بأننا حاولنا مراراً وتكراراً أن نتآمر على أنظمة عديدة في العالم العربي ـ ولا نزال ـ وإنما باءت كل محاولاتنا بالفشل. لماذا؟ لأننا اصطدمنا بمقاومة وطنية، وبمناعة داخلية. والزلازل لا تحدث إلا في الأرض المشقوقة. ولا أكتمك أن لبنان هو بلد مثالي لتحقيق المؤامرات.

ليس ضده فقط، وإنما ضد العالم العربي ككل. من هنا اكتشفت في تناقضاته عناصر جديدة لنصب فخ كبير للعرب جميعاً.

ولقد أبلغني الرئيس فورد مرة بفرح أن النجاح الذي حققته في لبنان قد غطى على الأخطاء التي اقترفتها في التشيلي وقبرص وبنغلاديش وأنغولا. وأنا شخصياً ما كنت أتوقع هذا القدر من النجاح. صحيح أن وجود إسرائيل وسَّع حجم العمل، لكن التناقضات اللبنانية هي التي كانت تؤمن لنا استمرار الخطة وسلامتها. مرة واحدة حدث خطأ عربي ـ أوروبي كاد يجمد حركة العملية، وسارعت بإرسال دين براون ـ وهو مهندس سياسي اختصاصي بعمليات الشرق الأوسط ـ ولقد كشف بسرعة عن موضع الخلل، ثم أعاد ضبط الجهاز الكبير الذي يحرك الامور حسب الأهداف المطلوبة والخطة المرسومة.

وقد تسأل، مستر إده، عن طبيعة هذه الخطة!

لا أكتمك بأنني بدأت بشيئ ثم انتهيت بشيء آخر. كان همي الوحيد أن أبعد الاتحاد السوڤياتي عن مجال التدخل والحسم والمشاركة في حل أزمة الشرق الأوسط. كما أسعى إلى تأجيل مؤتمر جنيف والاعتراف بمنظمة التحرير إلى ما بعد انتخابات الرئاسة الأميركية والانتخابات النيابية في إسرائيل أي مدة سنتين على الأقل. ثم تشعبت مطامعي بعدما رأيت أن خصوبة الأحداث الدامية في لبنان قد أسقطت صيغة التعايش المطروحة، وبعد أن بدا لي أن ما كان يحلم به ـ موشي شاريت ـ عندما كتب رسالته الشهيرة إلى بن غوريون ١٨/٣/١٩٥٤ ـ أصبح سهل

المنال. فقد تحدث الرجلان الإسرائيليان يومها عن وجوب تقسيم لبنان إلى دولتين طائفيتين. وإنما دعني أستعمل عبارة شاريت حرفياً: لا جدوى ولا فائدة في محاولة إثارة حركة من المخارج إذا لم يكن لهذه الحركة وجود في الداخل. ومن الممكن تعزيز روح حية إذا كانت تنبض من تلقاء نفسها. وليس من الممكن بعث الروح في جسد لاتبدو عليه دلائل الحياة.

هذا ما قاله حرفياً عن لبنان. لذلك أريدك ألا تجعلني مسؤولاً عن خطة كانت إسرائيل تمهد لها منذ عام ١٩٥٤. صحيح أنني أفكر بخلق دويلات شبيهة بإسرائيل بعدما فشلت في إقناع الدول العربية بفكرة الصلح الانفتاحي، وفي قبول هذه الدولة الجديدة جزءاً من المنطقة ولكن الصحيح أيضاً أن الأحداث الدامية التي افتعلناها أمنت لنا أرضية مثالية لتقسيم النفوس الموحدة، وتدمير صيغة التعايش، وإحداث خلل سياسي في النظام الديمقراطي الوحيد في المنطقة. وأنا أرى بعكس ما يراه قداسة البابا والرئيس الفرنسي ديستان وأكثر زعماء أوروبا بأن لبنان أصبح عبئاً على الغرب لكثرة ما أعطت حريته من أفكار كانت تستعمل ضدنا وليس ضد دول المنطقة.

لهذا قررت إلغاء هذه الحرية بالرغم من معارضة فرنسا والڤاتيكان وبريطانيا ودول أميركا اللاتينية. ثم أجعل من نظامه ذيلياً بأية عجلة من عجلات الأنظمة التي تضايقت كثيراً من رائحة الديمقراطية في بلادكم. وأنت تعرف جيداً أن طمس النظام اللبناني ـ ولو لمدة سنتين على الأقل ـ هو أمر ضروري للتسويات المطلوبة. هذا، إلا إذا نجحت في نقل الحروب العربية

إلى ساحته، كما حدث في اسبانيا. مع العلم بأن هذه المغامرة قد تؤدي إلى حرب عالمية.

تقول في آخر رسالتك ـ إن لبنان ما أساء قط إلى أي بلد، ومن الواجب إنقاذ استقلاله وسيادته، لأن وجوده لا يزال ذا نفع للعالم.

وهذه نظرة عاطفية لا تليق برجل مثلي يتطلع إلى جغرافية العالم من خلال مصالح أميركا. ومن خلال مصالح إسرائيل في المنطقة. والدليل على ذلك أن الحرب لن تتوقف في بلادكم إلا إذا هددت أمن إسرائيل. لأن كل ما يحدث في المنطقة يجب أن يخضع لهذا المنطق.

وختاماً تطلب مني، يا مستر إده، أن أثق بصداقتك المخلصة التي تكنها للشعب الأميركي، وبالمقابل أريدك أن تثق بإخلاصي لإسرائيل ـ وأنا يهودي الماني عرف الاضطهاد النازي ـ لا يعادله إلا إخلاصي لزوجتي وبلادي الثالثة أميركا: ولا تسألني ماذا أفعل لكي أجعل أميركا تخدم مصالح إسرائيل. لقد ساعدتني المنازعات العربية على توفير كل أسباب النجاح لهذه الخطة. فهل أنا مخطىء؟

أتمنى لك الشفاء العاجل، وأرجو أن أراك بعد حين، لأنني علمت بأنك ما زلت تحلم بأن الظروف قد تأتي بك رئيساً بعد ستة أشهر أو سنة على الأكثر وهذا أمر يتوقف على إرادة الأحداث.

وأحب في ختام هذه الرسالة، أن أذكرك بعبارة ملهمي

مترنيخ: البعض يصنعون التاريخ، والبعض يكتبونه. وأنا شخصياً قررّت ان أكون من صانعي التاريخ. وانت ماذا قررّت؟ بانتظار جوابك دمت للمخلص..

هنري كيسنجر

المصدر: (الحوادث ١٠٢٢، ١٨ - ٦ - ١٩٧٦

وأعيد نشره في الدستور عدد ٣٣٧، ٢٧ - ٨ - ١٩٨٤)

ملحق رقم IV

مخطط كيسنجر لتمزيق العالم العربي

الموضوع   مخطط كيسنجر لتمزيق العالم العربي   كيسنجر يعتقد أن هنالك أربع نقاط اشغال هي لبنان ، والكويت وليبيا ، والصحراء الكبرى • كيسنجر يصف المملكة العربية السعودية بأنها بلد متعدد الأجساد ولها رأس واحد

تسربت معلومات موثوقة تسربت من داخل وزارة الخارجية الأمريكية ، عن طريق موظفة سبق وعملت في مكتب كيسنجر عام " ١٩٧٤ " وتولت في أواخر ذلك العام ضرب بعض التقارير السرية له ، تؤكد تلك المعلومات أن كيسنجر هو صاحب مخطط تمزيق العالم العربي ، وضرب المنطقة بعضها ببعض ، والعمل على استنزاف قواها الذاتية ، والاعداد لتقسيم وحداتها الجغرافية • وقد وضع هذا المخطط يومذاك بصفته رئيسا لمجلس الأمن القومي •

تقول السكرتيرة التي تولت ضرب التقرير ، ان ما بقي بذهنها منه هو نقاط قليلة ، الا أنها كافية لالقاء ضوء عليه •

١ — ينطلق التقرير من تصور " أن منطقة الشرق الأوسط التي تضم بالاضافة الى البلدان العربية كلا من تركيا وايران ، هي المنطقة ذات المركز الاستراتيجي الأول في الصراع العالمي فهو مستودع الطاقة التي ترتبط بها الحضارة الى أمد طويل ، وهو عقدة المواصلات للقارات الثلاث ، وبينها ، وهي : أوربا ، وآسيا ، وافريقيا •

٢ — يعتقد كيسنجر أن البلدان العربية تشكل أربع وحدات جغرافية متمايزة ، وهي : منطقة الهلال الخصيب ، وتضم كلا من سورية ، والعراق ، ولبنان ، والأردن ، وفلسطين •

والجزيرة العربية ،

والمغرب العربي ، ويضم كلا من المغرب والجزائر ، وتونس ،

ومصر ، الوثيقة الاتصال جغرافيا وبشريا ببلدين مجاورين لها وبتعاونها ، وهما ليبيا ، والسودا

وبالرغم من خلافات هذه الدول فيما بينها ، الا أن عداءها لاسرائيل والغرب كثيرا ما يستقطبها كما أنه كثيرا ما يكون أحد أسباب خلافاتها • وبسبب طبيعة موقعها الاستراتيجي ، والبترو فان أوضاعها الاقتصادية والسياسية ، وعلاقاتها الخارجية وقياداتها ، هي شاغل دولي •

٣ — وباستثناء اسرائيل ، فان جميع دول المنطقة تتصف أوضاعها بالاضطراب ، وضعف المؤسسات السياسية فيها ، القابلة دوما للانفجار • كذلك تتصف بافتقار قياداتها الى الرؤية العريضة وعجزها عن معرفة ومجاراة تيارات التطور المتلاطمة • بالاضافة الى أنها تضم اجهزة ادارية فاسدة غير قادرة على أن تمنح شعوبها القدر المعقول من الرضى المولد للاستقرار • وهي بسبب ضعف بنيتها الداخلية معرضة بشكل مستمر للانقسامات ، والصراعات ، والثورات ، وقابلة للتطرف •

٤ — ويستعرض تقرير كيسنجر أوضاع البلاد العربية ، فيصف كل بلد بما يلي • وقد شمل الوصف في التقرير جميع البلاد العربية ، الا أن هذا ما أمكن تذكره :

سورية •• بلد ذو بنية متطرفة ، لا يمكن ضبط تركيبه السياسي بغير حكم عسكري

لبنان •• بلد هش التركيب ، قابل للتعدد والانقسام •

العراق •• بلد ذو ثلاثة أجنحة ، يعيقه الجناح الثالث عن الانطلاق •

الكويت •• مدينة لا تستطيع أن تستمر وتعيش بغير حماية خارجية •

المملكة العربية السعودية •• دولة ذات أجساد متعددة ، ولها رأس واحد

مصر •• دولة مستعرة ، ومستمرة الفقر والمشكلات •

الجزائر •• دولة تنفق من رصيد ثورتها القابل والمشرف على النفاد •

ليبيا •• صحراء تحاول أن تلعب دور مدينة •

٥ — وبعد أن يستعرض تقرير كيسنجر أوضاع البلدان العربية الداخلية ، يقول ما معناه ! اللحمة الداخلية لكثير من هذه البلدان هشة ، وان الوحدات السياسية لبلدان الهلال الخصيب غير قابلة للاستمرار بسبب تعاظم دور الأقليات وتضاول دور الأكثرية العربية السنية التي لم تعد أكثرية • ويعترف التقرير أن قيام اسرائيل قد عجل في انفجار مشكلات الأقليات وفي طموحها الى الاستقلال ، لاسيما الأكراد ، والمسيحيين ، والدروز الناضجين لاقامة دولة مستقلة • أما العلويون في سورية فهم يتطلعون الى البقاء حاكمين لسورية كلها ، غير أن الأكثرية السنية قد تضطرهم الى اقامة دولة خاصة بهم ، وهذا أمر محتمل في سياق التطورات القادمة !

٦ — ويقول التقرير ان الأجساد الـ المتعددة للمملكة العربية السعودية قد تنفصل في حالتين اذا ما فقدت الرأس الواحد •• أو اذا قامت فيها حركة ثورية انقلابية أخفقت في منطقة ونجحت في أخرى • وفي كل الأحوال فان أي اضطراب جدي يهدد أمن المستودع البترولي في الجزيرة العربية يجب أن يقود أمريكا الى اجراء خاص جدا ، وعاجل جدا •

٧ – ويرى تقرير كيسنجر أن لكل وحدة جغرافية من الوحدات الأربع نقطة إشغال :

فلبنان هو نقطة أشغال دول الهلال الخصيب ، ومركز انفجار مشكلة الأقليات .

والكويت ، هي نقطة اشغال الجزيرة العربية والعراق .

ولبيا ، هي نقطة اشغال مصر .

والصحراء الكبرى الاسبانية ، هي نقطة اشغال المغرب العربي .

ملاحظة : هذا التقرير سابق لانفجار مشكلتي الصحراء ولبنان .

ويعتقد كيسنجر في تقريره أن النقطتين الرئيسيتين هما لبنان والصحراء الكبرى ، وأن نقطة الكويت تتصل بنقطة لبنان ، كما أن نقطة ليبيا تتبع نقطة الصحراء الكبرى وتتأثر بها .

٨ – وبما أن انفجار هذه النقاط الأربع ، أو بعضها ، سيطرح مشاكل كبيرة وكثيرة ، فان على السياسة الأمريكية أن تهيئ نفسها لمتابعة وملاحقة أوضاع متشابكة وخطرة ، تفرز معطيات جديدة في المنطقة بأسرها . وقد تكون أكثر تعقيدا ، الا أنها أسهل معالجة ، بسبب أنها بعيدة عن الصراع العربي الاسرائيلي الذى يستقطب القوتين العظميين ، ويضع العرب جميعا كتلة واحدة في مواجهة اسرائيل ، كما يضع الغرب أمام الخيار الأصعب بين موقفين وسياستين التخلي عن اسرائيل للعرب والسماح بنمو علاقات عربية أكثر تماسكا وابتزازا وتحديا للغرب ، أو قطع البترول ومواجهة النتائج المدمرة المترتبة على ذلك .

٩ – ويعتقد كيسنجر أن سياسة الوفاق قد أبعدت الاتحاد السوفياتي ، الى حد ما ، عن منطقة الشرق الأوسط ، الا أنها لم تلغ وجوده . وهو قادر على العودة وتهديد المصالح الغربية . ولأن مصير أوربا مرتبط ببترول الشرق الأوسط ، فان سيطرة الاتحاد السوفياتي على هذه المنطقة يعني سيطرته على أوربا كلها ، وهو أمر يثير الفزع . الا أن حاجة الاتحاد السوفياتي الى القمح ، وتحديد الأسلحة الاستراتيجية لتوفير الأموال اللازمة للاقتصاد ومشاريع التنمية ، سيجعل الولايات المتحدة الأمريكية دائما قادرة على كبح تطرفه والمساومة ، وما لم تتعرض القيادة السوفياتية الحالية لنكسة غير متوقعة ، فلا خوف منه في هذه المرحلة .

انتهت نقاط التقرير الرئيسية .

ملحق رقم ٧

لبنان في مذكرات كيسنجر

لبنان

الأحد ١٦ كانون أول (١٩٧٣) كنت أطير باتجاه لبنان. في ذلك الوقت، البعيد الآن، كان لبنان معتبراً كنموذج للتعاون القائم بين المؤمنين من مختلف الديانات في الشرق الأوسط. نظرياً، كان المسيحيون يتمتعون بالأكثرية ولكن بنسبة قليلة. والمناصب المهمة في الدولة كانت، على العموم موزعة وفقاً لهذه الوضعية الافتراضية. الرئيس كان دائماً مسيحياً ورئيس الوزراء مسلماً. الواقع الديمغرافي كان قد أدى، على الأرجح، إلى قلب هذه التسوية، ولكن كان من المستحيل قبول ذلك دون إلحاق الضرر بالتركيب الدقيق للمجتمع اللبناني. كذلك، فقد جرى، بكل بساطة، تجنب القيام بإحصاء للسكان منذ ثلاثين سنة.

عندما كانت الديانتان تتعايشان كان لبنان يزدهر. بيروت كانت مدينة جامعة لأجناس مختلفة وهي في عز نشاطها. هذا الوضع المريح كان يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية لو لم يقرر

القادة الفلسطينيون، بعد طردهم من الأردن في العام ١٩٧٠، جعل لبنان قاعدة أساسية لعملياتهم.

لقد نتج عن ذلك أمران: جرى دفع لبنان إلى داخل الصراع العربي ـ الإسرائيلي بشكل لم يكن يتوافق بوضوح مع مصلحته الوطنية لأن الحدود بين لبنان وإسرائيل لم تكن أبداً موضع نزاع؛ كما كشف الحدث (أي التمركز الفلسطيني في لبنان) دينامية حركة تحرير فلسطين. كلُّ بلد يغامر بإيواء القوى الفلسطينية الشبه عسكرية، يبدو وكأنه يضع سيادته على المحك إزاء هذه العناصر المنظمة تنظيماً جيداً. الهدف الأهم لمنظمة التحرير الفلسطينية هو شن هجمات ضد إسرائيل محولة البلاد التي تأويها إلى ملاذ، مما يستدعي حكماً ردوداً من جانب إسرائيل. وهكذا يجد البلد ـ الملاذ نفسه وسط دوامة الحرب دون أن يسعى لذلك. (الملك حسين كان قد منع الهجمات على الأراضي الإسرائيلية. وهو قرار كان في أحد الأسباب لاندلاع المواجهة مع الفلسطينيين عام ١٩٧٠ ـ ولكن لبنان لم يكن قوياً كفاية للاقتداء به). إذا سمح للفلسطينيين بالتوطن (في لبنان) وبحشد إمكاناتهم العسكرية فيه، لأمكنهم أن يصبحوا دولة ضمن الدولة، أي البدء بتجاهل قوانين الدولة المركزية في المناطق التي يسيطرون عليها وبالتالي السعي إلى فرض قانونهم الخاص. وهذا أيضاً ما منعه الملك حسين بالقوة عام ١٩٧٠ مستنداً إلى عناصر البدو الموالية له في الجيش الملكي الأردني في حين أن لبنان بحكومته المبعثرة وجيشه الضعيف والمقسّم، ما كان بإمكانه أن يتحاشاه.

الآن في العام ١٩٧٣، كان الخطر واضحاً مع أنه في بداياته. لقد بدأ الفلسطينيون يتحولون إلى عنصر شقاق في البلاد.

وهكذا، فإن الحكومة اللبنانية، وهي من الحكومات الاكثر اعتدالاً في الشرق الأوسط، أصبحت المحامي المتحمس لإعطاء أرض للفلسطينيين. لقد كانت هذه وسيلة لإجلائهم عن البلاد.

كان هذا هو محور المحادثات التي أجريتها مع المسؤولين اللبنانيين في قاعدة رياق الواقعة على بعد ٦٠ كيلومتراً من بيروت. وإذا كان اللقاء قد تم في هذا المكان فلأسباب أمنية. إن وجود مخيمين للاجئين الفلسطينيين على مقربة من منطقة هبوط الطائرات في مطار بيروت، فيه الكثير من المخاطرة في نظر حرسي الخاص في وقت كانت توجد فيه (داخل المخيّمات) قاذفات صاروخية فردية يمكن حملها على الكتف، وهي من صنع سوفياتي. ولقد تأكد هذا القلق بعد حصولنا على تقرير يشير إلى مخطط لإسقاط طائرتي. كما كانت تجري مظاهرات جماهيرية في بيروت. (في رياق) شكّل الضباط العسكريون بأناقتهم الإطار المحيط بقاعة الطعام في الثكنة حيث أجريتُ المحادثات مع وزير الخارجية فؤاد نفاع وطاقمه المفاوض وبعد ذلك مع الرئيس سليمان فرنجيه ورئيس الوزراء تقي الدين الصلح ومساعديهما. وزير الخارجية كانت لديه لائحة من اثني عشر سؤالاً ليطرحها علي. وهي من ذات النوع الذي كان قد أتحفني به الرئيس الأسد. ولقد أجبت عليها، على العموم، بذات الطريقة (كل مناقشة ذات صلة بالحدود النهائية أمر سابق لأوانه، ولكن أمنيات الفلسطينيين ينبغي أخذها بالاعتبار في كل حل نهائي. كما في دمشق، رفضت أن أدخل في تفاصيل هذه المقترحات. وشرحت كيف سيكون الإجراء بخصوص مؤتمر جنيف وكذلك دور اللجان الفرعية والطور الأول من فض الاشتباك. مضيفونا لم يكن

بمقدورهم إلا الظهور بأنهم أكثر تفهُّماً وتقريظاً لنا. لقد سرّهم أن الأميركيين مهتمون بعملية السلام. لم يكن لديهم مقترحات يقدمونها. وكان شغلهم الشاغل يتركز حول أمرين: إضعاف الدور السوفياتي في الشرق الأوسط، وبالأخص أن نساعد (كأميركيين) على حل مشكلة الفلسطينيين بإيجاد وطن لهم حيثما كان خارج لبنان.

كنت أحاذر أن أقول للرئيس فرنجيه إنه، بحسب ما سمعت في الشرق الأوسط لن يكون قريباً من تحقيق أمنياته بإراحته من «ضيوفه المفترسين». ففي رأي جميع الحكام العرب الذين قد التقيتهم، باستثناء ربما السعوديين، فإن قلة من الفلسطينيين كانت لا تزال لديهم رغبة في العودة إلى الضفة الغربية ـ مهما كانت نوعية النظام هناك. أكثر من ذلك، فإن إسرائيل كانت تشدد بالتأكيد على أن كل قطعة أرض من الضفة تعاد إلى العرب ستكون منزوعة السلاح. وحيث أن الفلسطينيين لن يقبلوا أبداً أن ينزع سلاحهم حيثما كان وفي الوقت عينه، فإن لبنان لم يكن لديه أي حظ بأن يتخلص عما قريب، من وجود زوّاره المدججين بالسلاح.

إنني بأسى أتذّكر هؤلاء الرجال (اللبنانيين) المشبعين بالثقافة والذين تمكنوا، في هذه البقعة المضطربة من العالم، من صياغة مجتمع ديمقراطي مبني على الاحترام الصادق لدياناتهم الخاصة. إن نجاحهم لن يستمر. إن الإنفعالات التي كانت تجتاح كل المنطقة كانت قوية إلى الحد الذي لا يمكن احتواؤها بفضل التسويات الدستورية البارعة. فكما حاولت أن تفعل في الأردن، **هدمت الحركة الفلسطينية التوازن الدقيق للاستقرار في لبنان. وقبل أن**

تكون عملية السلام قد حققت غرضها، فإن لبنان كان قد تناثر قطعاً. وفي الوقت الذي أكتب فيه هذه الأسطر، فإن جميع الشراذم **وجميع القوى التي تتواجه في الشرق الأوسط، تتابع حربها فوق جسد لبنان الضعيف المنهك لتحقيق أحلامها الأزلية وكوابيسها التي لا شفاء منها!».**

هنري كيسنجر.

المصدر:

Henri Kissinger: Les Années Orageuses, Tome 2, Fayard Paris 1982. p.967-969.

ملحق رقم VI

الجغرافيا اللبنانية في «نظام» كيسنجر!

١ ـ . . . «. . . إن سوريا وإسرائيل دخلتا لبنان لتمنعا وجود منظمة التحرير الفلسطينية وتمنعا قوتها السياسية والعسكرية على الحدود السورية ـ الإسرائيلية. فعلى رغم الكراهية المتبادلة بين إسرائيل وسوريا، فإن وجودهما في لبنان يرمي إلى الغاية نفسها: منع منظمة التحرير الفلسطينية من السيطرة على لبنان.

هذه الحقيقة يجب أن تبقى في البال بنتائجها البعيدة المدى لأنها تفتح **مجالات واسعة لديبلوماسية أميركية حيوية في الشرق الأوسط**. وعلى السياسة الأميركية أن تنظر في الأمور نظرة شاملة غير مجزأة في ما يتعلق بالقضايا الثلاث: أزمة لبنان، محادثات الحكم الذاتي للضفة وغزة، الخطر على المصالح الغربية في الخليج.

. . . إن الموقف العام لإدارة ريغان يتسم بالحكمة والمسؤولية فهي تطلب جلاء جميع القوات الأجنبية عن لبنان وإيجاد حكومة لبنانية قوية مركزية تكون سلطتها **شاملة لأراضي دولة محايدة ويبقى**

المبدأ سلبياً حتى لو بقيت بعض القوات السورية في شمال البقاع وبقيت قوات إسرائيلية في أقصى الجنوب المحاذي لإسرائيل».

«من مقالة لكيسنجر في صحيفة «الواشنطن بوست» ١٦ - ٦ - ١٩٨٢» ونشرتها «انترناشيونال هيرالد تريبيون» ونقلتها العمل ١٨ - ٦ - ١٩٨٢، ونشرت في كتاب، كيسنجر: محاضرات ومقالات. دار قتيبة بيروت ١٩٨٨ ص ٦١.

٢ - دعا وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر إلى تقسيم لبنان. وكان يتحدث إلى شبكة (اي بي سي ABC) التلفزيونية. قال:

«يبدو اننا نتحدث عن **لبنان موحَّدَ** وتحت سيطرة الحكومة التي ستشكل في بيروت. ونحن ندعم في الوقت نفسه الرئيس الجميل. ويبدو لي أن ذلك **هدف غير قابل للتحقيق.**

.. في الشرق الأوسط، إن أفضل طريقة للعمل هي الطريقة المرحلية. وفي هذه المرحلة يبدو لي أن ما نستطيع التوصل إليه هو:

- **سيطرة سورية في الشمال الشرقي للبنان.**
- **ونفوذ اسرائيلي بارز في القسم الجنوبي.**
- **وسيطرة مسيحية في المناطق حول بيروت وفي الوسط.**

إن هذا يؤدي إلى فك ارتباط بين القوى المتنازعة ويوقف التنافس في ما بينها. ولا أدري إذا كان هذا ممكناً ولكن بالنسبة لي على الأقل يبدو **هدفاً معقولاً».**

المصدر: (السفير ٦ - ١٢ - ١٩٨٣)

المراجع

أولاً: العربية

١ - إبراهيم، سعد الدين، كيسنجر وصراع الشرق الأوسط. دار الطليعة - بيروت ١٩٧٥.

٢ - إبراهيم، محسن: الحرب وتجربة الحركة الوطنية اللبنانية. منشورات بيروت المساء - بيروت ١٩٨٣.

ابراهيم محسن: قضايا نظرية وسياسية بعد الحرب. منشورات بيروت المساء. بيروت ١٩٨٤.

٣ - الجميل، بيار: مواقف وآراء... دار العمل - بيروت ١٩٨٢.

٤ - الجميل، أمين: مذكرات - صحيفة الحياة - لندن، كانون الأول ١٩٩٠.

٥ - الجميل، بشير: الحلم الحي - رابطة خريجي الحقوق - جل الديب - بيروت ١٩٨٣.

٦ - إده، ريمون: كلمات ومواقف. ١٩٥٣ - ١٩٧٨ - الكتاب الأبيض - ١ بدون تاريخ.

- إده ريمون: القبعات الزرق في لبنان. تصريحات ومواقف، منشورات جمعية فرنسا - لبنان الجديد - بدون تاريخ.
٧ - الديب. د. محمد محمود ابراهيم: الجغرافيا السياسية. مكتبة سعيد رأفت. القاهرة. ١٩٧٣.
٨ - العكرة، أدونيس: من الديبلوماسية إلى الاستراتيجية. دار الطليعة - بيروت ١٩٨١.
٩ - برودين، ڤرجينيا وسلدن مارك. السّر المعروف. مبدأ نيكسون وكيسنجر في آسيا. المؤسسة العربية للدراسات - بيروت ١٩٧٤.
١٠ - بقرادوني، كريم: السلام المفقود. منشورات عبر الشرق - بيروت ١٩٨٤.
١١ - جنبلاط، كمال: لبنان وحرب التسوية. مركز الدراسات الاشتراكية - بيروت ١٩٧٧.
١٢ - حدّاد سليم: قوات الأمم المتحدة المؤقتة العاملة في لبنان. المؤسسة الجامعية - بيروت ١٩٨١.
١٣ - حريق، ايليا: التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث. الأهلية للنشر - بيروت ١٩٨٢.
١٤ - الحسان بو قنطار: السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ ١٩٦٧، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٨٧.
١٥ - الخازن، فريد: العلاقات اللبنانية الأميركية في سياسة التوازن الإقليمي ١٩٧٥ - ١٩٨٩ الدفاع الوطني اللبناني.

العدد الأول تشرين الثاني ١٩٨٩.
- من بيروت إلى عوكر: السياسة الأميركية بين الواقع وهاجس المؤامرة. الدفاع الوطني اللبناني العدد ٣ - آب ١٩٩٠.
١٦ - خليفه، نبيل: بشير وأمين الجميل في رئاسة الجمهورية. مسلسل الفكر السياسي بيروت ١٩٨٤.
- القضيّة اللبنانية في ضوء صراع الأقليات في الشرق الأدنى سلسلة في ٨ حلقات جريدة «العمل» بيروت: ١٩٨٥.
- مجالس التعاون وعروبة القرن ٢١ - الشركة الوطنية للإعلام - جبيل ١٩٨٩.
١٧ - خويري، أنطوان: موسوعة الحرب اللبنانية - دار الأبجدية - جونيه.
- حوادث لبنان ١٩٧٥ جزء واحد
- الحرب في لبنان حوادث ١٩٧٦ ثلاثة أجزا + (ملحق مصوّر)
- وأخيراً حرقوه حوادث ١٩٧٧ - ١٩٧٨ جزء واحد
- لبنان تحت الاحتلال حوادث ١٩٧٩ جزءان
- لبنان بين الشرعية والاحتلال حوادث ١٩٨٠ جزءان
- زحله ملحمة حمود وبلولة حوادث ١٩٨١ جزء واحد
١٨ - راندال، جوناثان: حرب الألف سنة، الطبعة العربية الثانية ١٩٨٤.
١٩ - رايت كلوديا: السياسة الأميركية في الشرق الأوسط - حوليات سياسية العدد الأول - سنة أولى - شتاء ١٩٨٢.
٢٠ - ريغان، رونالد: حياة أميركية - مذكرات. الحياة لندن -

تشرين الثاني ١٩٩٠ .
٢١ ـ زامير، مائير: نشوء لبنان الحديث ـ دار المروج ـ بيروت ١٩٨٦ .
٢٢ ـ سركيس، الياس: مجموعة خطب وكلمات، وزارة الإعلام مركز النشر اللبناني ـ بيروت بدون تاريخ .
٢٣ ـ سعيد، عبد المنعم: هنري كيسنجر وفكره الستراتيجي . الفكر الستراتيجي العربي عدد ١٣ ـ ١٤ . نيسان / تموز ١٩٨٥ .
سعيد. عبد المنعم: الإرث الكيسنجري . سياسة أميركا الشرق أوسطية، المستقبل العربي عدد ٨١ ـ مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٥ .
٢٤ ـ السفارة الأميركية في بيروت:
ـ نشرة إعلامية ١ ـ ٤ ـ ١٩٧٤
ـ نشرة إعلامية ١٧ ـ ٥ ـ ١٩٧٥ .
ـ نشرة إعلامية ١٧ ـ ٩ ـ ١٩٧٥ .
٢٥ ـ سيل، باتريك: حياة الرئيس السوري حافظ الأسد. نشرت على حلقات في الديار ـ بيروت تموز / آب ١٩٩٠ .
٢٦ ـ شيفر، شيمون: كرة الثلج ـ المطبعة العربية ـ بيروت ١٩٨٤ .
٢٧ ـ شيهان، ادوار: سياسة الخطوة خطوة في الشرق الأوسط ـ نشرها واستعرضها ميشيل كامل في منشورات فلسطينية عدد ٥٩، ١٩٧٦ .
ـ شيهان، ادوار: العرب والإسرائيليون وكيسنجر نقلها

الكتاب السنوي الفلسطيني لعام ١٩٧٥ م.د.ف بيروت ١٩٧٨ .
ـ شيهان، ادوار: وثائق كيسنجر السرّية . مجلة السياسة الخارجية ترجمتها ونشرتها الحوادث. العدد ١٠٣١، ١٩٧٦/٩/٣ .
٢٨ ـ طلاس، العماد مصطفى: الغزو الإسرائيلي للبنان، مؤسسة تشرين ـ دمشق ١٩٨٣ .
٢٩ ـ أمين، محمود عبدالله: دراسات في الجغرافيا السياسية للعالم المعاصر. مكتبة النهضة ـ القاهرة ١٩٦٨ .
٣٠ ـ العلاقات اللبنانية السورية (جزءان) سادر CEDRE ـ بيروت ١٩٨٦ .
٣١ ـ عون، العميد الركن فؤاد: قوات الردع العربية في لبنان ـ بيروت ١٩٨٩ .
٣٢ ـ غالي، بطرس بطرس: الاستراتيجية والسياسة الدولية ـ مكتبة الانجلو ـ القاهرة ١٩٦٧ .
٣٣ ـ كوانت، وليم: أميركا والعرب وإسرائيل، عشر سنوات حاسمة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٦ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٩ .
٣٤ ـ كير، مالكوم: السياسة الأميركية في الشرق الأوسط: كيسنجر كارتر والمستقبل. م.د.ف. نيقوسيا ١٩٨٤ .
٣٥ ـ كيسنجر، هنري: محاضرات ومقالات مختارة (مترجمة ١٩٨٢ ـ ١٩٨٤ دار قتيبة ـ بيروت ١٩٨٨ .
٣٦ ـ مقلد، إسماعيل صبري. الاستراتيجية والسياسة الدولية مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ١٩٧٩ .
٣٧ ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ يوميّات الحرب اللبنانية (في

جزئين). بيروت ١٩٧٧.

٣٨ ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية: السياسة الأميركية في الشرق الأوسط ـ نيقوسيا ١٩٨٤.

٣٩ ـ نكديمون، شلومو: مناحيم بيغن ضُلِّل، شارون يسيطر، في: إسرائيل وتجربة حرب لبنان، م.د.ف نيقوسيا ١٩٨٦.

٤٠ ـ هيكل، محمد حسنين: الحل والحرب: شركة المطبوعات ـ بيروت ١٩٧٧.

كتب وثائقية

- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٣. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت ١٩٧٦.
- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٤. م.د. ف بيروت ١٩٧٧.
- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٥ م.د.ف بيروت ١٩٧٨.
- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٦ م.د.ف. بيروت ١٩٧٩.

صحف

البعث	اللواء	- Le Figaro
جيروزاليم بوست	لوريان لو جور	- Le Monde
الحياة	النهار	- Le Réveil
الدستور	الأنوار	
الديار	الأوبزرفر	
السفير	واشنطن بوست	
العمل	ويديعوت أحرونوت	

مجلات

التضامن	العواصف	- Economist
الجمهور الجديد	الأفكار	- International
الحوادث	اللبناني	Herald Tribune
الدستور	المجلة	- Paris-Match.
الدفاع الوطني	النهار العربي والدولي	- Politique Internationale
	ماغازين	
الدولية	ماندي مورنغ	- Us News and world Report.
استراتيجيا	المستقبل	
الأسبوع العربي	الوطن العربي	
الشراع		

ثانياً ـ الأجنبية

1 - ABOU, Sélim: Béchir Gemayel, où l'Esprit d'un Peuple. Editons, Anthropos Paris 1984.

2 - CHIHA Michel: Le LIBAN dans le Monde. Perspectives d'avenir. Les Conférences du Cénacle N° 9-12. 1951.

3 - EVRON Yair: War and intervention in Lebanon. Croom Helm. London 1987.

4 - JOUMBLAT Kamal: Pour le Liban. Stock Paris 1978.

5 - KALB Marvin et Bernard: Kissinger, ses origines, sa formation son ascension son apogé. Robert Laffont. Paris 1974.

6 - KISSINGER Henri:

- A la Maison Blanche. 2 vol. Fayard Paris 1979.
- Les Annés Orageuses. 2 vol. Fayard Paris 1982.
- Le chemin de la Paix. Devoël. Paris 1972 (Traduction de. A World Restored..)
- Pour une Nouvelle Politique Etrangère Americaine. Foreign 1970 (American Foreign Policy).
- Les Malentendus transatlantiques devoël. Paris 1967 (The Troublad Partnership..).
- The Necessity for choice: Prospects of American Foreign Policy. Harper and Row 1961.
- Nuclear weapons and Foreign Policy. Harper and Row 1957.
- Problems of National Strategy. Praeger 1965.
- Le Sens de l'Histoire.. Reflexions sur Spengler TOYNBEE et KANT. 1950.

7 - Lartéguy: Dieu, l'or et le Sang. Presse de la cité Paris-Match.

8 - NASSAR Nassif: Espaces et Identités collectives au Liban. Défense Nationale Libanaise N°4. 1990.

9 - RATZEL Friedrich : Géographie Politique. ERESA Economica Paris 1988.

10 -TOYNBEE Arnold: Le LIBAN, Expression de l'Histoire Conferences du cénacle Ve année N°6 juin 1957.

11 - Encyclopaedia Universalis.

12 - Encyclopaedia Universalis: symposium: Les chiffres du Monde 1988.

فهرس عام

(أ)

صدر للمؤلف:

١ ـ لبنان الجديد ـ ١٩٧٦. (نَفَدَ)
٢ ـ الكتائب وعروبة لبنان ـ جزءان ـ سلسلة الفكر السياسي ١٩٨٤.
٣ ـ لبنان الحضاري بين التعددية والوحدة، سلسلة الفكر السياسي ١٩٨٤.
٤ ـ الكتائب ومهمات المرحلة الراهنة، سلسلة الفكر السياسي ١٩٨٤.
٥ ـ لبنان والخيار الرابع: الحياد أو التحييد، سلسلة الفكر السياسي ١٩٨٤.
٦ ـ لبنان في قلب الثورة الإسلامية، سلسلة الفكر السياسي ١٩٨٤.
٧ ـ الشيعة في لبنان: ثورة الديمغرافية والحرمان، سلسلة الفكر السياسي ١٩٨٤.
٨ ـ مجالس التعاون وعروبة القرن ٢١ ـ الشركة الوطنية للإعلام ١٩٨٩.

مطبعة دكاش
العقيبة ـ الطريق العام ـ هاتف: ٠٩/٩٥٧٥١٢
البوار ـ الشعب ـ هاتف: ٠٩/٩٤٨٥٤٧